حـــــــــوار

لإخـوانـنا واخواتـنـا الشـــيــعـــــة

الـدكـتـور عبداللـه أبو عـزة

الطبعة الأولى 1430هـ/2009م

عمـان - الأردن

الإهـــــــــــــــداء

إلـى أحـفـادي :

- **نور محمد سليم عـزوز**
- **تسنيم عبدالنور صديقي**
- **لـيـنـة محمد سليم عـزوز**
- **أنس عبدالنور صـديقي**
- **عـبـدالرحمن محمد أبو عـزة**
- **كنان محمد سليم عزوز**
- **ســناء عبدالنور صديق**
- **ريان محمد سليم عـزوز**
- **لـؤي عـمر أبو عــزة**
- **نـور عمـر أبو عـزة**
- **أحمـد عمـر أبو عــزة**

بســـــم اللـــــه الـرحـمـن الـرحـــيم

" وقولوا للناس حســـنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ..."

[سورة البقة/83]

" وقل لعبادي يقولوا التي هــي أحســن ... " [سورة الإسراء/ 53]

" قل من يرزقكم من السماوات والأرض ، قل الله ، وإنا أو إياكم لعلى هدى أوفي ضلال مبين. قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون. قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق، وهو الفتاح العليم."

[سورة سبأ/24-26]

الـمـحـتـوى

مقدمـــــــة:

"السـنـة" و "الشـيعـة" . . "الشـيعـة" و "السـنـة" مصطلحان صيغا واستخدما قبل مايزيد على ألف سنـة ، ليعبرا عن عملية استقطاب مزدوج ، نشأ عنها تكتلان سياسيان انغمسا في صراع ما لبث أن ميز كلا منهما بثوب ديني خاص زيـن برموز حملت في مضامينها مظهرا من القداسة عند أصحابها. وخلال هذه الحقبة الطويلة تطور الاختلاف إلى شرخ رأسي كبير ظل يتضخم مميزا ما على جانبيه من جماعات، مباعدا ومفرقا بينهما. وقد ظلت الـمواقف بين الفـئـتـين اللتين دل عليهما المصطلحان تنطلق من منظور سلبي ومعاد ، في أغلب الأحوال؛ وما زال الوضع كذلك – إلى حد كبير - بعد مرور هـذه القرون المتتابعــة. وعندما جاس الاستعمار الغربي خلال الديار، وحلت الـهـزيمة الشاملة بأمة الإسلام كلها، مشرقا ومغربا، ورانت مشـاعر العجز على قلوب المسلمين جميعا، إذ ذاك أحسوا واعتقدوا بأن الشر كل الشـر قد جاء من خارج الدائرة الإسـلامية ، وبذلك لم تبق مبررات لإلقاء اللوم على الآخـر المسلم، بل صار اللوم كله على الآخـر البـعيد .. أي على الاسـتعـمار الغـربي. ونتيجة لذلك بدأت تداعب عقول المصلحين من المسلمين فكـرة اسـتعادة الـوحـدة الإسلامية .. في أية صورة ، كبرت أو صغرت، باعتبار أنها ستكـون عـنصر القوة المفقود من زمن بعيد، لعلـه يسـاعد على التخلص من هذا الكابوس الإستعماري الرهيب. ومن هنا أخذت تتردد على استحياء عبارات داعية إلى استعادة الوحدة ، ودفن ذلك الشــرخ الكبيـر . غير أن الرواسـب المتراكمة في أعماق النفوس عبر القرون كانت ثقيلة وشديدة الالتصاق لدرجة جعلت من الصعب كنسها بمجرد رغبة عابـرة ، أو مجرد حركة عاطفية نشأت عن الشـعور بالهزيمة والعـجز الذي أشرنا إليــه؛ بل لقد ظلت هذه الرواسب تنتظر أية ظروف سلبية مناسبة لتنطلق طافية على السـطح .. لتختضب مجددا بالأحقاد والدماء، مثلما حدث بعد اجتياح واحتلال العراق على أيـدي المحافظين الجدد سـنـة 2003-2008م.

وكان مما ظهر في سياق الاتجاه نحو استعادة الوحدة خلال أربعينات القرن الماضي، القرن العشرين ، ، فكرة ***"التقريب بين المذاهب"*** التي انطلقت في مصر، وشارك فيها شيخ الأزهر، كما شارك فيها حسن البنا، المرشد العام للإخوان المسلمين، وعدد من كبار علماء الدين من الجانبين السني والشيعي، وكان وكيلها العام شيخ الأزهر، بينما كان سكرتيها (أمينها) العام الشيخ محمد تقي الـقـمي. غير أنها كانت وظلت فكرة سطحيــة، سواء في التسمية أو في الممارسة الفاهية، ولم تترك أية آثار إيجابية، بعد أن انطوت **في** الذكريات مع ما سبقها. ثم ظهرت – بعد ذلك – بعض التحركات والخطوات العاطفية ، مثل قيام زعيم **جماعة *فدائيان إسلام* الإسلامية** الإيرانية ، **نواب صفوي** ، بزيارة القاهرة في أوائل خمسينات القرن الماضي، حيث استقبله واستضافه الإخوان المسلمون، وألقى بعض الخطب النارية ، ثم طغت أحداث أخرى على الساحة المصرية ولم تبق من آثار تلك الزيارة سوى إشارات عارضة في بعض الكتب.

وبينما كنت في سن المراهقة الفكرية ، في خمسينات القرن العشرين شدت الفكرة انتباهي واهتمامي، وظللت أتأملها ، وأتتبع كل المؤشرات ذات العلاقة بها، إلى أن اكتشفت ضحالتها وعقمها. ففكرة التقريب، من حيث اللغة، ترتبط أصلا بالقرب المادي، كأن تنقل كرسيا، أو مقعدا، من مكانه لتضعه في نقطة أقرب من كرسي أو مقعد آخر. أما حين تـتعلق المحاولة بعالم الأفكار والمبادئ فإن الـتـقـريب يعنى التنازلات المتبادلة ؛ وهذا أسلوب إن جاز وكان سهل الحدوث في عالمي السياسة

والتجارة فإنه لا مكان ولا نجاح لــه في ميدان المبادئ والعقائد. ومع ذلك فإن الاتجاه العام إيجابي يستحق الثناء والاهتمام، ولكن من غير تسرع. ويمكن أن يكون الهدف الأول تسليط الضوء على الاختلافات الشكلية والهامشية توطئة لإسقاطها من دائرة الخلاف. أما الخطوة التالية فينبغي أن تتلمس بها الاختلافات الحقيقية – إن وجدت - وهي موجودة بكل تأكيد. والاختلافات الأساسية يمكن أن تكون من انتاج الطرفين، أو من إنتاج طرف واحد. ومثل هذه الاختلافات لا يزيلها ، أو يخفف منها ، سوى حوار مخلص هادئ طويل النفس. ومن الخطأ أن تكون إزالتها هدفا سريعا وملحا، بل ينبغي تحديد طريقة للتعايش معها، بالاحترام المتبادل لخصوصيات كل من طرفي الحوار، ومن غير استهداف لحمل الآخر على أن يتنازل عن بعض ما يعتبره مكونا أساسيا في رؤيته وموقفه.

وفي ضوء كل ذلك ، ومع تتابع التجارب والهبات العاطفية التي مرت بها أمتنا ، بدا لي واضحا أننا بحاجـة إلى مسيرة حوار شـامل، معمقة وطويلة النفـس ، تكشـف وتعري بؤر العفن والمرض، وتضعنا على طريق الخلاص؛ كما اتضح لي أن الحوار هو الطريق الوحيد الذي يمكن أن يفضي بنا إلى الهدف المنشود. ومن هنا بدأ مشــروع هذه الدراســة. إن كل ما آمله هو أن أفتح الباب، وأســير في الطريق بضع خطوات، وأن أحفز باحثين آخرين – من كلا الجانبين – ليشاركوا بجهودهم وعلمهم ومواهبهم للوصول إلى النتائج المرجوة . إننا بحاجة إلى تيار يبدأ بقطرات تتجمع فتتحرك في صورة سيل صغير نأمل أن يكبر ليحمل أكبر عدد من الباحثين المستنيرين المخلصين، المتحررين من التعصب المذهبي الضيق الأفق ، للانطلاق معه وحمل أعباء تطويره ومسئولياته حتى النجاح.

ومن منطلق الحرص على أن تكون البداية صحيحة علمية وموضوعية فقد جمعت عددا من أهم المصادر التي تجسد فكر واعتقادات إخواننا الشيعة ، وعكفت على دراستها لأكتسب القدر الضروري والمناسب من التعرف والإلف لاستخدام لغة مشتركة تضعنا على أرضية واحدة ونحن نمارس الحوار؛ وعلى رأس هذه المصادر كتاب ***أصول الكافي***، وكتاب ***فروع الكافي***، من تأليف أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، المتوفى سنة 328هـ، وكتاب ***من لا يحضره الفقيه***، من تأليف أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين القمـي، المتوفى سنة 381هـ ، وكتاب ***تهذيب الأحكام*** للشيخ لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، وكتبا أخرى من مؤلفاته مذكورة في قائمة المصادر، فضلا عدة مؤلفات للشيخ المفيد العكبري، والنعماني، والطبرسي ،وغيرهم، فضلا عن ثلاثة من تفاسير القرآن الكريم القديمة لمفسرين من الشيعة، مع تفسيرين حديثين شيعيين آخرين، وغير ذلك مما سيجده القارئ عبر حواشي صفحات هذه الدراسة، وضمن قائمة المصادر.

شكر وتقدير،

ولا يفوتني أن أنوه بأن أخي وصديقي الأستاذ حاتم مجدي بسيسو قد قرأ مســودة هذا الكتاب وأبدى عددا من الملاحظات القيمة التي استـفـدت منها، فله شكري وتقديري. كذلك فقد اطلع على المسـودة وقرأها الأخ والصديق الأستاذ خضر أحمد الخالدي، وأبدى عددا من ملاحظاته المفيدة، فله الشكر والتقدير كذلك. وغني عن القول أن مسئولية كل كلمه وكل حرف هي مسئولية المؤلف وحده. وقد كانت أبنتي الدكتورة خولة عبدالله أبو عـزة قد قرأت مسودت الكتاب وأبدت عددا من الملاحظات المفيدة.

والله نسأل أن يكون عملنا وعمل كل من يشارك في مسيرة الحوار، خالصا لوجهه، مدفوعا بالحرص على إزالة الانقسام، وردم الفجوة، ولأم الجراح ، حتى يعود المسلمون لما أرادهم الله أن

يكونوا ، مثالا للعمل في سبيل خير الإنسانية كلها لتعيش في إطار من الحرية والعدل والأخوة والسلام والتعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

التاريخ 3 نيسان (أبريل) 2009م عبدالله أبـو عـزة

الموافق 7 ربيع الثاني 1430هـ

الـفـصـل الأول

تـمـهـيـــد

آفاق الحوار:

في مسار هذا الحوار سوف نمر – إن شاء الله تعالى – بالعقائد الإسلامية الأساسية ، كما يعتقدها ويراها ويتمسك به الجانبان، السني والشيعي؛ كما سنمر بالمبادئ العامـة التي ينظرون من خلالها للمواقف والرؤى والتصرفات الإنســانية. وبعد ذلك نلج في منطقة واســعة تـتسم بالتماثل والاتفاق بقدر كبير عند الجانبين وفيما بينهما، وأعني بذلك فقه العبادات وفقه المعاملات، حيث نلقي عليها نظرة سريعة دون توسع أو إبطاء، مع الانتباه إلى ضآلة حجم بعض الاختلافات الشكلية التي لا تســتحق أن تكون دافعا للخصام، أو أن تقود أيا من الجانبين إلى ســاحــات الـصـراع. وسنتبين في مسيرتنا أن الذين يتشددون بشأن هـذه الاختلافات الشكلية لا يستطيعون تقديم أية أدلة تبرر ما يصدر عنهم من تصرفات ومواقف سلبية.

وبعد هذه المرحلة في مسار بحثنا سنصل، بعون الله، إلى المنطقة، والمرحلة، التي نواجه فيها العقبات والمشكلات الكبرى التي ستحملنا خطورتها وأهميتها على التحرك خلالها بعناية فائقة، باحثين عن أدق التفاصيل؛ ولسوف يلزمنا أن نتسلح بكثير من الصبر والأناة، ونتذرع بكل ما يمكن استدعاؤه من الحكمة وعمق النظر والموضوعية؛ ومع كل ذلك وقبله وبعده نتضرع إلى الله العلي الأعلى أن يرزقنا القدرة وإخواننا على الوصول إلى الحق الذي تمثله رسالة القرآن الكريم وهدي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع من اتبعه وسار على هداه إلى يوم الدين.

عندما اخترت كلمة "***حـوار***" وجعلتها بداية عنوان هذا الكتاب لم يأت الاختيار عفو الخـاطر ، أو من غير قصد؛ لقد اعتبرت الشروع في تناول الموضوع فاتحة لحـوار مع الذات .. إذ هو حوار داخل الأسرة الواحدة، مع إخواننا وأخواتنا، يستفز مشاعر الأخوة ويستدعيها من أعماق النفس والضمير؛ ولذا فهو مفعم بالود والمحبة والعاطفة الدافئة، وهكذا يجب أن يكون؛ ومع ذلك فهو حوار لا يغفل الوضوح والصراحة، وتسليط الضوء على أعتى مكونات الخلاف، مع الاحترام الكامل للأخ والأخت، ومع إدراك واستحضار عمق الجروح ومرارة الآلام التي حفرتها – في بعض المراحل من تاريخنا الواحد – ممارسة العنف والقسوة بعضنا ضد بعضنا الآخر. ثم إننا أردنا له أن يكـون حـوارا، وليس مناظرة أو مجادلة أو شــجارا ، بالقلم أو باللسان، أو باليدين. غير أن الحوار ، أي حوار ، ينبغي أن تحكمه مبادئ وقواعد وضوابط ، توجهه وتحدد مساراته ، وتحميه من الانحراف في اتجاه غير صحيح. ومن فضل الله علينا أنـه أمدنا بأهم هذه المبادئ والقواعد والضوابط، فيما أنزل على رسوله من آيات القرآن الكريم، وخاصة في قوله تبارك وتعالى:

((ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ؛ فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة؛ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين.)) [سورة النحل/36].

((... وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة...)) [سورة البقرة/83].

((وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن؛ إن الشيطان ينزغ بينهم؛ إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا)). [الإسراء/53؛ المؤمنون/96].

((قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله، وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين. قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون؛ قل يجمع بيننا ربنا، ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم.)) [سورة سبأ/24-26].

وفي هذه الآيات الأربع نجد أن الله جل وعلا يأمرنا أن نعبده – بأداء الشعائر التعبدية، وبالتزام توجيهه وما أنزل لنا من مبادئ وقيم في سلوكنا - وأن نتجنب ممارسة الطغيان، واتباع الطغاة ومعاونتهم، وأن نرفض الخضوع لهم. كما أنه يوجهنا لمخاطبة الناس بأساليب حسنة نقول "للناس حسنا"، ونخاطبهم بالعبارات المستحسنة، ونختار الأحسن منها ،حتى عندما نتعامل مع غير المسلمين؛ فكيف بنا عندما نخاطب إخواننا المسلمين الذين يشاركوننا الإيمان بالله وبرسوله وكتابه، وباليوم الآخر !

قواعد الحوار وضوابطـــه:

أولا: عدم السماح للحوار بأن يتحول إلى مناظرة أو جدال تهدف إلى هزيمة الطرف الآخر نقاشيا والانتصار عليه

ثانيا: أن يلتزم الطرفان بأدب الحوار من حيث احترام الطرف الآخر، واحترام حقه في أن تكون له رؤيته المستقلة وتفضيلاته وخياراته

ثالثا: القبول نظريا - على الأقل، وفي مجلس ا لحوار وعلى مائدته – باحتمال أن يكون الحق مع الطرف الآخر، وأن هذه الاحتمالية تمثل مبدأ وأساسا للحوار ، وأنه لا يمكن أن يكون هناك حوار بغير ذلك

رابعا: الالتزام بمبدأ التواضع، وترك التعالي في التعامل مع الطرف الآخر، واستبعاد أية محاولة لفرض المسلمات المسبقة لأي طرف على الآخر

خامسا: استبعاد المنطق التبشيري الذي يرمي إلى تحويل الطرف الآخر، أو ضمه أو إلحاقه، أو احتوائه دينيا أو ثقافيا أو سياسيا

سادسا: التركيز على محاولة الوصول إلى درجة عالية ، بل كاملة ، من الوضوح بحيث يصبح كل من الطرفين مفهوما للطرف الآخر فهما موضوعيا وصحيحا

سابعا: التركيز على محاولة اكتشاف العناصر والمبادئ المشتركة بين الجانبين

ثامنا: أن يكون الهدف النهائي للطرفين هو الوصول إلى التعاون المشترك بشكل كامل ، أو في إطار الأمور المتفق عليها لخير عامة الناس من الطرفين، ولخير أمة الإسلام، ولخير البشرية عامة

تاسعا: أن يحذر كل طرف مما قد ينزلق إليه من افتراض أن ما يعتقده ويتبناه هو المقياس الآحادي الذي يقوم عليه الحوار ويحاول إلزام الطرف الآخر بذلك

عاشرا: أن يحذر كل طرف من التوهم أن الطرف الآخر الذي يحاوره قد جاء محتاجا ، أو جاء ليطلب منه شهادة حسن سلوك .

دلالات بعض المصطلحات والألفاظ:

يبدو لي أن من أهم الألفاظ التي نحتاج إلى تحديد مدلولها كلمتي ***"الشيعة"*** و ***"السـنـة"***. نحن جميعا نعرف أن اللفظ الواحد له معنى لغوي واحد، أو أكثر من معنـى أحيانا؛ بيد أن اللفظ نفسه عندما يستخدم في دائرة أو إطار أحداث، أو فكرة معينة بصورة مستمرة، مشيرا إلى نفس المدلول، فإنه يكتسب – في هذه الحالة - معنى جديدا مختلفا عن المعنى اللغوي، إذ يصبح له معنى اصطلاحي. وهذه القاعدة تنطبق على كلمتي السنة والشيعة. فكلمة "شيعة" في مدلولها اللغوي لا تعني أكثر من "مؤيد" أو "مناصر" لشخص ما، أو زعامة ما، من غير أن يكون الشخص المعني مرتبطا بعقيدة دينية معينة بالضرورة؛ إذ ربما يكون التأييد لرئيس قبلي، أو لرئيس عشيرة، أو لمجرد القرابة النسبية؛ وقد يكون لشخص يملك الجاذبية (الكارزما) التي تشد إليه الناس، أفرادا وجماعات، وتجعلهم ينضمون إلى أنصاره السابقين، وقد يكون ذا عقيدة سياسية، أو عقيدة دينية معينة تستهوي بعض الناس، فيكون التأييد وتكون المناصرة للعقيدة، والانتماء الديني قبل أن تكون للشخص. وفي هذا الإطار العام وردت كلمة ***"شيعة"*** وبعض مشتقاتها في القرآن الكريم عدة مرات، وذلك في قول الله تعالى شأنه : "فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من ***شيعـتـه*** وهذا من عدوه. فاستغاثه الذي من ***شيعته*** على الذي من عدوه، فوكزه موسى فقضى عليه [1]..."؛ "وإن من ***شيعته*** لإبراهيم [2]". "ولقد أهلكنا ***أشياعكم*** [3] "؛ "... وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بـ***أشياعهم*** من قبل [4] ". "ولقد أرسلنا من قبلك في ***شيع*** الأولين [5]."

ففي كل هذا الآيات ورد لفظ "***شيعة*** " بمعنى الأنصار والأتباع؛ وكلمة ***شيع***(الحجر/10) صيغة جمع لشـيـعـة ، وكذلك كلمة ***أشـياع***.

ولا يبعد عن هذا المعنى ما ورد في سورة الأنعام : أو يلبسكم ***شيعا*** ويذيق بعضكم بأس بعض (آية 65)، والآية (159): "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا ***شيعا***..." ؛ أو في سورة القصص (آية 4): ((إن

---

[1] سورة القصص ، آية رقم 15.
[2] سورة الصافات ، آية رقم 83.
[3] سورة القمر ، آية رقم 51.
[4] سورة سبأ ، آية رقم 54.
[5] سورة الحجر ، آية رقم 10.

فرعون علا في الأرض وجعل أهلها ***شـيعا...***)) ؛
ففي هذه الآيات تأتي كلمة " شـيعا " غير منسوبة لأحد ، لكنها تعني : تكتلا بشريا ملتفا حول شخص، أو عصبية قبلية، أو مصلحة ومنفعة اقتصادية، وهنا تكون المناصرة إما لشخص، أو فكرة، أو قبيلة ...الخ.

وبجانب ما سبق من التعريفات، فإن كل من له خبرة جيدة بمصادر التاريخ الإسلامي، وغيره من المصادر الإسلامية، يعرف مثلا أن معاوية بن أبي سفيان استخدم عبارة "هؤلاء شيعتنا" بمعنى "أنصارنا"، أو استخدمها بصيغة المفرد، وبنفس المعنى. وقد استخدم اللفظ أيضا في الحديث عن شيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ كذلك فإننا نجد الخلفاء العباسـيين الأوائل يستخدمون نفس الأسلوب والتعبيرات "هذا من ***شيعتنا***" و "***هؤلاء شيعتنا***"، ونجد مؤرخين يذكرون "***شيعة بني العباس.***" في هذه الاستخدامات كلها كانت اللفظة ذات مدلول لغوي.

والتشيع بهذا المعنـى اللغـوي – بالنسبة لموضوع كتابنا هذا – يمكن أن نميزه ونسميه بـ "التشيع السياسي". ولا مراء في أن "التشيع السياسي" العلوي ، أي التشيع لعلي رضي الله عنه ولأسرته، هو الذي عرفه المجتمع الإسلامي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بعد وفاة عثمان رضي الله عنه. وقد امتدت مرحلة سيادة هذا التشيع السياسي حقبة تزيد على مـئـتي سنـة.

" الشيعـة " بـالمعنى الخـاص، الإصطلاحي:

بيد أن مضمون اللفظة ومشتقاتها كان مختلفا بالنسبة لاستخدامها من قبل الشيعة عامة منذ منتصف القرن الثالث للهجرة وما بعده، ومن قبل إخواننا الإثني عشرية خاصة . ذلك أن إخواننا الإثني عشرية تشكل عندهم مكون اعتقادي جديد انضاف إلـى المكونات الإعتقادية الأخرى التي شاركهم فيها غيرهم من المسلمين ، وصار هذا المكون الجديد هو العنصر الذي ميزهم عن غيرهم من المذاهب الإسلامية، وينطبق هذا القول أيضا على الفرق الشيعية الأخرى غير الإثني عشرية. وهذا النوع من التشيع - بالمعنى الخاص ، الاصطلاحي - رأيت تسميته بـ "التشيع الـعـقـيـدي"، بمعني أنه ينبثق من مكونات عقيدية دينية، يؤمن بها متبعوها كما يؤمنون بوجود الله تعالى ، وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وباليوم الآخر، وبكتب الله ورسله.

إذن ، صار لدينا نوعان من التشيع : " التشيع السياسي " و " التشيع العقيدي ".

وقد صارت المذاهب غير الشيعية تعرف بمذهب "***السنة***" ، أو "***أهل السنة***"، أو "***أهل السنة والجماعة***"، تمييزا لها عن الإمامية الإثني عشرية، وعن فرق الشيعة الأخرى، التي أعلنت الانتماء والولاء إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وإلى عدد من أبنائه وأحفاده . وقد تعددت المذاهب داخل الكتلة السنية، كما تعددت داخل الكتلة الشيعية العامة، ولم يبق خارجا عن الجانبين سوى المذهب الأباضي، الذي يعتبر واحدا مما انبثق من المجموعات التي عرفت في التاريخ باسم ***الخوارج***، وكذلك المذهب المعتزلي.

أمـا لفظـة "***السنـة***" فمعناها اللغوي هو "***الطريق***" أو الطريقة. أما المعنى الإصطلاحي فهو يشير إلى "***الالتزام باتباع طريق رسول الله***" صلى الله عليه وسلم، أو طريقته، أو الجماعات، أو الكتلة الدينية التي تتبنى ذلك. وقد تبلور هذا الاصطلاح بنفس هذا المعنى بعد أن صار اصطلاح

"***الشيعة***" يحمل معنى عقائديا. أي أن الجماعات التي حرصت على تمييز نفسها عن جميع المذاهب الشيعية أعطت لنفسها وأتباعها هذه التسمية التمييزيـة.

والحقيقة أن هذه التسمية تنطوي أيضا على تضمين سلبي غير مباشر، فحواه وصف للشيعة واتهام لهم بأنهم لا يسيرون على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يتبعون طريقته، وأن اتباع الرسول منحصر في أهل السنة والمذاهب السنية . والشيعة لا يقبلون هذا الوصف، بطبيعة الحال ويردون التهمة ويوجهونها إلى السنة. ثم إن من يطالع المصادر الشيعية، القديمة والحديثة يجد أن علماء الشيعة يذكرون "***السـنـة***" بـمعـناها الإصطلاحي – أي اتباع طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم - باعتبارها مصدر إرشـاد وهـدايــة لهم وواجب الاتباع [6] . والذي يرفضه الشيعة – حسب فهمهم أو ادعائهم - ليس "***السنة النبوية***" ، بل إنهم يرفضون ما يعتبرونه انحرافا من قبل "أهل السنة" وابتعادا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. أي أن كلا من الطرفين يعتقد، أو يزعم، أو يدعي، أنه هو الذي يسير على مقتضى السنة النبوية، وأن الفريق الآخر لا يتبعها ، بل يتمرد عليها ويخالفها. وهذه الإشكالية لا يمكن حلها بمجرد إعلان حكم، أو قرار أو اختيار ، دون دراسة لمواقف ومقولات الجانبين بشئ من التفصيل ، بل إن الحل يتطلب كثيرا من المناقشة والحوار، واستدعاء الأدلة ونقدها ومقارنتها – من غير انحراف إلى المناظرة - بغية الوصول إلى حكم واضح صاحبته أثناء تركيبه وبنائه إضاءة قوية ومتصلة ؛ وهذا ما نطمح أن نصل إليه في القسم الأخير من هذه الدراسة. وثمة مصطلحات أخرى مهمـة رأيت تأخير تعريفها إلى أن نتناولها موضوعا للدراسة والتحليل، وذلك تجنبا للتكرار.

العـنـاصـر الـتي تـوحـدنـا :

عندما يمـر الشـيعـي بكـتب "السـنـة" ، وعندما يمـر السـني بكتب "الشـيعة الإثني عشرية" سيجد كل منهما عددا كبيرا من الاعتقادات والممارسات السلوكية الأساسية المتماثلة ، سيجدها هي نفسها عند إخوانه من الفريق الآخر؛ وهذا ينطبق – بالدرجة الأولى - على ***الإيمان بوجود الله*** سبحانه وتعالى؛ وعلى ***الإيمان بوحدانية الله*** تبارك وتعالى؛ ***وعلى الإيمان برسالة محمد*** صلى الله عليه وسلم ؛ ***والإيمان بالقرآن الكريم*** كتاب الله المنزل على رسوله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ؛ والإيمان برسل الله المذكورين في القرآن الكريم جميعا، وبما أنزل عليهم من كتب من عند الله؛ ***والإيمان بالملائكة*** ؛ ***والإيمان، باليوم الآخر والحساب والثواب والعقاب*** ؛ وتلك هي مكونات الإيمان الرئيسـية.

أمثلة من عناصر الاتفاق :

سوف نستعرض هنا امثلة من المصادر السنية والمصادر الشيعية دون التقيد بأن تكون متعلقة في الحالات كلها بنفس الجزئية – سواء من نص أو من ممارسة عملية – ونترك للقارئ والقارئة أن يدرك كل منهما بنفسه سعة حجم التماثل والاتفاق. سنبدأ بأمثلة من كتاب الكليني ، ***فـروع الكـافي***،

---

[6] أنظر على سبيل المثال: أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ، ***أصول الكافي***، ص 38 و 43-44 ؛ والكليني أيضا ، ***فروع الكافي*** ، ص 1150 ؛ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القـمـي ، ***من لا يحضره الفقـيـه*** ، ص 180 ؛ أبو الفضل علي بن الحسين الطبرسي، ***مشكاة الأنوار في غرر الأخبار*** (قـم – إيران : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، 1423 ه. ق.)، ص 339 – 342 . وقد مر معي استخدام اللفظ بهذه الدلالة، "سنة أو طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم" عشرات المرات، من غير تتبع أو قصد.

باعتباره أهم الكتب الشيعية الإمامية ، وسنذكر رقم الصفحة عند نهاية كل نص، ثم نضيف إلى ذلك اقتباسات من المصادر الإثني عشرية المهمـة الأخرى.

في شأن الطهارة والوضوء :

- الماء كله طاهر حتى يعلم أنه قذر. – ماء البحر طهور . – الماء الذي لا ينجسه شئ، ما كان مقداره كـر؛ والكر ثلاثة أشبار ونصف في مثلها عرضا وعمقا [7]. – ماذا يقال بعد الوضوء ؟ : أشهد أن لا إله إلا الله؛ اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، والحمد لله رب العالمين [8].

وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن أبي عبدالله [الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه] : دعى بقدح من ماء فأخذ كفا من ماء فأسدله على وجهه، ثم مسح وجهه من الجانبين جميعا، ثم أعاد يده اليسرى في الإناء فأسدلها على يده اليمنى، ثم مسح جانبها، ثم أعاد اليمنى في الإناء فصبها على اليسرى، ثم صنع بها كما صنع في اليمنى، ثم مسح بما بقي في يده رأسه ورجليه، ولم يعدهما في الإناء [9].

وقد نقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصفا لوضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم من رسالة توجيهية أرسلها أمير المؤمنين علي إلى والي مصر من قبله ، محمد بن أبي بكر الصديق:

"...ثم الوضوء، فإنه من تمام الصلاة : إغسل كفيك ثلاث مرات، وتمضمض ثلاث مرات، واستنشق ثلاث مرات، واغسل وجهك ثلاث مرات، ثم يدك اليمنى ثلاث مرات إلى المرفق، ثم يدك الشمال ثلاث مرات إلى المرفق، ثم امسح رأسك ، ثم اغسل رجلك اليمنى ثلاث مرات، ثم اغسل رجلك اليسرى ثلاث مرات، فإني رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم هكذا كان يتوضأ. قال النبي صلى الله عليه وسلم: الوضوء نصف الإيمان [10]." وقد وصلنا هذا الوصف ضمن واحد من أقدم الكتب الشيعية التي وصلتنا؛ وقد توفي مؤلفه سنة 283هـ ، أي قبل وفاة الكليني بخمس وأربعين سنة.

وتتكرر الروايات عن الوضوء وكيفيته، مع اختلاف يسير أحيانا.

باب ما ينقض الوضوء وما لا ينقضه :

عن أبي عبدالله [الإمام جعفر الصادق]: "ليس ينقض الوضوء إلا ما خرج من طرفيك الأسفلين اللذين أنعم الله عليك بهما." **وعن الرضا [الإمام الثامن] :** " إنما ينقض الوضوء ثلاث : البول والغائط والريح [11]."

---

[7] الكليني، ***فروع الكافي*** ، ص 5- 6 ؛ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، ***تهذيب الأحكام في شرح المقنعة*** (طهران : دار الكتب الإسلامية ، 1390 هـ . ق .)، حققه وعلق عليه الحجة السيد حسن الموسوي الخرسان ، المجلد 1 ، ص 408، وانظر ص 214.

[8] الكليني ، ***فروع الكافي*** ، ص 13 ؛ وهذا النص اقتبسناه من مصدر شيعي، وهو عند السنة بكلماته كلها تقريبا، وبمضمونه كاملا.

[9] ***المصدر نفسه*** ، ص 17 ؛ قارن مع الطوسي ، ***تهذيب الأحكام في شرح المقنعة*** ، مجلد 1 ، ص 53 – 54 .

[10] أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، المتوفى 283هـ ، ***الغارات*** ، بتحقيق السيد جلال الدين المحدث (طهران : سلسلة انتشارات آنجمن آثار ملي رقم 14 ، صدر سنة 1395 هجري قمري) ، ص 244- 245 . والثقفي له ذكر عال بين أقدم مؤلفي الشيعة.

[11] الكليني ، ***فروع ا لكافي***، ص 24 ؛ قارن مع محمد بن الحسن الطوسي، ***تهذيب الأحكام*** ، م 1 ، ص 25 و 345 – 351 .

الســـواك :

ركعتان بالسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة [12]."

الغســل: عن أبي عبدالله [جعفر الصادق] **"** الغسل من الجنابة، ويوم الجمعة، والعيدين، وحين

تحرم، وحين تدخل مكة والمدينة، ويوم عرفة... " [ص 27]. ثم يأتي بعد ذلك الحديث عن الجنب وأحواله في الأكل والشرب ودخول المسجد ...الخ. إلى ص 34 .

- وفي صفحة 43 يبدأ كتاب الحيض، والنفساء ... الخ. حتى ص 59 وفيها يبدأ كتاب الجنائـز، ثم باب تلقين المـيت : عن أبي عبدالله [الإمام جعفر الصادق، سادس الأئمة] "... فلقنه شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله." [ص 64].

- يبدأ كتاب الصلاة ص 135 ويستمر حتى ص 258. مواقيت الصلاة تحدد عند الإمامية بمضمون عدد من الآيات القرآنية : ((أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل، وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشــهودا))؛ ((أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل))؛ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى))؛ ((إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا.))

علي بن أبي طالب يصف الصلاة:

ونستعرض هنا وصية من الخليفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأحد ولاته على مصر أيام خلافته، والوصية تبرز أن ما يمارسه بعض إخواننا الشيعة في جزئيات أداء الصلاة أحيانا إنما يمثل خيارات خاصة لمجموعة خاصة كأتباع أحد المجتهدين، أو المتصوفة، وليست بالضرورة نمطا عاما للأداء عند الإمامية جميعا. قال أمير المؤمنين علي رضي الله عن مخاطبا والي مصر الذي وجه إليه الرسالة:

" أنظر يا محمد [محمد بن أبي بكر الصديق] صلاتك كيف تصليها، فإنما أنت إمام ينبغي لك أن تتمها بالأركان، ولا تخففها، وأن تصليها لوقتها، فإنه ليس من إمام يصلي بقوم فيكون في صلاتهم نقص إلا كان اثم ذلك عليه، ولا ينقص ذلك من صلواتهم شيئا... أنظر صلاة الظهر فصلها لوقتها ، لا تعجل بها عن الوقت لفراغ ولا تؤخرها عن الوقت لشغل ؛ فإن رجلا جاء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسأله عن وقت الصلاة، فقال صلى الله عليه وسلم : أتاني جبرئيل فأراني وقت الصلاة : فصلى الظهر حين زالت الشمس، ثم صلى العصر وهي بيضاء نقية، ثم صلى المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى العشاء حين غاب الشفق، ثم صلى الصبح فأغلس به والنجوم مشتبكة؛ كان النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – كذا يصلي

---

[12] ***المصدر نفسه***، ص 16.

قبلك، فإن استطعت ولا قوة إلا بالله أن تلتزم السنة المعروفة وتسلك الطريق الواضح الذي أخذوا به فافعل؛ لعلك تقدم عليهم غدا [13] ."

وفي ضوء ذلك يمكنني القول إن ما يصدر عن بعض العلماء الشيعة فيما يتعلق بجمع صلوات الظهر والعصر معا، وجمع المغرب والعشاء كذلك، إن مثل هذه الفتاوى لا يعدو التخفيف عن الناس في بعض ظروف حياتهم، وليس هو القاعدة العادية والأساسية في الممارسة، بل هو الاستثناء : ((ما جعل الله عليكم في الدين من حرج.))، أو هكذا يجب أن نفهمه ويفهمه إخواننا الشيعة أنفسهم.

وفيما يلي نعرض مثالا (أنموذجا) للصلاة منقولا عن الإمام جعفر الصادق، وهو يعلم أحد أتباعه ، واسمه حماد، كيفية الصلاة:

" قام أبو عبدالله عليه السلام مستقبل القبلة منتصبا، فأرسل يديه جميعا على فخذيه، قد ضم أصابعه وقرب بين قدميه حتى كان بينهما قدر ثلاث أصابع منفرجات، واستقبل بأصابع رجليه جميعا القبلة، لم يحرفهما عن القبلة، وقال بخشوع: الله أكبر. ثم قرأ الحمد بترتيل وقل هو الله أحد، ثم صبر هنيـة بقدر ما يتنفس وهو قائم، ثم رفع يديه حيال وجهه وقال: الله أكبر، وهو قائم، ثم ركع وملأ كفيه من ركبتيه منفرجات ورد ركبتيه إلى خلفه حتى *استوى ظهره حتى لو صب عليه قطرة من ماء أو دهن لم تنزل لاستواء ظهره* [14]، ومد عنقه وغمض عينيه ثم سبح ثلاثا بترتيل فقال : سبحان ربي العظيم وبحمده، ثم استوى قائما؛ فلما استمكن من القيام قال: سمع الله لمن حمده. ثم كبر وهو قائم ورفع يديه حيال وجهه ثم سجد وبسط كفيه مضمومتي الأصابع بين ركبتيه حيال وجهه، فقال: سبحان ربي الأعلى وبحمده ثلاث مرات، ولم يضع شيئا من جسده على شئ منه، وسجد على ثمانية أعظم : الكفين والركبتين وأنامل إبهامي الرجلين والجبهة والأنف، وقال: سبعة منها فرض يسجد عليها ... وهي الجبهة والكفان، والركبتان والإبهامان. ووضع الأنف على الأرض سنة. ثم رفع رأسه من السجود، فلما استوى جالسا قال: الله أكبر. ثم قعد على فخذه الأيسر، وقد وضع ظاهر قدمه اليمنى على بطن قدمه الأيسر، وقال: أستغفر الله ربي وأتوب إليه. ثم كبر وهو جالس وسجد السجدة الثانية، وقال كما قال في الأولى، ولم يضع شيئا من بدنه على شئ منه في ركوع ولا سجود، وكان مجنحا ولم يضع ذراعه على الأرض، فصلى ركعتين على هذا ويداه مضمومتا الأصابع وهو جالس في التشهد. فلما فرغ من التشهد سلم، فقال: يا حمـاد، هكذا صـل [15]."

---

13 أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ، ***الـغـارات***، مجلد 1 ، ص 244 - 245 . وقد توفي الكوفي سنة 283هـ ؛ وإذا كان هذا هـو المثال والأنموذج في أداء الصلوات في عصر إبراهيم الثقفي الكوفي فإن هذا يعني أن التخفيف والتغيير حدث بعد ذلك ، في القرن الرابع الهجري (300 هجرية إلى 400 هجرية) وما بـعـده .

14 تبدو لي العبارة المكتوبة بخط مائل – وهي من كلام الراوي - تبدو مشحونة بشئ من المبالغة، لأن هذا الوضع لا يستطيعه، او لا يلتزمه أكثر المصلين لاختلاف بنية كل منهم على نحو أو آخر، بسبب السمنة، أو الكرش، أو المرض، أو لأن الكثيرين قد يبالغون في الانحناء أثناء الركوع تأكيدا لمعنى الخضوع لله سبحانه، وكل ذلك من الأمور التي لا يؤاخذ الناس عليها. وهذه المبالغة ليست عند الشيعة فـقـط ، بل هي عند السنة أيضا، وقد قرأتها في كتاب بعنوان ***صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم***، للشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله، الذي يعتبره كثيرون من السنيين محدثا سـلفيا سنيا مشهورا في عصرنا .

15 محمد بن يعقوب الكليني ، ***فروع الكافي*** ، كتاب الصلاة ، ص 159؛ وقد ورد وصف طريقة الصلاة بهذه الكيفية أيضا وبنفس النص، عند

وفي رواية عن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه نجد أنه سئل عن القراءة في الصلاة؛ قال الراوي: "قلت لأبي عبدالله عليه السلام، إذا قمت إلى الصلاة أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة القرآن ؟ قال : نعم؛ قلت: فإذا قرأت فاتحة القرآن أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم مع السورة [الأخرى] ؟ قال: نعم [16]."

هنا نحب أن نذكر أن هناك اختلافا بين المذاهب السنية حول قراءة البسملة والجهر بها، حيث يقرأ الشافعية الملتزمون بحرفيات المذهب البسملة جهرا، بينما يبدأ أتباع المذاهب الثلاثة السنية الأخرى القراءة الجهرية بـ "الحمد لله رب العالمين" دون أن تسبقها البسملة . وخلاصة هذه الملاحظه أن هناك مواضع يختلف فيها سني مع سني آخر، بينما يتفق فيها مع شيعي.

- **الأذان** : وننقل فيما يلي، عن ابن بابويه القمي، من كتابه ***من لا يحضره الفقيه***

- كيفية أداء الأذان. وقد نسب ابن بابويه القمي "الحديث" إلى جعفر الصادق، رضي الله عنه :

- عن أبي عبدالله ..." الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح؛ حي على خير العمل، حي على خير العمل، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله."

"ولا بأس أن يقال في صلاة الغداة [الفجر] على أثر حي على خير العمل : "الصلاة خير من النوم مرتين." وقال المصنف [إبن بابويه القمي] هذا هو الأذان الصحيح، لا يزاد فيه ولا ينقص."

هنا نجد أن الأذان السني والأذان الشيعي متماثلين، باستثنا جزء صغير. وهذا الجزء المختلف فيه ليس فيه أية مناقضة لما يتبعه أهل السنة؛ فعبارة "حي على خير العمل" عبارة تحض على الخير. وللشيعة حجة بأنهم ينقلونها عن أئمتهم، وأنهم يتبعون فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويضيف ابن بابويه معلومة عن بعض الاختلافات داخل الفرق الشيعية بقوله:

" ***والمفوضة*** [17] لعنهم الله قد وضعوا أخبارا وزادوا في الأذان: "محمد وآل محمد خير البرية " مرتين؛ وفي بعض رواياتهم، بعد "أشهد أن محمدا رسول الله" : أشهد أن عليا ولي الله ، مرتين ؛ ومنهم من روى بدل ذلك : "أشهد أن عليا أمير المؤمنين حقا" مرتين. ولا شك في أن عليا ولي الله وأنه أمير المؤمنين حقا، وأن محمدا وآله صلوات الله عليهم خير

ابن بابويه القمي ، ***من لا يحضره الفقيه*** ، ص 117- 118 .

16 الكليني ، ***فروع الكافي*** ، ص 159 .

17 فرقة منقرضة من الشيعة.

البرية، ولكن ليس ذلك من أصل الأذان؛ وإنما ذكرت ذلك ليعرف بهذه الزيادة المتهمون بالتفويض، المدلسون أنفسهم في جملتنا [18]."

غير أن هذا الذي ذكره ابن بابوية بشأن عبارة "اشهد أن عليا ولي اللــه" إذ نسبها إلى "الـمـفـوضـة" ولعنهم ، يبدو اجتهادا خاصا لـه ولمن اتبـعـه ، ذلك أننا نجد هذه العبارة : "أشهد أن عليا ولي الله" في متن نص الأذان في كتيب صغير لتعليم الصلاة وفق فتاوى "سماحة آية الله العظمـى السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله)" ، والكتاب موجه لتعليم الصبيان والبسطاء المـبـتدئـين ، وموضحا بالصور [19] ، وصدرت طبعته الرابعة سـنة 1425هـ/2004م في سـوريا [20] . وقد سمعت بنفسي صيغـة "أشهد أن عليا ولي الله" ضمن الأذان وهو يرفع في مسجد للشيعة الإثني عشرية كان مجاورا لبيتي في معظم سني الثمانينات من القرن العشرين، ولم أكن أشعر بأئ انزعاج أو ضيق نتيجة لذلك . وهذا يعني أن الاختلافات في داخل البيت الشيعي الإثني عشري ما زالت موجودة حتى في أمور أساسية مثل صيغة الأذان ، وتستوجب اللعن عند بعضهم، كما ورد عند ابن بابوية القمي، وهو ثالث ثلاثة في أعلى قمـة بالنسبة لمحدثي وفقهاء الإثني عشرية ، بعد الأئمة الإثني عشر. كما أننا نجد قولا منسوبا إلى جعفر الصادق رضي الله عنه يحض الشيعة على قول : "علي أمير المؤمنين" ضمن الأذان ، بغض النظر عن لعن ابن بابويه لمن يفعل ذلك !!

لا يقطع السارق في المجاعــة :

عنعنـــة ... عن أبي عبدالله [جعفر الصادق] قال: " لا يقطع السارق في سنة المحل في كل شئ يؤكل، مثل الخبز واللحم وأشباه ذلك [21]." وهذا نجد شبيهه عند أهل السنة حيث أوقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنفاذ حد السرقة في عام الرمادة (أي المجاعة).

باب كراهية اليمين :

عنعنـة ... عن أبي عبدالله [جعفر الصادق] " لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين، فإنه عز وجل يقول: ((ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم [22]...))

وهذا ما يتفق فيه السنة والشيعة سواء، حيث يستند السنة إلى الآية نفسها، وإلى أحاديث نبوية من طرق محدثيهم تحمل المضمون نفسه.

أمثلة من المصادر الســـــنية:

وهنا سوف نستعرض قدرا **من** النصوص الرئيسية الواردة في المصادر السنية – في إطار ممارسة العبادات - لنتبين أن المسلم، سنيا كان أو شيعيا، يعيش في نفس الإطار الفكري والروحى، وتشغله نفس الممارسات والموضوعات، مع وجود اختلافات يسيرة في الشكل، وفي المضمون أحيانا، دون أن تخرجه تلك الاختلافات من الإطار الواحد. ونحن لسنا بسبيل المقارنة الحرفية للنصوص ، كلمة بكلمة، فذلك غير متيسر، لأن طريقة المعالجة في مصادر الطرفين لم تلتزم نفس الأسلوب، من حيث ترتيب الموضوعات المبحوثة، أو مقدار التركيز على نقطة معينة، ومقدار ما تعطاها من الكم الزمني ومن الحجم والمقياس المكاني؛ فضلا عن الميل إلى الاختصار أوالإسهاب أحيانا.

---

18 إبن بابوية القمي، ***من لا يحضره الفقيه*** ، ص 112- 113 ؛ وقارن مع الطوسي ، ***تـهـذيـب الأحـكـام*** ، م 2 ، ص 59 – 64 .

19 ***تـعـلـيـم الـصـلاة وفق فتاوى سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم*** ، إصدار ممثلية سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحيكم، دام ظله ، الســيدة زينب ، سـوريا ، الطبعة الرابعــة ، 1425هـ/2004م) ، ص 21 .

20 وقد ذكر في حاشية ص 21 من نفس الكتيب الصغير أن الشهادة بولاية علي ليست جزءا من أصل الأذان لكنها مستحبة.

21 الكليني ، ***فروع الكافي*** ، كتاب الحدود ، ص 1328 .

22 ***المصدر نفسه*** ، ص 1443 .

لو استعرضنا شيئا من الموضوعات التي يتناولها ***صحيح مسلم*** – بشرح النووي، في جزئيه الأول والثاني - نجد الحديث فيه عن الإيمان ومتعلقاته أولا. أما موضوع الطهارة فيبدأ الحديث عنه في ا لجزء الثالث. بينما بعض الطبعات الجديدة من الكليني أفردت كتابا مستقلا للأصول - ومن ضمنها موضوع الإيمان – وهو كتاب ***أصول الكافي،*** كما أفردت كتابا مستقلا للفروع ، ***فروع الكافي*** [23]. أما عند البخاري ومسلم فإن موسوعة الحديث عند كل منهما جامعة شاملة، تتناول موضوعات الأصول والفروع تحت العنوان العام الواحد : ***الجامع الصحيح***. ومع ذلك فإن التبويب والتفصيل والتمييز يحدث ضمن هذا ***الجامع الصحيح***، وتستخدم كلمة كتاب، وباب، لتفرد كل موضوع بجزء معين، ولكن تحت العنوان الرئيسي الواحد، وذلك ما نجده في كتاب الكليني أيضا، حيث يقسم "جامعه" تحت عناوين "كتاب" و "باب". وبعد أن يبدأ مسلم والبخاري بموضوع الإيمان يجري الانتقال إلى موضوع الطهارة، وغيره من الموضوعات: فضل الوضوء، وجوب الطهارة للصلاة، صفة الوضوء وكماله، فضل الوضوء والصلاة عقبه، الذكر المستحب عقب الوضوء، السواك، خصال الفطرة: الختان، كيفية إعفاء اللحية، المسح على الخفين ومقدم الرأس ... الخ. وهذه العناوين كلها من ***صحيح مسلم***، دون استقصاء أو تركيز.

الوضوء: باب التخفيف في الوضوء: عنعنة ... عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قام

فتوضأ من شن[24] معلق وضوءا خفيفا ... وقام يصلي ، فتوضأت نحوا مما توضأ ثم جئت فقمت عن يساره ... فحولني فجعلني على يمينه [25]..."

- عن ابن عباس قال: " توضأ النبي صلى الله عليه وسلم مرة مرة [26]."
- عن عبدالله بن زيد "أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين [27]."
- عن مولى عثمان بن عفان أنه رأى عثمان بن عفان رضي الله عنه: " دعا بإناء فأفرغ على

كفيه ثلاث مرار فغسلهما، ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنشق، ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه إلى المرفقين ثلاث مرار، (ثم) مسح برأسه ، ثم غسل رجليه ثلاث مرار إلى الكعبين، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه [28]."

غسل الوجه باليدين من غرفة واحدة :

" حدثنا محمد بن عبدالرحمن ... عن ابن عباس أنه توضأ فغسل وجهه أخذ غرفة من ماء فمضمض بها واستنشق، ثم أخذ غرفة من ماء فجعل بها هكذا، أضافها إلى يده الأخرى فغسل بها وجهه ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليمنى، ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى، ثم مسح برأسه، ثم أخذ

---

[24] شـن: قربة خلقة، قديمة.

[25] ***صحيح البخاري*** ، ج 1 ، ص 77.

[26] ***المصدر نفسه***، كتاب الوضوء ، باب الوضوء مرة مرة، ج1 ، ص 85.

[27] ***المصدر نفسه*** ، كتاب الوضوء ، باب الوضوء مرتين مرتين، ج 1 ، ص 85.

[28] ***المصدر نفسه***، كتاب الوضوء ، باب الوضوء ثلاثا ثلاث ، ج 1 ، ص 85 ، ويتكرر الحديث في ص 87.

غرفة من ماء فرش على رجله اليمنى حتى غسلها، ثم غرفة أخرى فغسل بها رجله، يعني اليسرى، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ [29].

مثال آخر بالنسبة للوضوء : عنعنة ... عن حمران مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه : " أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دعا بوضوء فغسل كفيه ثلاث مرات، ثم مضمض واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات، ثم غسل اليسرى مثل ذلك ، " ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا [30]..."

ما دلالة هذا الاختلاف في كيفية أداء الوضوء ؟

1) دلالتها العامة : التيســـير على المسلمين في أداء عباداتهم وممارسة حياتهم،
2) الظروف المحيطة بالممارسة، من حيث المكان، وتوافر الماء وكميته، ومسألة الوقت، وغير ذلك من المتغيرات ، خاصة في بدايات العصر الإسلامي، في الوسط الصحراوي،
3) إن الاختلافات الشكلية والهامشية لا ينبغي أن تدفع بعض المسلمين إلى التعصب والتشاجر بله التكفير.

مثال يتعلق بكيفية أداء الصلاة :

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا لتصحيح طريقة صلاته: " إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا؛ ثم ارفع حتى تعتدل قائما؛ ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا؛ ثم ارفع حتى تطمئن جالسا؛ وافعل ذلك في صلاتك كلها [31]." ويلاحظ في نص هذا الحديث أنه لم يتضمن تفصيلا عن القراءة والتسبيح وسجود التشهد الأوسط ، والأخير ، لأن ذلك كله كان معروفا للمخاطب ولغيره من المسلمين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب [32]."

- "... رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حذو منكبيه إذا افتتح الصلاة،

- وإذا كبر للركوع، وإذا رفع رأسه من الركوع رفعها كذلك أيضا؛ وكان لا يفعل ذلك في السجود [33]."

أمثلة من أحاديث نبوية ترد عند السنة والشيعة معا:

ومن ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم الموجزة التي لم يسبق إليها :

---

29 *المصدر نفسه* ، ص 78 – 79 .
30 **صحيح مسلم** ، ج 3 ، ص 105- 108.
31 **صحيح البخاري**، ج1 ، ص 302 .
32 *المصدر نفسه* ، والصفحة ذاتها.
33 *المصدر نفسه* ، ص 294 .

تحت هذا العنوان نقرأ : "اليد العليا خير من اليد السفلى ." , "ما قل وكفى خير مما كثر وألهى." ، "سباب المؤمن فسوق ، قتال المؤمن كفر ..." ، "لا يلسع المؤمن من جحر مرتين." ، "إبدأ بمن تعول." ، "الحرب خدعة." ، "المسلم مرآة لأخيه." ، "إرحم من في الأرض يرحمك من في السماء." ، "من قتل دون ماله فهو شهيد." ، "لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه المؤمن فوق ثلاث." ، "من لا يرحم لا يرحم." ، "الولد للفراش، وللعاهر الحجر." ، "الدال على الخير كفاعله." ، "حبك للشئ يعمي ويصم." ، "إتقوا النار ولو بشق تمرة." ، "الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، ومن تناكر منها اختلف." ، "مطل الغني ظلم." ، "إحثوا التراب في وجوه المداحين." ، "ما نقص مال من صدقة." ، "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق [34]."

ولو وجهنا سؤالا لأي قارئ، سنيا كان أو شيعيا، "هل هذه الأحاديث النبوية الموجزة من مصدر سني أو من مصدر شيعي ؟. فسيقول كل منهما إنها من مصادر الفرقة التي ينتسب إليها، السني يقول لك : من مصدر سني، بينما يقول لك الشيعي إن مصدرها شيعي. وقد بينا المصدر في الحاشية.

والمضمون العام الواحد للروايات المتعلقة بالطهارة والوضوء والصلاة مما نقلناه من المصادر الشيعية والسنية: يبين أن الفروق اليسيرة في بعض أشكال الأداء هامشية ، ولا تمس جوهر وروح الممارسة؛ ومما يؤكد ذلك أننا نجد فروقا واختلافات من نفس المستوى بين أتباع المذاهب الإسلامية السنية المتعددة؛ وكذلك نجد اختلافات بين الروايات الشيعية المتعلقة بالممارسة.

الـفـصـل الــثـــانـــي

الخلافـات الإشـكالـية الصعـبة

مـقـدمــــــة :

[34] هذه "الأحاديث" التي وردت تحت هذا العنوان : (ومن ألفاظ رسول الله صلى ... الموجزة التي لم يسبق إليها:) أخذتها من قائمة طويلة من الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوردها محمد بن يعقوب الكليني، *أصول الكافي*، ص 786 – 789 ، وجميع هذه الأحاديث النبوية مررت بها في المصادر والكتب السنية منذ كنت صغيرا، وسمعتها مرات لا تحصى في خطب الجمعة في المساجد السنية.

أشرنا فيما سبق إلى قضايا الإيمان الرئيسية التي يتفق فيها السنة والشيعة: الأيمان بالله سبحانه وتعالى ، وبوحدانيته، وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وبجميع الرسل والأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، والإيمان بكتاب الله القرآن الكريم، وبكتبه الأخرى المنزلة ، وبملائكته ، وباليوم الآخر والحساب والجزاء في الآخرة. وهذه المسائل هي مجموع متطلبات الإيمان عند السنة، فإذا توفرت في إنسان فرد، أو في جماعة أو طائفة فإن ذلك الإنسان، وتلك الجماعة أو الطائفة تغدو في نظر أهل السنة ضمن الدائرة الإسلامية العامة الواسعة، التي تشمل كل من فيها بمبادئ الأخوة والتضامن والتعاضد، سواء في الحياة المدنية العادية، في الرخاء والشدة، أو في حالات الحروب والصراع وما يصاحبها من مخاطر وكوارث.

عقائد مضافـــة :

غير أن إخواننا الشيعة لديهم متطلبات عقيدية أخرى يعتبرونها أساسية ويرفعون درجة أهميتها إلى نفس مستوى مفردات الأيمان المشتركة التي عددناها هنا، وأشرنا إليها فيما سبق ، بل ويكفرون من يخالفهم فيها. وهذه المتطلبات على درجة كبيرة من الخطورة بحيث لا يمكن إغفالها أو غض الطرف عنها. ولأنها هي التي تميزهم عن غيرهم من المسلمين فقد يعطونها أهمية وعناية بالتركيز والتشديد أكثر من العناصر العقيدية المشتركة. ولذا فإنها ينبغي أن تكون الموضوع الرئيسي للحوار، وأن يكون الحوار بشأنها مستمرا، وأن يبقى بابه مفتوحا. ومع ذلك فإننا نأخذ في الاعتبار أن هذه الاختلافات الأساسية يمكن تصنيفها في إطارين، أو في مستويين :

الإختلافات الإشكالية المثيرة في المســتوى العقيدي :

أولا: حدود الاعتقاد في شأن أهل البيت

ثانيا: حدود الاعتقاد في شأن الإمامة والأئمة والوصي والوصية

ثالثا: الاعتقاد باثني عشر إماما (عند الشيعة الإثني عشرية)،

رابعا: الاعتقاد بغيبة الإمام الثاني عشر (عند الإمامية الإثني عشرية) التي يفترضون أنها بدأت حوالي سنة 260هـ وما زالت مستمرة حتى الآن، لتنتهي قبل يوم القيامة،

خامسا: الاعتقاد في شأن علم أئمة الشيعة : مصدره، حيازته، وزيادته المستمرة،

سادسا : القرآن الكريم : زيادته ونقصانه وتأويله وتوظيفه.

اختلافات إشكالية دون المستوى العقيدي :

أولا : حدود الاعتقاد بالتقية وممارستها،

ثانيا : الاعتقاد بزواج المتعـة وممارسته،

ثالثـا : وجوب شتم الصحابة، خاصة شتم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وشتم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واعتبار ذلك جزءا من العبادة ، وجزءا من متطلبات الإيمان،

رابعـا : إعلان البراءة من كل من لم ينضم إلى الشيعة الإمامية في تبني معتقداتهم الإضافية ، التي يعدونها من مفردات أصول الإيمان،

خـامسا: القول بالبداء ، بمعنى أن الله – سبحانه وتعالى – بدا له جديد ، فغـير ما قبله،

وسنتناول كلا من هذه الموضوعات في الإطار الذي حددناه في الفقرة التمهيدية فيما سبق، إطار الحوار الأخوي، حوار الذات، حوار النفس لذاتها، الحوار الذي لا يقلل من أهمية هذه الموضوعات الخلافية، ولكنه لا يسمح للحديث عنها بالانفلات مع العواطف الجامحة ، المؤدية إلى تحطيم المعاني والوشائح الأخوية، وإلى أن تغدو محفزة ودافعـة للفرقة والصراع والفناء، في سبيل العصبية العمياء.

أهــل الـبــيــت :

عبـارة "***أهل البيت***" صيغة فضفاضة، تتسع لأكثر من صورة بالنسبة لمدلولها ومعناها اللغوي؛ وهي تعني – في الاستعمال اللغوي العام ، بالفصحى والعامية – زوجة الرجل وأولاده الذين يعيشون معه في بيته ، أو زوجاته، إن كان معددا للزوجات؛ وفي بعض الحالات تقتصر على الزوجة، أو الزوجات. وقد تمتد في حالات أخرى لتشمل أولاده الذكور المتزوجين وعائلاتهم، أي ما يسمى بالأسرة الممتدة، أو العشيرة؛ وهذا ما نقصده بالقول إن التسمية فضفاضة. أما في مصطلح إخواننا الشـيعة، والإثني عشرية بشكل خاص، فإن " ***أهل البيت*** " – من خلال منظور حصري - هـم: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفاطمـة بنت الرسول، رضي الله عنها، وولداهما الحسن بن علي، والحسين بن علي، رضي الله عنهما. وهؤلاء الخمسة يـعـرفون بأنهم "***الخمسة النورانيون***". ثم يضاف إلى ***النورانيين*** تسـعة من نسل الحسين بن علي خاصة فيكتمل عدد الأئمـة، اثنا عشر إماما، يبدءون بعلي رضي الله عنه وينتهون بمحمد بن الحسن العسكري، الإمام الغائب [35]. وبعض الروايات تدخل الأئمة التسعة من نسل الحسين بن علي ضمن النورانين، وبذلك يصبح عدد أهل البيت – على سبيل الحصر – أربعة عشر شخصا ، وذلك بضمهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه فاطمة رضي الله عنها. ومن الأهمية بمكان أن يلاحظ أن الأئمة بعد علي هم من أبناء فاطمة رضي الله عنها ومن أحفادها فقط، ولا يدخل ضمن مدلول التسمية – عند إخواننا الشيعة الإمامية - أي من أولاد أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، من

---

[35] أنظر قائمة الأسـماء ، ص 41 .

زوجاته الأخريات؛ هذا مع العلم أن عليا عليه السلام تزوج بعد وفاة فاطمة بنت رسول الله تسع نساء[36] ، فضلا عما كان له من الإماء؛ وكان مجموع أبنائه الذكور أربعة عشر، ولدت فاطمة رضي الله عنها منهم ثلاثة عاش اثنان منهم فقط حتى بلغوا سن الرجولة، بينما كان بقية أبنائه من نسائه الأخريات [37].

وهناك عدد من "الأحاديث" تمثل المحاور الرئيسية لفكر الشيعة الإمامية الإثني عشرية ، وتجسد تصوراتهم ، واعتقاداتهم، أو فرضياتهم، أو طروحاتهم حول ***أهل البيت ، وهي ترد*** في معرض وصف حوادث – حقيقية أو مفترضة – وعلاقتها بالمعتقدات الشيعية الإضافية الخاصة. وهذه "الأحاديث" هي :

- "الحديث" المتعلق بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة والحسن والحسين ، رضي الله عنهم، إلى بيت أم المؤمنين، أم سلمة، رضي الله عنها لتحديد من هم "***أهل بيته*** " ، وربطه بآية التطهير،
- "الحديث" المسمى بـ "حديث الكساء" المروي عن فاطمة رضي الله عنها،
- "الأحاديث" المتعلقة بتفسير آية "المباهلة "مع وفد مسيحيي نجران، وتحديد أهل البيت من خلالها ،
- الروايات المتعلقة بموضوع فدك ، وكونها فيئا للنبي وأهل بيته دون غيرهم ، ويلحق بذلك الأحاديث المتعلقة بالفئ والأنفال والغنائم بصفة عامة، وما ترمي إليه من تحديد "من هم" أهل البيت،
- "الأحاديث" المتعلقة بما يفترض أنه واقعة " ***غدير خم*** " وولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، باعتباره وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذا عدا عن "أحاديث" أخرى كثيرة، لا تقل أهمية عما ورد في هذه البنود التي ذكرناها هنا. كما يلزمنا التنبيه إلى أن تعريف ***أهل البيت*** يختلف عند الفرق الشيعية الأخرى غير الإمامية .

الأدلة التي يسوقها إخواننا الإثنا عشرية :

أولا : أول "***الأحاديث*** " التي يقدمها لنا الكليني، وهو من أقدم المصادر الشيعية، كما أنه أرفعها مكانة عندهم ، ينتهي سنده إلى أبي بصير ثم إلى جعفر بن محمد [الإمام السادس في القائمة الإثني عشري]: "عن أبي بصير ، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام [38] عن قول الله عز وجل : ((أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)) فقال: نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين ...؛ فقلت : إن الناس

---

[36] لم يجمع التسع زوجات في آن واحد بطبيعة الحال، ولم يخرج عن حدود الأربع .

[37] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ***تاريخ الأمم والملوك*** (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 2005)، م 3 ، ص 162- 163.

[38] أي جعفر بن محمد بين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو سادس الأئمة عند الشيعة الإثني عشرية، ويلقب بـ الصادق.

يقولون : فما له لم يسم عليا وأهل بيته عليهم السلام في كتاب الله عز وجل ؟ قال، فقال: قولوا لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثا ولا أربعا [عدد الركعات] حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر ذلك لهم ... ونزلت ((أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)) ونزلت في علي والحسن والحسين؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في علي: ***من كنت مولاه فعلي مولاه*** ؛ وقال ... ***أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي ، فإني سألت الله عز وجل ألا يفرق بينهما حتى يوردهما على الحوض، فأعطاني ذلك*** ؛ وقال: لا تعلموهم فهم أعلم منكم؛ وقال : إنهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم في باب ضلالة. فلو سكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يبين من أهل بيته لادعاها ***آل فلان وآل فلان***[39]، ولكن الله عز وجل أنزله في كتابه تصديقا لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم. وهنا انعطف الحديث إلى ما عددناه المحور الأول ،

ثانيا : بيت أم سلمة رضي الله عنـها :

ومضت رواية الكليني في تناولها لما يفترض أنه حدث في بيت أم سلمة، ودمجت آية التطهير في الموضوع ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا))، فكان علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام فأدخلهم رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الكساء في بيت أم سلمة، ثم قال: ***أللهم إن لكل نبي أهلا وثقلا، وهؤلاء أهل بيتي وثقلي.*** فقالت أم سلمـة: ألست من أهلك ؟ فقال: إنك إلى خير، ***ولكن هؤلاء أهلي وثقلي.*** فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله كان علي أولى الناس بالناس لكثرة ما بلغ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وإقامته للناس وأخذه بيده. فلما مضى علي [كذا في الأصل والصحيح: فلما مضى رسول الله] ***لم يكن يستطيع علي***، ولم يكن ليفعل، أن يدخل محمد بن علي ولا العباس بن علي ولا واحدا من ولده [40]، إذا لقال الحسن والحسين : إن الله تبارك وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك فأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك وبلغ فينا رسول الله صلى الله عليه وآله كما بلغ فيك، وأذهب عنا الرجس كما أذهبه عنك. فلما مضى علي عليه السلام كان الحسن عليه السلام أولى بها لكبره، فلما توفي لم يستطع أن يدخل ولده ولم يكن ليفعل ذلك. والله عز وجل يقول : ((وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)) فيجعلها في ولده، إذا لقال الحسين: أمر الله بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك، وبلغ في رسول الله صلى الله عليه وآله كما بلغ فيك وفي أبيك، وأذهب الله عني الرجس كما أذهب عنك وعن أبيك. فلما صارت إلى الحسين لم يكن أحد من أهل بيته يستطيع أن يدعي عليه كما كان هو يدعي على أخيه وعلى أبيه، لو أرادا أن يصرفا الأمر عنه، ولم يكونا ليفعلا. ثم صارت حين أفضت إلى الحسين عليه السلام فجرى تأويل هذه الآية ((وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)) ثم صارت من بعد الحسين لعلي بن الحسين، ثم صارت من بعد علي بن الحسين إلى محمد بن علي [محمد الباقر] عليه السلام. وقال: الرجس هو الشك، والله لا نشك في ربنا أبدا [41]."

---

[39] المقصود بآل فلان وآل فلان في الكتابات الشيعية الإمامية : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما؛ أي : آل أبي بكر وآل عمر.

[40] في العبارة هنا خطأ بذكر اسم علي بدل رسول الله وقد أتبعنا الخطأ بـ [كذا] إشارة إلى أن الخطأ ورد في الأصل. أما الصواب فهو : "فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم – أي فلما توفي رسول الله ... - لم يكن يستطيع علي، ولم يكن ليفعل ... الخ.

[41] الكليني ، *أصول الكافي*، ص 165- 166 .

أما فرات الكوفي[42] فيقدم لنا خمس عشرة رواية تتعلق بموضوع أهل البيت، في سياق تفسيره للآية 33 من سورة الأحزاب ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.))، والكوفي كان معاصرا للكليني، ويلقب بأنه شيخ المحدثين وأستاذهم، وقيل أنه كان زيديا ثم تحول إلى المذهب الإمامي الإثني عشري [43] . وتحصر معظم روايات الكوفي – عدا رواية واحدة – أهل البيت في خمسة أشخاص ، هم: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفاطمة بنت رسول الله رضي الله عنها، والحسن والحسين إبني علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين. وتستبعد كل هذه الروايات – عدا واحدة – أم سلمة رضي الله عنها من دائرة أهل البيت ، غير أن الرواية رقم 6 وحدها يرد فيها قول منسوب لأم سلمة يفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم اعتبرها من أهل بيته : فعندما جمع الرسول عليا وفاطمة والحسنين تحت الكساء ، وأدخل نفسه معهم ، وقال : هؤلاء أهل بيتي، ودعا لهم – حسب اعتقاد من يتبنون هذه الرواية – قالت أم سلمة رضي الله عنها : "يا رسول الله، ألست من أهلك ؟ قال : بلى، فادخلي تحت الكساء ...". وفيما يلي نصوص حرفية لعدد من الروايات التي نسبها فرات الكوفي إلى أم سلمة' كما أوردها في تفسيره :

- "عن أم سلمة قالت : كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في البيت، فقالت الخادم: هذا علي وفاطمة معها الحسن والحسين عليهم السلام قائمين بالسدة. فقال [النبي] قومي تنحي عن أهل بيتي؛ فقمت فجلست في ناحية فأذن لهم ..." [44].

- " رأيت النبي صلى الله عليه وسلم جاءته فاطمة غداة ببرمة[45] لها فيها عصيدة تحمله [كذا] في طبق لها فوضعته بين يديه؛ فقال لها : أين ابن عمك ؟ قالت: هو في البيت. قال: إذهبي فادعيه وأتيني بابنيك. فأتته به وبابنيها كل واحد منهما يده في يدها وعلي يمشي في آثارهم حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقعدهما في حجره وجلس علي عن يمينه، وجلست فاطمة عن يساره. قالت أم سلمة: فأخذ من تحتي كساء خيبريا كان بساطا لنا على المنامة في المدينة، فلفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميعا، وأخذ بشماله طرفي الكساء، وألوا بيده اليمنى إلى السماء ثم قال: ***اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا*** ، ثلاث مرات. قالت أم سلمة : قلت : يا رسول الله، ألست من أهلك ؟ قال بلى ، فادخلي في الكساء [وذلك] بعد ما مضى دعاؤه لابن عمه وابنيه وابنته فاطمة [46]." ويلزمنا التنويه هنا بأن كل الروايات الأخرى، سواء في ***تفسير فرات الكوفي*** أو غيره من المصادر التي استخدمتها في هذا البحث وورد ذكرها في الحواشي ، استبعدت أم سلمة من دائرة أهل البيت. وفي كل حالة سألت أم سلمة النبي صلوات الله عليه : ألست من أهلك؟ قال: إنك على خير [47]. وفي رواية غير هذه قال : "إنك

---

[42] وهو مؤلف ومفسر شيعي من رجال القرن الرابع، توفي سنة 360 هـ ، وقد مدحه عدد من كبار فقهاء الإمامية ووصف بأنه شيخ المحدثين (أنظر ص 23 – 25) من مقدمة محقق كتاب فرات الكوفي .

[43] انظر مقدمة محقق ***تفسير فرات الكوفي*** ، ص 10 و 12 – 13 ,

[44] فرات بن إبراهيم الكوفي، ***تفسير فرات الكوفي*** (بيروت : دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م) ، ص 333.

[45] وعاء كان يوضع فيه الطعام، مثل القصعة، أو الصحن الكبير تأكل منه الأسرة أو الجماعة.

[46] ويمكن أن يفهم من هذه الجملة الأخيرة أن أم سلمة اعتقدت أن قد فاتها أن تصير مشمولة بالدعاء الذي رفعه رسول الله قبل دخولها تحت الكساء.

[47] ***المصدر نفسه***، والصفحة ذاتها.

على خير، وإنك من أزواج النبي، والله أمرني بهؤلاء الخمسة ، خصهم بهذه الدعوة ميراثا ..."، أي الخمسة فقط، دون غيرهم [48]. بل إننا نلاحظ في الرواية السابقة أن النبي وجه لأم سلمة أمرا اتسم بالعنف في ألفاظه: ***"قومي تنحي عن أهل بيتي."*** وهذا حسب ما تتضمنه الرواية من ادعاء.

ثالثا : آيــة الـتـطـهـير:

وردت آية التطهير في سياق نص قرآني طويل بدأ بمخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي نفس السياق وجه الخطاب إلى زوجات رسول الله كلهن بدءا بالآية رقم 28 من سورة الأحزاب إلى نهاية الآيـة 35 من نفس السـورة . ويتضح من النص نفسه أنه يعالج حالة احتقان واجهها النبي صلى الله عليه وسلم في علاقته اليومية ببعض زوجاته بشأن مطالب حياتية مادية. ولذا فقد تضمن توجيها شديدا لهن، بألفاظ قوية أعادتهن إلى الصواب، باعتبارهن زوجات الرسول وأهل بيته، ولسن كغيرهن من النساء :

((يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا. وإن كنتن ترد الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما . ينساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين، وكان ذلك على الله يسيرا. ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما . ***يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ، إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض، وقلن قولا معروفا. وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا. واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمـة، إن الله كان لطيفا خبيرا.*** إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات، والصادقين والصادقات، والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما .)) [سورة الأحزاب، آية رقم 28 واستمرارا للآية 35].

وسنعود لهذه الآيات في الفصل الأخير الذي خصصناه للتحليل والخلوص إلى النتائج. أما هنا فنستمر في متابعة ما أورده فرات الكوفي في سياق حديثه عما يفترض أنه جرى في بيت أم سلمة رضي الله عنها، وبذلك نكون قد انتهينا من موضوع بيت أم سلمة، ومن موضوع آية التطهير من بين المحاور التي حددناها قبل قليل.

ولقد كتب فرات في الرواية الأخيرة مما أورده :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، تلا قول الله جل شأنه : ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا))، ثم قال : " فأنا وأهل بيتي مطهرون من الآفات والذنوب. ألا وإن إلهي اختارني في ثلاثة من أهل بيتي على جميع أمتي. أنا سيد الثلاثة، وسيد ولد آدم إلى يوم القيامة ولا فخر... اختارني وعلي بن أبي طالب وحمزة وجعفر، كنا رقودا ليس منا إلا مسجى بثوبه، علي عن يميني، وجعفر عن يساري، وحمزة عند رجلي، فما نبهني عن

---

[48] ***المصدر نفسه*** ، ص 337 .

رقدتي غير خفيق أجنحة الملائكة، وتردد ذراعي تحت خدي. فانتبهت من رقدتي وجبرئيل عليه السلام في ثلاثة أملاك، فقال له بعض الثلاثة أملاك: أخبرنا إلى أيهم أرسلت ؟ فضربني برجله فقال : إلى هذا ، وهو سيد ولد آدم؛ ثم قالوا: من هذا يا جبرئيل ؟ فقال: محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وحمزة سيد الشهداء، وجعفر له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنة حيث يشاء ؛ وهذا علي بن أبي طالب سيد الوصيين [49]." وظاهر أن هذه الرواية تدخل حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما ضمن أهل البيت، دون أن تذكر فاطمة والحسنين، فضلا عن أنها تتحدث عن حضور الملائكة.

ورغم هذه الرواية الناشزة عن الروايات الإمامية الأخرى، فإننا نجد الطبرسي [50] يؤكد في تفسيره على أن المقصود بأهل البيت هم الخمسة: رسول الله وعلي والحسن والحسين وفاطمة [51] . وعند الفيض الكاشاني، ***تفسير الصافي*** [52] نجد عددا من الروايات التي تنقل نفس المضون عن أن المقصود بأهل البيت هم الخمســـة الذين ورد ذكرهم في الروايات السابقة . وفي تفسير شيعي إمامي حديث نجد نفس المضمون والتأكيد على أن أهل البيت هم الخمسة ويتبعهم التسعة المعصومون، أي بقية الأئمة؛ "وإنما أراد الله سبحانه بحصر الإذهاب فيهم [ليذهب عنكم الرجس أهل البيت] لإفهام البشر أجمعين أن أهل بيت نبيه (ص) وهم الخمسة أصحاب الكساء والتسعة المعصومون من ذرية الحسين (ع) هم أشرف مخلوقاته من الأولين والآخرين، وليس لأحد أن يزاحمهم في مناصبهم، ويشاركهم في مناقبهم التي اختصهم الله بها [53]..." وفي تفسير إمامي آخر حديث، لعالم لبناني مشهور، نجد نفس التأكيد الذي مر معنا في المصادر السابقة، على أن أهل البيت المشار إليهم في الآية الكريمة هم الخمسة أنفسهم، رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلي وفاطمة والحسـنين، رضي الله عنهم أجمعين [54].

وأخيرا نجد قصة مختلفة عن موضوع الكساء، وإن كانت الحصيلة واحدة تقريبا، بالنسبة لتحديد الأشخاص الذين يشملهم مصطلح "أهل البيت" عند إخواننا الإثني عشرية. وقد جاءت القصة تحت عنوان: " حديث الكساء"، وهو "حديث" منسوب إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها. وتبدأ القصة على النحو التالي:

"عن فاطمة الزهراء عليها السلام، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : دخل علي أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأيام فقال : السلام عليك يا فاطمة. فقلت: وعليك السلام. فقال: إني أجد في بدني ضعفا. فقلت له: أعيذك بالله يا أبتاه من الضعف. فقال: يا فاطمة، إئتني بالكساء اليماني فغطيني [كذا] به. قالت فاطمة: فأتيته بالكساء اليماني فغطيته به وصرت أنظر إليه ... فما كانت إلا ساعة وإذا بولدي الحسن عليه السلام قد أقبل وقال: السلام عليك يا أماه. فقلت: وعليك السلام يا قرة عين وثمرة فؤادي. فقال لي: يا أماه، إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول

---

49 ***المصدر نفسه*** ، ص 340 .

50 الفضل بن الحسن الطبرسي، من كبار مفسري الشيعة الإمامية، وهو من رجال القرن السادس الهجري.

51 الفضل بن الحسن الطبرسي ، ***جوامع الجامع*** ، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة المجلد 3، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، 1421هـ)، ص 63.

52 المولى محسن، الملقب بـ الفيض الكاشاني ، ***تفسـير الصافي*** ، مجلد 4 من أصل خمسة مجلدات (طهران : مكتبة الصدر، 1379 هجرية بالحساب الشمسي)، ص 187 - 189 . والفضل الكاشاني يعرف في المصادر الإمامية بأنه فيلسوف الفقهاء وفقيه الفلاسفة، أستاذ عصره ووحيد دهره، توفي 1091 هجرية.

53 الحجة الحاج الشيخ محمد السـبزواري النجفي (ق س)، ***إرشاد الأذهان إلى تفسـير القرآن*** (بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م) ، ص 427 ، تفسير الآية 33 من سورة الأحزاب . ومعنى الإختصار (ق س): قدس سـره .

54 الشـيخ محمد جواد مغنيـة ، ***التفسـير المبـين*** (بيروت : مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، 1427هـ/2006م) ، ص 423 حيث تفسيره للآية 33 من سورة الأحزاب ؛ وأظن أن الشيخ محمد جواد مغنية توفي في العقدين الأخيرين من القرن العشرين ، رحمه الله .

الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقلت: نعم يا ولدي، إن جدك نائم تحت الكساء. قالت: فأقبل الحسن عليه السلام نحو الكساء وقال : السلام عليك يا جداه، أتأذن لي أن أدخل معك تحت الكساء ؟ فقال: وعليك السلام يا ولدي وصاحب حوضي، قد أذنت لك. فدخل معه تحت الكساء. قالت: فما كان إلا ساعة وإذا بولدي الحسين قد أقبل ..." ويتكرر المشهد وتتكرر الألفاظ والجمل بنصها، ثم يأتي علي رضي الله عنه، ثم فاطمة نفسها تستأذن بالدخول تحت الكساء فيؤذن لها. " ... فلما اكتملوا واجتمعوا جميعا تحت الكساء أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بطرفي الكساء، وأومأ بيده اليمنى إلى السماء، وقال : اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ... فاجعل صلواتك وبركاتك ... علي وعليهم، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ..." وأخيرا استأذن جبرائيل عليه السلام بالدخول تحت الكساء فأذن له ودخل " معهم تحت الكساء فقال لهم: إن الله عز وجل قد أوحى إليكم ويقول : ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.)) ثم تمضي الرواية لتقول لنا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم : "والذي بعثني بالحق نبيا ... ما ذكر خبرنا هذا في محفل ... وفيه جمع من شيعتنا ... إلا ونزلت عليهم الرحمة ... والذي بعثني بالحق نبيا ... ما ذكر خبرنا هذا في محفل ... وفيه جمع من شيعتنا ... وفيهم مهموم إلا فرج الله همه ... ولا طالب حاجة إلا وقضى الله حاجته [55]..."

ونفهم من هذه الرواية المنسوبة إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها، أن أم سلمة رضي الله عنها لا علاقة لها بالموضوع، وأن الحدث – على ذمة بعض المصادر الإثني عشرية – جرى في بيت فاطمة، وأن جبريل نفسه جاء ودخل تحت الكساء. وفي المقطع الأخير من الرواية ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم توجيه مصحوب بالقسم ، يحض على تداول هذه الرواية في مجالس الشيعة ونشرها على أوسع نطاق، ويعد من يمارسون ذلك بعظيم الجزاء والثواب. وفي هذه الرواية لا نجد أي ذكر لحمزة بن عبدالمطلب وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما.

رابعا : المباهلة والملاعنة:

الآية التي جاء فيها ذكر المباهلة وردت في سورة آل عمران، ضمن ثلاث آيات ، كما يلي:

((إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون. الحق من ربك فلا تكن من الممترين. فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين.)) [آل عمران / 59- 61]

ويلاحظ أن هذه الآيات الثلاث جاءت ضمن سياق طويل متصل بدأ بالآية ثلاث وثلاثين واستمر حتى نهاية الآية ثمانين. وقد أقحم موضوع قدوم وفد نجران إقحاما على هذا النص القرآني ، بينما نجد أن سورة آل عمران من بدايتها ، من الآية الثالثة، تناولت تنزيل القرآن والتوراة والإنجيل من قبله ، أنزلها الله بالحق لهداية الناس. ثم ينتقل النص إلى الذين كفروا – أي وضعوا بينهم وبين حقيقة الإيمان غطاء ، وسدا. ثم يتحدث عن هؤلاء بالانذار بعذاب النار، ويذكر آل فرعون والذين من قبلهم، ثم يذكر اختلاف أهل الكتاب. وتتابع الآيات حتى يصل النص إلى اصطفاء آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ونذر أم مريم إلى أن يصل إلى عيسى عليه السلام وولادته ودعوته ومعارضيه.

---

[55] ***الحصون المنيعة في أدعية المؤمنين*** (بيروت : دار المرتضى، 1426هـ/2005م)، ص 41 - 49 . لم يذكر اسم مؤلف أو جامع الروايات الواردة في الكتاب ، لكن هذه الرواية منسوبة إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

وتستمر قصة الدعوة والإيمان والكفر. ولم ينته الحديث عن عيسى بآية المباهلة ، بل نجد الآية 79 تخبرنا : ((ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون.)) وينتهي الحديث عن عيسى عليه السلام بالآية رقم 80 . ويستمر الحديث بعد ذلك عن جماعات وأمم أخرى تتقلب بين الأيمان والكفر، ويثور بينها الحوار والجدل. وفي ضوء ذلك يتبين أن موضوع المباهلة لا علاقة له بموضوع وفد نجران، باعتبار أن السياق القرآني يتناول موقف اليهود والمسيحيين المعارضين للإسلام، وأن المباهلة تنصرف إليه بشكل عام، دون ذكر وفد نجران. إذن لا يوجد مبرر لهذا التخصيص.

والذي أدخل مسألة المباهلة في موضوع أهل البيت وخلطها به هو قول إخواننا الإمامية : إن الآية نزلت بشأن وفد نجران، و إن رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسـلم أحضر عليا وفاطمة رضي الله عنهما، ومعهما طفليهما [ولهما من العمر ست سنوات، وخمس سنوات] لتكون المباهلة باسم أهل البيت جميعا، وبنوا على ذلك أن وجود علي وزوجته وولديه، رضي الله عنهم ، دليل على هوية أهل البيت، وحدودهم وحصرهم في الأشخاص المذكورين، ويلحقهم الأئمة الآخرون – الذين لم يكونوا قد ولدوا – بالتبعية.

ولتفسير هذه الآية بما يدعم الطرح الإثني عشري أورد فرات الكوفي تسعة "أحاديث" وروايات شغلت أربع صفحات ونيف. ومن ضمن "الأحاديث" حديثان منسوبان إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم، وحديث نسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وروايتان نسبتا إلى الشعبي، ورواية إلى عبدالله بن عباس، والروايات الأخرى عن آخرين، وهذا حسب قول المصدر، ليس إلا.

" عن أبي جعفر عليه السلام [الإمام الخامس] في قوله ((أبناءنا وأبناءكم)) يعني الحسن والحسين عليهما السلام ((وأنفسنا وأنفسكم)) رسول اله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي عليه السلام ((ونساءنا ونساءكم)) فاطمة الزهراء عليها السلام."

والرواية الثانية عن أبي جعفر : ((تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم)) قال: الحسن والحسين، ((ونساءنا ونساءكم)) قال : فاطمة ((وأنفسنا وأنفسكم)) قال : علي عليه السلام."

وفي رواية نسبها إلى الشعبي [56] قال فرات الكوفي :

حدثني أحمد بن يحيى معنعنا : عن الشعبي قال : لما نزلت الآية ((قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم)) أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتكأ [كذا] على علي [ثم أخذ] كساء فألقاه على علي والحسن والحسين وتبعتهم فاطمة قال : فقال هؤلاء أبناءنا [كذا] وهذه نساءنا [كذا] وهذه أنفسنا ..."

وفي رواية أخرى قال فرات : "حدثني أحمد بن جعفر معنعنا : عن علي عليه السلام قال: لما قدم وفد نجران على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدم فيهم ثلاثة من النصارى من كبارهم، العاقب ويحسن والأسقف فجاؤوا إلى اليهود وهم في بيت المدراس فصاحوا بهم : ... هذا الرجل بين ظهرانيكم قد غلبكم، فانزلوا إلينا. فنزل إليهم ابن صوريا ... اليهودي وكعب بن الأشرف اليهودي، فقالوا لهم :

[56] عـامر الشـعبي ، عالم سني مشهور ، وهو من رواة البخاري ، وكان من مواليد الكوفة وسكانها، وكان قاضيها ، ت. سنة 104هـ.

إحضروا غدا نمتحنه ..." وبعد لقاء وجدل عقائدي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم الآية : ((قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ...)) فأسمعهم إياها، فقالوا : أنصفتنا يا أبا القاسم ..." وتم الاتفاق على موعد في صبيحة اليوم التالي. "قال علي بن أبي طالب عليه السلام : فلما صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصبح أخذ بيدي فجعلني بين يديه ، وأخذ فاطمة فجعلها خلف ظهره، وأخذ الحسن والحسين عن يمينه وعن شماله، ثم برك لهم باركا، فلما رأوه فعل ذلك ندموا ..." وتراجعوا[57] .

فإذا انتقلنا إلى الطبرسي وجدناه يفسر الآيات تفسيرا موضوعيا لا يعترض عليه ، بيد أنه، أي الطبرسي، يتبع التفسير بقوله إن الآيات نزلت في "وفد نجران العاقب والسيد ومن معهما. ولما دعاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المباهلة قالوا : حتى نرجع وننظر، أي أنهم تراجعوا وخافوا من عواقب المباهلة، وصالحوا النبي على شروط حددها. ويختم الطبرسي بقوله : "وفي هذه الآية أوضح دلالة على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام وعلو درجتهم وبلوغ مرتبتهم في الكمال إلى حد لا يدانيهم أحد من الخلق [58]." وهنا يعود الطبرسي إلى الخيمة، والإلتزام المذهبي بالتركيز على أن آل البيت هم الخمسة، ويذكر حكاية الكساء ، المحدد المادي لمجموعة أهل البيت، حتى لا يدخل فيها غير الخمسة. وفي تفسير شيعي إمامي آخر قديم ومشهور نجد الفيض الكاشاني يروي أن الوفد النجراني تراجع عن المباهلة ، ونزلوا على شروط رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن كان قد غدا إلى الموعد "... محتضنا الحسين عليه الصلاة والسلام، آخذا بيد الحسن وفاطمة عليهم السلام تمشي خلفه [كذا] وعلي خلفها، وهو يقول : إذا أنا دعوت فأمنوا ؛ فقال أسقفهم : يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا ..." فنزلوا على شروط رسول الله [59]. وأضاف الكاشاني عبارة : كذا روته العامة، وهو دليل على نبوته وفضل من أتى بهم من أهل بيته وشرفهم شرفا لا يسبقهم إليه خلق إذ جعل نفس علي عليه السلام كنفسه ... وفي العيون عن الكاظم عليه الصلاة والسلام [الإمام السابع] : لم يدع أحدا [كذا] أنه أدخله النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحت الكساء عند المباهلة إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فكان تأويل قوله عز وجل أبناءنا الحسن والحسين ، ونساءنا فاطمة، وأنفسنا علي بن أبي طالب عليهم صلوات الله [60]."

خامسا : فدك والفئ والأنفال والغنائـم :

ربما يستغرب من لا خبرة له بفكر الشيعة الإمامية وعقائدهم ربط اسم أهل البيت بموضوع الفئ والغنائم؛ بيد أن هذا الاستغراب سيزول لو اطلع على ما قاله مؤلفو كتب الإمامية عن هذا الموضوع الذي يرد أكثر الحديث عنه في تفسير الآيات القرآنية التي تتناول طريقة التصرف بالفئ والأنفال والغنائم. وهنا سوف نقدم للقارئ عددا من النصوص التي يعزوها مشاهير علماء الشيعة ومحدثوهم إلى الأئمة، وبجانبها مواقف كبار مفسريهم ورؤيتهم في هذا الشأن. ويبدو أن أكثر مشكلة وأخطر

---

[57] ***تفسير فرات الكوفي*** ، ص 88 ، ضمن تفسيره لبعض آيات سورة آل عمران .
[58] الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، ***تفسـير جوامع الجامع*** ، المجلد الأول ، ص 294 ، ضمن تفسير سورة آل عمران .
[59] الفيض الكاشاني ، ***تفسـير الصافـي*** ، مجلد 1 ، ص 342 – 344، ضمن تفسير سورة آل عمران .
[60] ***المصدر نفسه*** ، ص 343 – 344 .

مشكلة تناولتها كتابات أخواننا الشيعة الإمامية – بالنسبة لموضوع الفئ - تتعلق بفتح فدك، أو: استيلاء المسلمين على فدك [61] . وقد تناولها الكتاب القدامى والكتاب الحديثون منهم، وكذلك الأمر بالنسبة للمفسرين.

لقد نقل الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري، "حديثا" طويلا بسنده نسبه إلى أبي عبدالله عليه السلام [جعفر الصادق، الإمام السادس]، أنه قال: "لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجلس أبو بكر مجلسه، بعث إلى وكيل فاطمة صلوات الله عليها فأخرجه من فدك، فأتته فاطمة عليها السلام فقالت: يا أبا بكر ... بعثت إلى وكيلي فأخرجته من فدك، وقد تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدق بها علي، وأن لي بذلك شهودا. فقال لها : إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث. فرجعت إلى علي عليه السلام فأخبرته، فقال: إرجعي إليه وقولي له ... [لقد] ورث سليمان داود وورث يحيى زكريا، وكيف لا أرث أنا أبي ؟ فقال أبو بكر : فإن عائشة تشهد وعمر أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : إن النبي لا يورث. [فلم تقبل فاطمة رضي الله عنها ذلك، ثم] جاءت بأم أيمن وعلي عليه السلام، فقال أبو بكر: يا أم أيمن ، إنك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في فاطمة ... فقالت : كنت جالسة في بيت فاطمة عليها السلام، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حتى نزل عليه جبرئيل، فقال: يا محمد ، قم ، فإن الله تبارك وتعالى أمرني أن أخط لك فدكا بجناحي. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبرئيل عليه السلام، فما لبث أن رجع ، فقالت فاطمة : يا أبه : أين ذهبت ؟ فقال : خط جبرئيل عليه السلام فدكا بجناحه وحد لي حدودها. فقالت : يا أبه: إني أخاف العيلة والحاجة من بعدك فصدق بها علي؛ فقال: هي صدقة عليك، فقبضتها. قالت: نعم [كذا في الأصل] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أم أيمن اشــهدي، ويا علي اشهد [62]." وتمضي الرواية فتقول إن عمر تدخل برفض شــهادة أم أيمن وحدها – هذا ما تقوله الرواية – فغضبت فاطمة، ثم دار علي بها أربعين يوما على المهاجرين والأنصار تطلب منهم مناصرتها، دون جدوى، فانصرفت. "فقال علي لها : إئت أبا بكر وحده فإنه أرق من الآخر، وقولي له: إدعيت مجلس أبي وأنك خليفته وجلست مجلسه، ولو كانت فدك لك ثم استوهبتها منك لوجب ردها علي ... قال [أبو بكر] صدقت ... فدعا بكتاب فكتبه لها برد فدك ... فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذي معك ؟ فقالت : كتاب كتب لي أبو بكر برد فدك. فقال: هلميه إلي ، فأبت أن تدفعه إليه. فرفسها برجله وكانت حاملة بابن اسمه المحسن، فأسقط المحسن من بطنها، ثم لطمها فكأني أنظر إلى قرط في أذنها حين نقفت [63]، ثم أخذ الكتاب وخرقه؛ فمضت ومكثت خمسة وسبعين يوما مريضة مما ضربها عمر، ثم قبضت [64]." وتذهب الرواية إلى أن فاطمة رضي الله عنها طلبت من علي قبيل وفاتها ألا يشهد أبو بكر وعمر دفنها أو يحضرا جنازتها، وأن عليا دفنها ليلا ليحول دون حضورهما جنازتها. فلما عاتباه لعدم إخباره لهما قال عمر : "قد والله هممت بنبشها والصلاة عليها. فقال علي عليه السلام: أما والله ما دام قلبي بين جوانحي وذو الفقار في يدي إنك لا تصل إليها [65]..." هـذه رواية الشيخ المفيد ، العكبري ، عن موضوع فدك، وما نسب فيها إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. والشيخ المفيد كان زعيم الطائفة الاثني عشرية ، والمتحدث باسمها في عصره، فلما مضى إلى أجله سنة 413هـ حل محله تلميذه الطوسي، الذي يلقب بـ شيخ الطائفــة أيضا.

---

61 **فـدك** كانت قريـة تبعد عن المدينة المنورة مسيرة يومين أو ثلاثة أيام للمسافر في ذلك الزمـان ، أي حوالي ستين كيلومترا .

62 الـعكـبـري ، ***الاختصاص***، حديث فـدك ، ص 184 .

63 (نقفت) بضم النون مثل بناء المجهول أي كسرت القرط من لطمة عمر. [وهذه الحاشية منقولة من الأصل].

64 الــعـكـبــري ، ***الاخـتـصـاص*** ، ص 184 – 185 .

65 ***المصدر نفســه*** ، ص 185 .

أما رواية فرات الكوفي : فتقول لنا بعد سلسلة السند المعقدة: "لما نزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شد رسول الله سلاحه وأسرج دابته، وشد علي عليه السلام سلاحه وأسرج دابته، ثم توجها في جوف الليل، وعلي لا يعلم حيث يريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى انتهيا إلى فدك. فقال له رسول الله ... يا علي، تحملني أو أحملك ؟ قال علي: أحملك يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يا علي، بل أنا أحملك لأني أطول بك ولا تطول بي. فحمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا على كتفه ثم قام به، فلم يزل يطول به حتى علا على سور الحصن، فصعد علي على سور الحصن ومعه سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأذن على الحصن وكبر، فابتدروا أهل الحصن إلى باب الحصن هرابا حتى فتحوه وخرجوا منه، فاستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجمعهم، ونزل علي إليهم فقتل علي ثمانية عشر من عظمائهم وكبرائهم وأعطى الباقون بأيديهم [66] ، وساق رسول الله صلى الله عليه وآله ذراريهم ومن بقي منهم وغنائمهم يحملونها على رقابهم إلى المدينة، فلم يوجف فيها غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهي لرسول الله ولذريته خاصة دون المؤمنين [67]."

من الواضح أن رواية فرات الكوفي تختلف مع رواية العكبري اختلافا كبيرا : رواية العكبري تذهب إلى أن الرسول صلوات الله عليه سار مع جبريل وحده، ولم تذكر أنه حمل أو استخدم سلاحا أو ذهب محاربا. أما رواية فرات الكوفي فتخبرنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم شد عليه سلاحه، وأن عليا رضي الله عنه شد عليه سلاحه أيضا وسار مع رسول الله، ولم يكن سيرهما بصحبة جبريل، وأن عليا لم يكن يعلم هدف المسيرة، وأنهما خرجا في جوف الليل متكتمين دون أن يدري بهما أحد، وأن عليا قتل ثمانية عشر رجلا من الفدكيين. وتنبه الرواية إلى أن أحدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوجف فيها – أي عملية الغارة الحربية الليلية على فدك – بخيل أو سلاح، أي لم يشارك أحد في القتال من أجل الاستيلاء عليها، وبذلك أصبحت لله ولرسوله ولذريته دون غيرهم من المؤمنين. هذه الفقرة كتبتها لتوضيح العلاقة بين الروايتين، ولنا عودة بتعليق أوفى، سنعرض فيه رواية البخاري [68] عن مقابلة فاطمة رضي الله عنها لأمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه بشأن موضوع فدك، على سبيل المقارنة، ومن أجل تبين الحقيقة أو ما قرب منها، دون اتخاذ رواية البخاري أصلا تقاس عليه الروايات الإمامية الإثني عشرية، بل نترك الحكم للقراء، إن شاء الله تعالى.

وروى فرات أيضا بعد عنعنة سلسلة السند، عن أبي حمزة الثمالي أنه سأل جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله تعالى ((يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول) فيمن نزلت ؟ قال: فينا والله نزلت خاصة، ما أشركنا فيها أحد [69]." وعنه أيضا : "نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا الأنفال ولنا صفو [70] المال [71]." كما روى فرات عن أبي حمزة الثمالي "عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال الله تعالى: ((ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى)) وما كان للرسول فهو لنا ولشيعتنا، حللناه لهم وطيبناه لهم ... والله لا يضرب على شئ من السهام في شرق الأرض ولا غربها

---

[66] أي استسلموا .

[67] ***تفسير فرات الكوفي***، ص 474 ، ضمن تفسير بضع آيات من سورة الحشر.

[68] ***صحيح البخاري***، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، الكتب الستة ، ص 3473 .

[69] فرات الكوفي، ***تفسير فرات الكوفي***، ص 151 ، بمعنى أن الله لم يجعل لنا شريكا فيها.

[70] الصفو من الغنيمة ما اختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة، وخالص كل شئ . [وهذه الحاشية من المصدر].

[71] الفيض الكاشاني، ***تفسير الصافي***، مجلد 2 ، ص 267 .

مال[72] إلا كان حراما سحتا على من نال منه شيئا ما خلانا وشيعتنا. إنا طيبناه لكم وجعلناه لكم والله يا أبا حمزة [73] ."

وفي تفسير الطبرسي لقول الله تعالى : ((ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم...)) [سورة الحشر/7] قال : من أهل القرى، [أي] من أموال كفار أهل القرى، "فلله" يأمركم فيه بما أحب، "وللرسول" بتمليك الله إياه، "ولذي القربى" أي أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرابته، وهم بنو هاشم " واليتامى والمساكين وابن السبيل" منهم. وعن علي بن الحسين : "هي قرباؤنا ومساكيننا وأبناء سبيلنا [74]."

ويروي الفيض الكاشاني عن الإمام السادس شرحا عن المال الذي يأتي منه نصيب الأئمــة، فأجاب : "هي والله الإفادة يوما بيوم. أقول : يعني استفادة المال من أية جهة كانت، فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل. " في الكافي عن الباقرعليه السلام إن ذا القربى هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والخمس للرسول ولنا ... وفي الفقيه والتهذيب والعياشي عن الصادق عليه السلام : أما خمس الله فللرسول يضعه في سبيل الله، وأما خمس الرسول فلأقاربه، وخمس ذوي القربى فهم أقرباؤه، واليتامى يتامى أهل بيته . وأما المساكين وابن السبيل فقد عرفت أنا لا نأكل الصدقة ولا تحل لنا، فهي للمساكين وأبناء السبيل. وفي التهذيب عن أحدهما عليهما السلام : خمس الله للإمام ، وخمس الرسول للإمام ، وخمس ذي القربى لقرابة الرسول والإمام ، واليتامى يتامى الرسول والمساكين منهم ، فلا يخرج منهم إلى غيرهم [75] ."

وفي تفسير آخر حديث للآية إحدى وأربعين من سورة الأنفال، ثم الآية رقم (42) من سور الحشر نقرأ ما كتبه "الحجة الحاج الشيخ محمد السبزواري النجفي (ق.س.) : الأنفال : ((فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)) " والخمس يفرز جزؤ من خمسة أجزاء ويقسم حسب نص الآية : الشريفة. وقد ذهب أصحابنا إلى تقسيمه على ستة أسهم : سهم لله، وسهم للرسول، وسهم لذوي القربى من آل محمد، فتصير ثلاثة أسهم خاصة بالإمام القائم مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. أما السهم الرابع فهو ليتامى آل محمد، وسهم لمساكينهم، وسهم لأبناء سبيلهم، لا يشاركهم فيه أحد ، لأن الله سبحانه حرم عليهم الصدقات لكونها أوساخ الناس، وعوضهم بذلك الخمس [76] ." ذلك ما قاله عن الغنيمة ونصيب آل البيت منها.

أما الآية السابعة من سورة الحشر ففسرها على النحو التالي : فلله ، يضعه سبحانه فيما أحب، وللرسول ، بتمليك من الله له، ولذي القربى، يعني أهل بيت الرسول وقرابته من بني هاشم دون غيرهم؛ واليتامى والمساكين وابن السبيل، أي يتامى أهل بيته ومساكينهم وابن السبيل منهم؛ [77]..."

سادسا : يوم غـديـر خـم :

---

[72] أي لا يفرض عليه مال مثل الخراج أو الزكاة إلا كان حراما على من أخذه إن لم يكن للأئمة الإثني عشرية.

[73] ***تفسير فرات الكوفي*** ، ص 474 ، [تفسير بعض آيات من سورة الحشر].

[74] أبو علي الفضل بن الحسن الطبرســي، ***تفســير جوامع الجامـع*** ، مجلد 3 ، ص 533 ، تفسير سورة الحشر ، آية 6 و 7 .

[75] الفيض الكاشاني ، ***تفســير الصافــي*** ، مجلد 2 و ص 303- 304 ؛ وفي هذه النصوص بيان لرؤية وموقف أحد كبار العلماء الإمامية، المقب بـ فيلسوف الفقهاء، وفقيه الفلاسفة ، أستاذ عصره ووحيد دهره ، المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني (كما في صفحة العنوان).

[76] الســبزواري، ***إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن*** (بيروت : دار التعارف للمطبوعات 2006/1427) ص 187 .

[77] المصدر نفسه ، ص 551..

[المسألة رقم 542 – الكليني/أصول] عنعنة ... " عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي عليه السلام ***يوم الغدير*** صرخ إبليس في جنوده صرخة فلم يبق منهم أحد في بر ولا بحر إلا أتاه ، فقالوا : يا سيدهم ومولاهم ، ماذا دهاك ، فما سمعنا لكم صرخة أوحش من صرختك هذه ؟ فقال لهم : فعل هذا النبي فعلا إن تم لم يعص الله أبدا. فلما قال المنافقون إنه ينطق عن الهوى ، وقال أحدهم لصاحبه : أما ترى عينيه تدوران في رأسه كأنه مجنون ، يعنون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، صرخ إبليس صرخة بطرب ، فجمع أولياءه فقال : أما علمتم أني كنت لآدم ؟ قالوا : نعم ، أنت كنت لآدم. قال: آدم نقض العهد ولم يكفر بالرب ، وهؤلاء نقضوا العهد وكفروا بالرسول . فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام الناس غير علي لبس إبليس تاج الملك ونصب منبرا ، وقعد في الوثبة ، وجمع خيله ورجله ثم قال لهم : إطربوا ، لا يطاع الله حتى يقوم الإمام . وتلا أبو جعفر عليه السلام : ((ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فأتبعوه إلا فريقا من المؤمنين)). قال أبو جعفر : كان تأويل هذه الآية : لما قبض رسول الله والظن من إبليس حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنه ينطق عن الهوى ، فظن بهم أبليس ظنا فصدقوا ظنه [78].

ومما يلزم إيضاحه هنا عبارة : "وقال أحدهم لصاحبه : أما ترى عينيه تدوران في رأسه كأنه مجنون؟"، يعنون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم." المقصود بالقائل والمقول له : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ؛ وهذا ما درجت عليه المصادر الإثني عشرية من تجهيل اسميهما، تجنبا لرد فعل العامة من أهل السنة .

وقد ألحق فرات الكوفي بتفسيره للآية رقم 13 من سورة البقرة ((وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ...)) "حديثا " منسوبا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : إن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيدي يوم ***غدير خم*** فقال : اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، فهل رأيت المؤمنين احتملوا ذلك ، إلا من عصم الله منهم ؟ ألا فأبشروا ثم أبشروا فإن الله قد خصكم بما لم يخص به الملائكة والنبيين والمؤمنين بما احتملتم من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [79] ."

وقدم لنا العكبري "حديثا" منسوبا إلى أبي عبدالله، جعفر الصادق، قال : "دخل أبو بكر على علي عليه السلام فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحدث إلينا في أمرك حديثا بعد يوم الولاية؛ وأنا أشهد أنك مولاي مقر لك بذلك ، وقد سلمت عليك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمرة المؤمنين، وأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنك وصيه ووارثه وخليفته في أهله ونسائه ... ولم يخبرنا أنك خليفته من بعده، ولا جرم لنا في ذلك ... فقال له علي : إن أريتك رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يخبرك بأني أولى بهذا المجلس الذي انت فيه، وأنك إن لم تتح عنه كفرت، فما تقول ؟ فقال : إن رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يخبرني ببعض هذا اكتفيت به. قال : فوافني إذا صليت المغرب. قال : فرجع بعد المغرب فأخذ بيده وأخرجه إلى مسجد قباء، فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في القبلة ، فقال : يا عتيق ، وثبت على علي وجلست مجلس النبوة، وقد تقدمت إليك في ذلك ، فانزع هذا السربال الذي تسربلته فخله لعلي، وإلا فموعدك النار. قال: ثم أخذ بيده فأخرجه، فقام النبي صلى الله عليه وآله عنهما، وانطلق أمير المؤمنين عليه السلام إلى سلمان فقال له: أما علمت يا سلمان أنه كان من الأمر كذا وكذا؟ فقال سلمان : ليشهرن بك ***وليبدينه إلى صاحبه*** وليخبرنه بالخبر. فضحك أمير المؤمنين وقال: أما أن ***يخبر صاحبه*** فسيفعل، ثم لا والله لا يذكرانه أبدا

---

78 الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 434 ، المسألة رقم 542 .

79 فرات الكوفي ، ***تفسير فرات الكوفي*** ، ص 56 ، ضمن تفسيره آيات اختارها من سورة البقرة .

إلى يوم القيامة... ***فلقي أبو بكر عمر*** فقال : إن عليا أتى كذا وكذا ... ***فقال له عمر: ويلك ما أقل عقلك فوالله ما أنت فيه الساعة إلا من بعض سحر ابن أبي كبشة***[80]؛ قد نسيت سحر بني هاشم! ومن أين يرجع محمد ، ولا يرجع من مات. إن ما أنت فيه أعظم من سحر بني هاشم، فتقلد هذا السربال ومر فيه [81]..."

وأضاف العكبري، رواية أخرى بذات المضمون، مع اختلاف يسير: "... فانطلق به إلى مسجد قبا ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي، فلما انصرف[82] قال له علي : يا رسول الله ، إني قلت لأبي بكر : أما أمرك رسول الله أن تطيعني ؟ فقال: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمرتك، فأطعه. قال: فخرج ***ولقي عمر وهو ذعر، فقام عمر وقال له مالك ؟ فقال له: قال رسول الله كذا وكذا، فقال له عمر : تبا لأمة ولوك أمرهم ، أما تعرف سحر بني هاشم ؟*** [83] " وقد واصل الشيخ المفيد بعد ذلك سرد قصص من هذا القبيل للأساءة إلى أبي بكر وعمر ، وقصصا تظهر تمجيد علي ، حسب ظنه .

أما الطبرسي فقال : ((اليوم أكملت لكم دينكم)) وما تحتاجون إليه في تكليفكم من الحلال والحرام والفرائض والأحكام، ((وأتممت عليكم نعمتي)) بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام. روي عن الباقر والصادق عليهما السلام أنه إنما نزلت بعد أن نصب النبي صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام علما للأنام ***يوم غدير خم*** عند منصرفه من حجة الوداع ، وهو آخر فريضة أنزلها الله تعالى ثم لم ينزل بعدها فريضة ."[84]

وأما الفيض الكاشاني فقد ذهب في تفسيره لقول الله تعالى في الآية الثالثة من سورة المائدة : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)) إنها نزلت بعد أن نصب النبي صلى الله عليه وآله عليا، صلوات الله عليهما، علما للأنام ***يوم غدير خم*** منصرفه من حجة الوداع [85]." وأضاف الكاشاني: إنما أكملت الفرائض بالولاية لأن النبي صلى الله عليه وآله أنهى جميع ما استودعه الله من العلم إلى علي صلوات الله عليه، ثم إلى ذريته الأوصياء واحدا بعد واحد ، فلما أقامهم مقامه وتمكن الناس من الرجوع إليهم في حلالهم وحرامهم واستمر ذلك بقيام واحد بعد واحد كمل الدين، وتمت النعمة إن شاء الله. وقد ورد هذا المعنى بعينه عنهم عليهم السلام . ويأتي ما يقرب منه في خطبة الغدير [86]..."

وينقل لنا العكبري رواية ينتهي سندها إلى ابن عباس أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ذكر الله عز وجل عبادة، وذكري عبادة، وذكر علي عبادة، وذكر الأئمة من ولده عبادة. والذي بعثني بالنبوة، وجعلني خير البرية، إن وصيي لأفضل الأوصياء، وإنه لحجة الله على عباده, وخليفته على خلقه، ومن ولده الأئمة الهداة بعدي، بهم يحبس الله العذاب عن أهل الأرض، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم، وبهم يسقي خلقه الغيث، وبهم يخرج النبات؛ أولئك أوليائي حقا، وخلفائي صدقا، عدتهم عدة الشهور، وهي اثنا عشر شهرا، وعدتهم

---

80 وكنية " إبن أبي كبشة " كان كفار قريش يطلقونها على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

81 العكبري ، ***الاختصاص*** ، ص 273 ..

82 أي: فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمعنى : انتهى من صلاته .

83 ***المصدر نفسه*** ، 273 – 274 .

84 الشيخ أبي الفضل علي بن الحسن الطبرسي ، ***جوامع الجامع*** ، مجلد 1 ، ص 474 ، مع تفسيره للآية الثالثة من سورة المائدة .

85 ***تفسير الصافي*** ، محلد 2 ، ص 9 – 10 ؛ خلال تفسير الكاشاني للآية الثالثة من سورة المائدة .

86 ***المصدر نفسه*** ، ص 10 .

عدة نقباء موسى بن عمران. ثم تلا عليه السلام هذه الآية: ((والسماء ذات البروج))، ثم قال: أتقدر يا ابن عباس أن الله يقسم بالسماء ذات البروج ويعني به السماء وبروجها ؟ قلت: يا رسول الله فما ذاك ؟ قال: أما السماء فأنا، وأما البروج فالأئمة من بعدي، أولهم علي، وآخرهم المهدي، صلوات الله عليهم أجمعين [87]. وهذه الروايات التي حددت مدلول "أهل البيت" على هذا النحو يتكرر مضمونها في كل المصادر الشيعية الإمامية التي بين أيدينا؛ ولن نحاول استقصاءها في دراستنا هذه، بل سنكتفي ببعض الأمثلة التي استعرضنا.

سـابـعـا : أهل البيت و "آل ياســين " :

وتذهب أكثر المصادر الإمامية إلى أن "أهل البيت" هم "آل ياسين"، على أساس أن يس، الحرفان اللذان تبدأ بهما سورة يس، اسم آخر للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد ربطوا " يس " بآية ليست من سورة يس، بل من سورة الصافات، وهي الآية رقم 130 : ((سلام على إل ياسين))، حيث حولوها إلى " آل ياسين". وهم بذلك لا يقبلون أن "ي س" حكمها حكم الحروف التي تفتتح بها بعض سور القرآن الكريم، مثل : " أ ل م، و أ ل ر , ك هـ ي ع ص ، ق والقرآن المجيد، ن والقلم وما يسطرون ، وغيرها. كما أنهم يسقطون مدلول السياق النصي الكامل والمتتابع في سورة الصافات، خاصة من الآية رقم 75 وبعدها الآيات 79-81 حيث نقرأ فيها: ((***سلام على نوح في العالمين. إنا كذلك نجزي المحسنين. إنه من عبادنا المؤمنين***))؛ والآيات من رقم 83 إلى رقم 111 التي تتحدث عن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وتنتهي إلى قول الله سبحانه وتعالى : ((***سلام على إبراهيم. كذلك نجزي المحسنين. إنه من عبادنا المؤمنين***))؛ ثم الآيات رقم 114 إلى 122، حيث نقرأ في آخرها : ((***سلام على موسى وهارون. إنا كذلك نجزي المحسنين. إنهما من عبادنا المؤمنين***)). ثم يأتي بعد ذلك الحديث عن رسول الله إلياس عليه السلام في الآيات 123 إلى 132 ، حيث تنص الآية 123: ((***وإن إلياس لمن المرسلين***))، وتمضي بعدها الآيات من 124إلى 129 تروي عبارات الإنذار التي وجهها إلياس لقومه، وبعدها نصل إلى الآية رقم 130 : ((***سلام على إلياسين. إنا كذلك نجزي المحسنين. إنه من عبادنا المؤمنين***)).

ففي هذه النصوص القرآنية الأربعة يذكر الله خمسة من رسله، كل واحد منفردا، عدا موسى وهارون، ثم يختم الحديث عن كل واحد من الأربعة : نوح، إبراهيم، موسى وهارون، إلياس : سلام على ... + الإسم: نوح، إبراهيم، موسى وهارون، إلياسين،+ إنا كذلك نجزي المحسنين + إنه من عبادنا المؤمنين (مع صيغة التثنية بالنسبة لموسى وهارون عليهما السلام).

من هو الذي ذكره الله تعالى بصيغة المفرد بقوله في الآية 132 من سورة الصافات : "إنه من عبادنا المؤمنين" ؟ يجيب الشيعة الإمامية: إنهم آل ياسين، أي آل محمد، أي أهل البيت، أي الخمسة النورانيون، يتبعهم التسعة الأئمة المعصومون، وآخرهم الأمام الغائب، الثاني عشر, وهو الحجة ، وهو المهدي المنتظر ، صاحب الزمان.

---

[87] محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم العكبري البغدادي (توفي 413هـ)، الملقب بـ الشيخ المفيد ، وسنشير إليه فيما بعد العـكـبـري ، ***الاختصاص،*** تحقيق علي أكبر الغفاري و السيد محمد الزرنـدي (بيروت : الطبعة الثانية، 1414هـ/1993م)، طبع بموافقة اللجنة الخاصة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ص 223- 224

غير أن الطبرسي نحا منحى آخر، فقال: "أختلف الناس في "إلياس" فقيل هو إدريس النبي، وقيل هو من بني إسرائيل من ولد هارون بن عمران ابن عم اليسع، وقيل إنه استخلف اليسع على بني إسرائيل ... وقرئ ((سلام على إل ياسين)) على أنه لغة في "إلياس"، أي أنه صورة أخرى لإسم إلياس. وقرأ ابن مسعود والأعمش "وإن إدريس" و "على إدراسين." ولعل لزيادة الياء والنون معنى في [اللغة] السريانية؛ ولو كان جمعا – كما قيل – لعرف بالألف واللام. وقرئ "على آل ياسين" ... وعن ابن عباس : "آل ياسين آل محمد، و ياسين اسم من أسمائه" [88].

الفصل الثالث

الأئمـــة والإمـامـــــة

مـقـدمـــة :

الإمام هو القائد، إمام في صلاة ما، وإمام مسجد، وإمام مدرسة أو مذهب فكري، وإمام في الفقه بسعة علمه، وإمام في السياسة وإدارة شئون الدولة. هذا هو الإطار العام لمدلول لفظ الإمام، والأئمة

[88] الطبرسي، ***جوامع الجامع***، مجلد 3، ص 174- 175 ، تفسير سورة الصافات، الآيات من 123 إلى 131.

والإمامة في ثقافة المسلمين طوال تاريخهم. ومع ذلك فإن اللفظة بشكلها المفرد والجمعي والوظيفي اكتسبت خصوصية، أو معنى خاصا في الأدبيات الشيعية الإثني عشرية القديمة ؛ إذ صار المعنى والمدلول ينصرف إلى الأئمة الإثني عشر أفرادا وجماعة، وهم الذين يبدءون بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وينتهون بمحمد بن الحسن العسكري الإمام الغائب، الذي يفترض أنه ولد سنة 255 هـ/ 870م ثم غاب بعد خمس سنوات ، وما زال منتظر العودة.

بيد أن الصفات المميزة للإمام، والأئمة – في المصطلح الشيعي الإثني عشري - لم تقتصر على مجرد الدور القيادي أو الريادي بل انضافت لها مجموعة من المميزات والمواصفات الأخرى التي جعلت من المستحيل دخول أي شخص آخر إلى الدائرة التي تضم الأئمة الإثني عشر. وهذه المميزات والمواصفات نجد ذكرها منتشرا في المصادر الإمامية الرئيسية الأولى، بدءا بأبي جعفر، محمد بن يعقوب الكليني، المتوفى سنة 328هـ/941م (؟)، والذي يلقبونه بـ "ثقة الإسلام" واستمرارا إلى مؤلفات علماء الإمامية في القرن الخامس عشر الهجري/العشرين الميلادي، وكلها روايات تتضمن "أحاديثا" وتصريحات نصية منسوبة إلى الأئمة الإثني عشر، كما تنسب أحيانا إلى نص قرآني يحصرون نزوله ومدلوله في آل البيت الخمسة، ويفسرونه على نحو خاص يرمي إلى تأكيد الاتجاه نفسه. وهذه النصوص والبيانات المنسوبة إلى الأئمة يسوقها الشيعة ويتعاملون معها باعتبارها "أحاديث لها نفس القداسة والاعتبار المعطى لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل ويراها البعض – أحيانا – أرفع مكانة ، من أحاديث رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه، وأنها تعادل القرآن.

وفي الصفحات التالية سوف نسوق زرافات، ومقتطفات، من هذه "الأحاديث" ترسم صورة ما وصفناه بوضوح تام إن شاء الله تعالى، وهي مجرد أمثلة، بعض من كل، بعيدة عن الشمول أو الكثرة. وأود أن أؤكد ابتداء أن استشهادي بالروايات و "الأحاديث" المنسوبة إلى الأئمة لا يعني أنني أتبناها، أو أنني أتبنى نسبتها للأئمة، بل يعني فقط أنني حريص على تمثيل وجهات نظر إخواننا الشيعة من خلال مصادرهم ونصوصهم. ومما أحرص على تأكيده وإيضاحه أيضا : إننا نتعامل – في هذه الدراسة – مع ***نصوص مقدسة عند إخواننا الشيعة***، ولذا فإن هذا المؤلف يستشعر مسئوليته عن دقة ما ينسب إلى شركاء الحوار. ومن أجل ذلك تجنبت استخدام عباراتي ولغتي الخاصة في عرض أو تلخيص معتقدات إخواننا الشيعة، بل استخدمت نصوص أئمتهم من مصادرهم الأصلية التي يضعونها في المكان الأعلى من الصدقية. **انتهت المقدمة.**

أصل الإمامة وموثقاتها:

[1] نسب إلى جعفر الصادق رضي الله عنه القول : "إن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حتى يعرف." وقد ورد هذا "الحديث" مع ثلاثة "أحاديث" أخرى تحت عنوان : "باب أن الحجة لا

تقوم لله على خلقه إلا بإمام [89] ،" وقد نسب إلى أبي جعفر، محمد الباقر: نحن حجة الله، ونحن باب الله ، ونحن لسان الله ، ونحن عين الله ، ونحن ولاة أمر الله [90]." كما نسب إليه : "بنا عبد (بضم العين وكسر الباء) الله ، وبنا عرف الله ، وبنا وحد الله تبارك وتعالى [91]."

[2] عن أبي جعفر [محمد الباقر، الإمام الخامس] : "إنما يعبد الله من يعرف الله؛ فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا، ضلالا ... ومعرفة الله : تصديق الله عز وجل، وتصديق رسوله، وموالاة علي عليه السلام، والائتمام به وبأئمة الهدى ... ***والبراءة إلى الله من عدوهم***. هكذا يعرف الله [92] .

[3] عن أبي عبدالله [جعفر الصادق]: "إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام كيما إن زاد المؤمنون شيئا ردهم، وإن نقصوا شيئا أتمه لهم [93]. "

[4] عن أبي عبدالله : "... إن الله أجل وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل [94]."

[5] قال أبو الحسن الرضا [الإمام الثامن] : " إن الأرض لا تخلو من حجة، وأنا والله ذلك الحجة."

وتتكرر هذه المقولة بنص قريب يحمل نفس المضمون ثلاث عشرة مرة [95]. وقد نسب إلى الرضا أيضا القول : " ... وأمر الإمامة من تمام الدين ؛ ولم يمض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بين لأمته معالم دينهم ... وأقام لهم عليا عليه السلام علما وإماما. . . هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها فيجوز فيها اختيارهم ؟ إن الإمامة أجل قدرا وأعظم شأنا وأعلى مكانا وأمنع جانبا وأبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماما باختيارهم [96] ... "

[6] فرات الكوفي روى عنعنة ... عن أبي عبدالله عليه السلام [الإمام السادس] قال : "إن الله تبارك وتعالى كان ولا شئ [97]، فخلق خمسة من نور جلاله، و [جعل] لكل واحد منهم اسما من أسمائه المنزلة، فهو الحميد ... وسمى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الأعلى وسمى أمير المؤمنين عليا، وله الأسماء الحسنى فاشتق منها حسنا وحسينا، وهو فاطر فاشتق لفاطمة من أسمائه إسما. فلما خلقهم جعلهم في الميثاق، فإنهم عن يمين العرش. وخلق الملائكة من نور؛ فلما أن نظروا إليهم عظموا أمرهم وشأنهم ولقنوا التسبيح، فذلك قوله: ((وإنا لنحن الصافون، وإنا لنحن المسبحون))، [الصافات /165-166]. فلما خلق الله تعالى آدم صلوات الله وسلامه عليه نظر إليهم عن يمين العرش فقال : يا رب من هؤلاء ؟ قال: يا آدم، هؤلاء صفوتي

---

89 الكليني ، **أصول الكافي**، ص 100 .
90 **المصدر نفسه** ، ص 83 .
91 المصدر نفسه ، ص 83 .
92 ***المصدر نفسه*** ، 102 .
93 ***المصدر نفسه*** ، ص 100.
94 ***المصدر نفسه*** ، ص 101.
95 ***المصدر نفسه*** ، ص 101 .
96 ***المصدر نفسه*** ، ص 113 – 114 .
97 أي أنه لم يكن قد خلق شيئا، لا سماء ولا أرضا ولا شئ غيرهما.

وخاصتي خلقتهم من نور جلالي واشتققت لهم إسما [كذا] من أسمائي[98] . قال: يا رب فبحقك عليهم علمني أسماءهم . قال: يا آدم، فهم عندك أمانة، سر من سري، لا يطلع عليه غيرك إلا بإذني. قال : نعم يا رب. قال : يا آدم، أعطني على ذلك العهد؛ فأخذ عليه العهد ثم علمه أسماءهم، ثم عرضهم على الملائكة ولم يكن علمهم بأسمائهم، فقال : ((أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم)) علمت الملائكة أنه مستودع، وأنه مفضل بالعلم، وأمروا بالسجود ، إذ كانت سجدتهم لآدم تفضيلا له ، وعبادة لله، إذ كان ذلك بحق له... [ثم ذكر فرات امتناع إبليس عن السجود ومجادلته لله سبحانه وتعالى في ذلك، حتى قال الله تعالى له] فقد فضلته عليك حيث أمرت بالفضل للخمسة الذين لم أجعل لك عليهم سلطانا ولا من شيعتهم ... قال: ((إن عبادي ليس لك عليهم سلطان)) وهم الشــيعة [99]."

وفي باب: النوادر، وهو آخر أبواب كتاب ***من لا يحضره الفقيه*** ، قدم لنا "الشيخ الجليل الأقدم الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي"، المتوفى سنة 381هـ "حديثا نبويا" طويلا شغل عشر صفحات (776 – 786) في وصية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، بدأها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله – حسب رواية السيد ابن بابويه - : "يا علي، أوصيك بوصية فاحفظها، فلا تزال بخير ما حفظت وصيتي : ثم مضى نص "الوصية" المنسوبة إلى رسول الله صلوات الله عليه، حيث يبدأ كل مقطع بعبارة : "يا علي، ..." ومن ضمن هذه الوصية نقتبس بعض النصوص التي تمس النقطة التي نتناولها في هذا الموضع بالنسبة للإمامة :

"يا علي، إن الله عز وجل أشرف على أهل ا لدنيا فاختارني منها على رجال العالمين ، ثم اطلع ثانية فاختارك على رجال العالمين، ثم اطلع الثالثة فاختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين، ثم اطلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين. ؟؟ يا علي، إني رأيت اسمك مقرونا باسمي في ثلاثة مواطن فأنست بالنظر إليه : إني لما بلغت بيت المقدس في معراجي إلى السماء وجدت على صخرتها : لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بوزيره، ونصرته بوزيره. فقلت لجبريل عليه الســـلام : من وزيري ؟ فقال: علي بن أبي طالب. فلما انتهيت إلى ســـدرة الـمـنـتـهـى وجـدت مكـتـوبا عليها : إني أنا اللــه لا إله إلا أنا وحـدي ، محمـد صفـوتي من خلـقي ، أيدتــه بـوزيـره ونصرته بوزيره ؛ فـقـلـت لجـبرئـيل عليه السـلام : من وزيري ؟ فـقـال: علي بن أبي طالب. فلما جاوزت سدرة المنتهى انتهيت إلى عرش رب العالمين جل جلاله فوجدت مكتوبا على قوائمه : إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي ، محمد حبيبي ، أيدته بوزيره ونصرته بوزيره .

- يا علي ، إن الله تبارك وتعالى أعطاني فيك سبع خصال : أنت أول من ينشق عنه القبر معي، وأنت أول من يقف على الصراط معي ، وأنت أول من يكسى إذا كسيت ، ويحيـا إذا حييت ، وأنت أول من يسكن معي في عليين ، وأنت أول من يشرب معي من الرحيق المختوم الذي ختامه مســك [100] ."

---

[98] تقدير المعنى المقصود : واشتـقـقـت لكل منهم اسما من أسمائي.

[99] فرات الكوفي ، ***تفسـير فـرات الكوفـي*** ، ص 56- 57 ، حيث فسر بعض آيات سورة البقرة.

[100] الشيخ الجليل الأقدم الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ***من لآ يحضره الفقيه*** ، ص 785 - 786.

هذه الروايات التي أوردنا نصوصها، بجانب التكرار الذي أشرنا إليه باقتضاب، وبجانب مئات مثلها لم نذكرها تجنبا للتطويل غير الضروري ، تؤكد كلها على افتراض، أو فرضيه، فحواها، أن وجود "إمام" أمر ضروري، حتى يعرف الناس الله فيعبدوه عبادة صحيحة، وحتى تقوم الحجة لله على خلقه، ولكي يرد الناس إلى الصواب إن انحرفوا؛ ولأن الله أجل وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل، ولأن الأرض لا تخلو من إمام. والرواية الأخيرة التي نسبها فرات الكوفي إلى إبي عبدالله [جعفر الصادق] وفسر من خلالها بعض الآيات القرآنية تفسيرا شيعيا، تبين – حسب اعتقاد الشيعة - الأصل الأول للأئمة، وتذهب إلى أن الله خلقهم قبل أن يخلق أي شئ آخر، وأنه خلقهم من نــوره ، جل جلاله، أي خلقهم من شئ يخص ذات الله مباشرة، ويمكن أن يتصور بعض المتحمسين أن فيهم جزءا من الله سبحانه وتعالى، وأنهم إلاهيون عمليا بحكم أن مادة خلقهم الأولى من نور الله. ورواية فرات لها نظائر في مصادر شيعية إمامية أخرى كثيرة ، وقد عددها محقق كتاب ***تفسير فرات الكوفي*** في حواشي الصفحات 56 – 58 من التفسير.

مــن يـخـتــار الإمــام ؟

[1] في رواية منسوبة إلى [الإمام السادس] أبي عبدالله، جعفر بن محمد، ورد فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج به إلى السماء مرتين، وأنه عندما وصل إلى أقصى ما وصل أوقفه جبريل قائلا : إن ربك يصلي ..." وتنتهي الرواية بالمقطع التالي: " يا محمد ... من لأمتك بعدك ؟ قال: الله أعلم. قال: علي بن أبي طالب، أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين ... ثم قال أبو عبدالله: والله ما جاءت ولاية علي عليه السلام من الأرض، ولكن جاءت من السماء مشافهة [101]." أي أنها ليست ولاية اختار رسول الله لها عليا، بل هي ولاية أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بها وبوضعها موضع التنفيذ ، ولايـة جاءت من فـوق رســول الله وليست منـه.

[2] عنعنة ... عن أبي جعفر عليه السلام [الإمام الخامس] قال: " أمر الله عز وجل رسوله بولاية علي، وأنزل عليه: ((إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة)) وفرض ولاية أولي الأمر، فلم يدروا ما هي؛ فأمر الله محمدا صلى الله عليه وآله أن يفسر لهم الولاية كما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج. فلما أتاه ذلك من الله ضاق بذلك صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وتخوف أن يرتدوا عن دينهم وأن يكذبوه؛ فضاق صدره وراجع ربه عز وجل؛ فأوحى الله عـز وجل إليه : ((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس)) فصدع بأمر الله تعالى ذكره، فقام بولاية علي يوم **غديـر خـم**، فنادى : الصلاة جامعة، وأمر الناس أن يبلغ الشاهد الغائب ... وقال أبو جعفر: وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي)). قال أبو جعفر عليه السلام : يقول الله عز وجل : لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة ؛ قد أكملت لكم الفرائض [102]."

---

[101] الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 264- 265 .
[102] ***المصدر نفسه*** ، 166- 167 .

[3] عن أبي جعفر[103] عليه السلام: نزلت الولاية [على رسول الله صلى الله عليه وآله] وإنما أتاه ذلك في يوم الجمعة بعرفة، أنزل الله عز وجل: ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي))، وكان كمال الدين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فقال عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله : أمتي حديثو عهد بالجاهلية، ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي يقول قائل ويقول قائل؛ فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني، فأتتني عزيمة من الله عز وجل بتلة أوعدني إن لم أبلغ أن يعذبني[104] ؛ فنزلت : ((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسـالتــه، والله يعصمك من الناس، إن الله لا يهدي القوم الكافرين))؛ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام فقال: أيها الناس، إنه لم يكن نبي من الأنبياء ممن كان قبلي إلا وقد عمره الله ثم دعاه فأجابه ، فأوشك أن أدعى فأجيب، وأنا مسئول وأنتم مسئولون، فماذا أنتم قائلون ؟ فقالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت ، وأديت ما عليك، فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين. فقال: اللهم اشهد – ثلاث مرات – ثم قال: يا معشر المسلمين، هذا وليكم من بعدي، فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

قال أبو جعفر عليه السلام: كان والله علي عليه السلام أمين الله على خلقه وغيبه ودينه الذي ارتضاه لنفسه. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله حضره الذي حضر[105]، فدعا عليا فقال : ياعلي، إني أريد أن أئتمنك على ما ائتمنني الله عليه من غيبه وعلمه، ومن خلقه ومن دينه الذي ارتضاه ... فلم يشرك فيها والله ... أحدا من الخلق. ثم إن عليا عليه السلام حضره الذي حضره، فدعا ولده، وكانوا اثني عشر ذكرا، فقال لهم : يا بني ، إن الله عز وجل قد أبى إلا أن يجعل في سنة من يعقوب ، وإن يعقوب دعا ولده وكانوا اثني عشر ذكرا، فأخبرهم بصاحبهم؛ ألا وإني أخبركم بصاحبكم : ألا إن هذين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله، الحسن والحسين، عليهما السلام، فاسمعوا لهما وأطيعوا؛ ووازروهما فإني قد ائتمنتهما على ما ائتمنني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما ائتمنه الله عليه من خلقه ومن غيبه ومن دينه الذي ارتضاه لنفسه. فأوجب الله لهما من علي عليه الســلام ما أوجب لعلي عليه الســلام من رســول الله صلى اللـه عليه وآلـه، فلم يكن لأحد منهما فضل على صاحبه إلا بكـبـره، وإن الحســين كان إذا حضر الحســن لم ينطق في ذلك الـمـجلس ..."[106]

[4] عنعنة ... عن أبي عبدالله [جعفر الصادق]، عن والده [محمد الباقر]، عن جابر بن عبدالله [رضي الله عنهم أجمعين] أنه رأى صحيفة فاطمة رضي الله عنها في يدها، فسألها: "... ما هذا اللوح ؟ قالت: هذا لوح أهداه الله تبارك وتعالى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني، وأسماء الأوصياء من ولدي فأعطانيه أبي ليسرني به. قال جابر: فأعطتنيه أمك فقرأته واستنسخته...[وفيما يلي نص الكتاب]: **"هذا كتاب من الله العزيز العليم لمحمد نبيه** وسفيره وحجابه ودليله ، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين. عظم يا محمد ... أسمائي، واشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي، إني أنا الله لا إله إلا أنا، قاصم الجبارين، ومديل المظلومين، وديان يوم الدين. إني أنا الله لا إله إلا أنا ، فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي عذبته عذابا لا أعذب به أحدا من العالمين؛ فإياي فاعبد، وعلي فتوكل. إني لم أبعث نبيا قط فأكملت أيامه وانقضت مدته إلا وجعلت له ***وصيا***؛ وقد فضلتك على الأنبياء وفضلت ***وصيك*** على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك بعده وسبطيك ***الحسن والحسين***، فجعلت ***حسنا*** موضع علمي بعد مدة ***أبيه***، وجعلت ***حسينا*** خازن وحيي ، وأكرمته بالشهادة، وختمت له

---

103 وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين (الإمام الخامس عند الإثني عشرية).

104 والنص المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أنه تعرض للتهديد بالعذاب حتى أجبر على تبليغ الرسالة.

105 المعنى المقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شعر بدنو أجله.

106 الكلينــي ، ***أصول الكـافـي*** ، ص 168.

بالسعادة؛ فهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء عندي درجة، جعلت كلمتي التامة معه، وحجتي البالغة عنده. بعترته أثيب وأعاقب، أولهم ***علي*** سيد العابدين، وزين أوليائي الماضين، وابنه شبه جده المحمود ***محمد*** الباقر لعلمي، والمعدن لحكمتي، سيهلك المرتابون في ***جعفر***، الراد عليه كالراد علي. حق القول مني لأكرمن مثوى ***جعفر***، ولأسرنه في أشياعه وأنصاره وأوليائه. انتجت بعده ***موسى***، وأتيحت فتنة عمياء صماء حندس، لأن خيط فرضي لا ينقطع، وحجتي لا تخفى، وأن أوليائي يسقون بالكأس الأوفى. ألا ومن جحد واحدا منهم فقد جحد نعمتي، ومن غير آية من كتابي فقد افترى علي. وويل للمكذبين الجاحدين بعد انقضاء مدة ***موسى*** عبدي وحبيبي وخيرتي، فإن المكذب لأحدهم المكذب لكل أوليائي. ***وعلي*** [107] وليي وناصري، ومن أضع عليه أعباء النبوة، وأمتحنه بالاضطلاع بها، يقتله عفريت مستكبر، يدفن بطوس، التي بناها العبد الصالح[108] ، إلى جنب شر خلقي. لأقرن عينه ***بمحمد*** ابنه وخليفته من بعده ووارث علمه؛ فهو معدن علمي، وموضع سري، وحجتي على خلقي. جعلت الجنة مثواه ، وشفعته في سبعين ألفا من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار؛ وختمت بالسعادة لابنه ***علي***، وليي وناصري والشاهد في خلقي، وأميني على وحيي، أخرج منه الداعي إلى سبيلي، والخازن لعلمي ***الحسن***، ثم أحمل ذلك ***بابنــه*** رحمة للعالمين، عليه كمال موسى، وبهاء عيسى، وصبر أيوب؛ سيذل أوليائي في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم، فيقتلون ويحرقون، ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم ويفشوا الويل والرنة في نسائهم. هؤلاء أوليائي حقا؛ بهم أدفع كل بلية وفتنة عمياء حندس، وبهم أكشف الزلازل، وأدفع الآصار والأغلال؛ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون [109]."

[5] عنعنة ... عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام قال: "الوصية نزلت من السماء على رسول الله صلى الله عليه وآله كتابا مختوما، ولم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله كتاب مختوم إلا الوصية؛ فقال جبرئيل : يا محمد، هذه وصيتك في أمتك إلى أهل بيتك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أي أهل بيتي يا جبرئيل ؟ فقال : نجيب الله وذريته ... وكان عليها خواتيم ففتح علي عليه السلام الخاتم الأول، ومضى لما أمر فيه، ثم فتح الحسن عليه السلام الخاتم الثاني ومضى لما أمر به؛ ثم فتح الحسين عليه السلام الخاتم الثالث ومضى؛ ففتح علي بن الحسين الخاتم الرابع، فوجد فيه : أن اطرق واصمت لما حجب الله العلم، ثم دفعها إلى محمد بن علي عليه السلام ففتح الخاتم الخامس فوجد فيه : أن فسر كتاب الله تعالى وصدق أباك وورث ابنك العلم واصطنع الأمة، وقل الحق في الخوف والأمن ولا تخش إلا الله، ففعل ، ثم دفعها إلى الذي يليه، فقال معاذ بن كثير [الراوي] : فقلت له: وأنت هو ؟ فقال : ما بك في هذا إلا أن تذهب - يا معاذ – فترويه عني، نعم ، أنا هو، حتى عدد علي اثنا عشر [كذا] إسماء، ثم سكت؛ فقلت: ثم من ؟ فقال : حسبك [110]."

[6] عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم... "لما نزلت الخطيئة بآدم وأخرج من الجنة أتاه جبرئيل (ع) فقال: يا آدم، أدع ربك. قال: حبيبي جبرئيل، ما أدعو ؟ قال: قل: رب أسألك بحق الخمسة الذين تخرجهم من صلبي آخر الزمان، إلا تبت علي ورحمتني. فقال له آدم (ع) : يا جبرئيل، سمهم

---

107 هو الإمام الثامن في القائمة ، علي بن موسى بن جعفر الصادق، الملقب بـ "الرضا".

108 المراد به ذو القرنين، لأن طوس من بنائه، وقد صرح به في رواية النعماني [وهذه الحاشية ليست للمؤلف الحالي] بل هي حاشية ملحقة بنص المصدر، أضافها من قاما بتحقيق نصه قبيل نشره.

109 العكبري ، ***الاختصاص*** ، ص 211- 212 . والعكبري كان رئيس الطائفة الإثني عشرية في عصره ، توفي 413هـ.

110 أبو عبدالله محمد بن إبراهيم المعروف بابن أبي زينب النعماني (ت. 360هـ)، ***الغيبة*** ، تحقيق فارس حسون كريم (قم – إيران : منشورات أنوار الهدى، الطبعة الآولى سنة 1422 هـ.ق.) ، ص 60 – 61 ؛ وسنشير إليه فيما بعد بـ " النعماني"، فقط.

لي. قال : قل: رب أسألك بحق محمد نبيك، وبحق علي وصيك ، وبحق فاطمة بنت نبيك، وبحق الحسن والحسين سبطي نبيك إلا تبت علي ورحمتني ... فدعى بهن آدم فتاب الله عليه. وذلك قول الله : ((فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه.)) [111] .

[7] عن أبي عبدالله (جعفر بن محمد – الصادق): الأئمة ***علي***، وابنه ***الحسن***، ***والحسين***، و***علي*** بن الحسين ، ثم ***محمد*** بن علي [112] ، [ثم الصادق نفسه حسب رقم 5 من هذه "الأحاديث".]

[8] وفي حديث ينتهي سنده إلى ابن عباس ، منسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، "... والذي بعثني بالنبوة وجعلني خير البرية، إن وصيي [علي] لأفضل الأوصياء، وإنه لحجة الله على عباده، وخليفته على خلقه، ومن ولده الأئمة الهداة بعدي، بهم يحبس الله العذاب عن أهل الأرض ، وبهم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم ... عدتهم عدة الشهور، وهي اثنا عشر شهرا ... ثم تلا [رسول الله] هذه الآية: ((والسماء ذات البروج)) ... أما السماء فأنا، وأما البروج فالأئمة بعدي، أولهم علي، وآخرهم المهدي، صلوات الله عليهم أجمعين [113]."

[9] وفي اليوم الثامن عشر [من شهر ذي الحجة] سنة عشر للهجرة "عقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب العهد بالإمامة في رقاب الأمة كافة، وذلك ***بغدير خم***[114] عند مرجعه من حجة الوداع، حين جمع الناس فخطبهم ووعظهم، ونعى إليهم نفسه عليه السلام، ثم قررهم على فرض طاعته حسب ما نزل به القرآن؛ وقال لهم على أثر ذلك : "فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله. ثم نزل فأمر الكافة بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين تهنئة له بالمقام. وكان أول من هنأه بذلك عمر بن الخطاب، فقال له: بخ بخ يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة... وأنزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم عند خاتمة كلامه : ((اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)) وهو يوم عيد عظيم بما أظهره الله تعالى من حجته، وأبانه من خلافة وصي نبيه، وأوجبه من العهد في رقاب بريته."[115]

[10] عنعنة ... عن عمرو بن الأشعث : سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام يقول : ... "لعلكم ترون أن هذا الأمر في الإمامة إلى الرجل منا يضعه حيث يشاء؟ والله إنه لعهد من الله نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى رجال مسمين رجل فرجل حتى تنتهي إلى صاحبها [116]."

وفي حديث آخر منسوب إلى جعفر الصادق بشأن قول الله عز وجل: ((إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، إن الله نعما يعظكم به)) قال [أبو عبدالله جعفر الصادق] : "هي الوصية يدفعها الرجل منا إلى الرجل [117] ."

---

[111] فرات الكوفي ، ***تفسير فرات الكوفي*** ، ص 57 – 58.

[112] الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 103.

[113] العكبري ، ***الاختصاص*** ، بيروت : دار المفيد ، الطبعة الثانية، 1414هـ/1993م، طبعت بموافقة اللجنة الخاصة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ص 223- 224.

[114] وفي بعض الروايات يرد اسمه : وادي خم .

[115] العكبري ، ***مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة*** ، ص 38 – 39 ؛ يلاحظ اختلاف طريقة الترقيم في هذا المصدر، فهو يضم مجموعة رسائل نشرت في مجلد واحد، وأعطيت كل رسالة ترقيما مستقلا، أي أن الترقيم ليس متصلا من أول الكتاب إلى آخره.

[116] النعماني، ***الغيبة*** ، ص 59 .

[117] ***المصدر نفسه*** ، ص 59 – 60 .

هذه الروايات العشر، مع مكرراتها، أو تكرار بعضها مما أشرنا إليه باقتضاب، تؤكد – من وجهة نظر إخواننا الشيعة الإمامية – أن اختيار الإمام شأن إلهي، وأن الله وحده هو الذي اختار الأئمة وحدد أشخاصهم، بدءا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وانتهاء بـ "الإمام الغائب"، محمد بن الحسن العسكري، وأن ولايتهم جاءت من الله وليس من عند رسول الله. وقد نقلناهذه النصوص من المصادر الإثني عشرية كما هي، دون تعليق في هذا الموضع، من أجل بيان أصول الفكر كما يؤمن به أصحابه ، وهي في مجموعها جزء ضئيل من آلاف الروايات. أما التحليل والتعليق فمكانه في الفصل السابع إن شاء الله.

صفاتهم الخارقة (الفوق – بشرية) :

- في "حديث" نسب إلى جعفر الصادق أنه قال: "كان أمير المؤمنين [علي بن أبي طالب] عليه السلام باب الله الذي لا يؤتى إلا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك. وكذلك يجري الأئمة الهدى [كذا] واحدا بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى. وكان أمير المؤمنين عليه السلام كثيرا ما يقول : أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم ، ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقرت به لمحمد عليه الصلاة والسلام، ولقد حملت على مثل حمولته، وهي حمولة الرب. وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعى فيكسى وأدعى فأكسى، ويستنطق وأستنطق، فأنطق على حد منطقه. ولقد أعطيت خصالا ما سبقني إليها أحد قبلي؛ علمت المنايا والبلايا، والأسباب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني؛ أبشر بإذن الله وأؤدي عنه ؛ كل ذلك من الله مكنني فيه بعلمه[118]." وهناك أربع روايات أخرى بنفس المضمون.

- ومن أعظم قصص الخوارق وأعجبها ما نسب إلى جعفر الصادق أنه روى عن آبائه فقال : "كان العباس بن عبدالمطلب ويزيد بن قعنب جالسين ... بإزاء المسجد الحرام إذ أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم – أم أمير المؤمنين عليه السلام – وكانت حاملة بأمير المؤمنين لتسعة أشهر ... فوقفت بإزاء البيت الحرام وقد أخذها الطلق فرمت بطرفها نحو السماء وقالت : أي رب ، إني مؤمنة بك وبما جاء به من عندك الرسول وبكل نبي من أنبيائك، وبكل كتاب أنزلت ... فأسألك بحق هذا البيت ... وبهذا المولود الذي في أحشائي، الذي يكلمني ويؤنسني بحديثه ، وأنا موقنة أنه إحدى آياتك ودلائلك ، لما يسرت علي ولادتي.

قال العباس بن عبدالمطلب ويزيد بن قعنب: لما تكلمت فاطمة بنت أسد ودعت بهذا الدعاء رأينا البيت قد انفرج من ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت من أبصارنا، ثم

[118] الكليني، ***أصول الكافي*** ، ص 112 .

عادت الفتحة والتزقت بإذن الله تعالى؛ فرمنا أن نفتح الباب ليصل إليها بعض نسائنا، فلم ينفتح الباب، فعلمنا أن ذلك من أمر الله تعالى. وبقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام ... وأهل مكة يتحدثون بذلك في أفواه السكك ... فلما كان بعد ثلاثة أيام انفتح البيت من الموضع الذي كانت قد دخلت فيه، فخرجت فاطمة وعلى يديها علي ثم قالت: معاشر الناس، إن الله عز وجل اختارني من خلقه ... وفضلني ... على كل من مضى قبلي من نساء العالمين لأني ولدت في بيته العتيق ... فلما أردت أن أخرج وولدي على يدي هتف بي هاتف وقال : يا فاطمة، سميه عليا، فأنا العلي الأعلى ... وإني ... اشتققت اسمه من إسمي، وأدبته بأدبي، ***"وفوضت إليه أمري"*** ، ووقفته على غامض علمي، وولد في بيتي ... وهو الإمام بعد حبيبي ونبيي ... محمد ... فطوبى لمن أحبه ونصره ، والويل لمن عصاه وخذله وجحد حقه.
قال : فلما رآه أبو طالب سـره ، وقال علـي : السلام عليك يا أبه ورحمة الله وبركاته... ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما دخل اهتز له أمير المؤمنين وضحك في وجهه، وقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ... ثم تنحنح بإذن الله تعالى وقال : بسم الله الرحمن الرحيم : قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون – إلى آخر الآيات . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أفلحوا بك. وقرء تمام الآيات إلى قوله: "أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون [119]." فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنت والله أميرهم تميرهم من علومك فيمتارون، وأنت والله دليلهم وبك يهتدون ... فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه في فيه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، قال: فسمي ذلك اليوم يوم التروية [120]..."

- عنعنة ... عن عبدالله بن مسعود قال: " أتيت فاطمة صلوات الله عليها فقلت لها : أين بعلك ؟ فقالت : عرج به جبرئيل إلى السماء. فقلت: في ماذا ؟ فقالت : إن نفرا من الملائكة تشاجروا في شئ فسألوا حكما من الآدميين، فأوحى الله تعالى إليهم أن تخيروا، فاختاروا علي بن أبي طالب عليه السلام [121]."

- عنعنة ... عن أبان الأحمر : قال الصادق عليه السلام : يا أبان، كيف ينكر الناس قول أمير المؤمنين عليه السلام لما قال [وهو في الكوفة] : لو شئت لرفعت رجلي هذه فضربت بها صدر ابن أبي سفيان وهو بالشام فنكسته عن سريره " ولا ينكرون تناول آصف ، وصي سليمان، عرش بلقيس وإتيانه سليمان به قبل أن يرتد إليه طرفه ؟ أليس نبينا صلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء ووصيه عليه السلام أفضل

---

[119] سورة المؤمنون ، آية رقم 1 – 11 .
[120] الطوسـي ،***كتـاب الأمـالي*** ، ص 981 - 982 : مجلس يوم الجمعة رقم (42) بتاريخ 24 ذي القعدة 457هـ .
[121] الشيخ المفيد ،***الاخـتـصـاص*** ، ص 213 .

الأوصياء ؟ أفلا جعلوه كوصي سليمان ؟ حكم الله بيننا وبين من جحد حقنا وأنكر فضلنا [122]."

- عن أبي جعفر [الإمام الخامس] قال: "إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفا، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين. ونحن عندنا من الإسم الأعظم اثنان وسبعون حرفا، وحرف واحد عند الله استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. " وفي رواية أخرى عن جعفر الصادق قال : "إن عيسى بن مريم عليه السلام أعطي حرفين كان يعمل بهما، وأعطي موسى أربعة أحرف، وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطي نوح خمسة عشر حرفا، وأعطي آدم خمسة وعشرين حرفا، وإن الله تعالى جمع ذلك كله لمحمد صلى الله عليه وسلم ." وفي رواية عن أبي الحسن علي بن محمد، صاحب العسكر [الإمام العاشر]

الأئـمـة الإثـنـا عشــــر[123]

إسم الإمـــــــام	ولادته	وفاتـه

[122] ***المصدر نفسه*** ، ص 212 – 213 .

[123] وقد حصلت على هذه المعلومات من الكليني، ***أصول الكافي***، ص 271- 310 (كتاب التاريخ)؛ الشيخ المفيد، ***مسار الشيعة***, ص25- 49.

(1)	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	30 بعد عام الفيل	40 هـ
(2)	الحسن بن علي بن أبي طالب (ر)	3 هـ	50 هـ
(3)	الحسين بن علي بن أبي طالب (ر)	4 هـ	61 هـ
(4)	علي بن الحسين (السجاد)	38 هـ	94 هـ
(5)	محمد بن علي بن الحسين(الباقر)	57هـ	114هـ
(6)	جعفر بن محمد (الصادق)	83هـ	148هـ
(7)	موسى بن جعفر (الكاظم)	128هـ	183هـ
(8)	علي بن موسى (الرضا)	148هـ	203هـ
(9)	محمد بن علي بن موسى (الجواد)	195هـ	220هـ
(10)	علي بن محمد العسكري (الهادي)	212هـ	254هـ
(11)	الحسن بن علي العسكري	232هـ	260هـ
(12)	محمد بن الحسن (الغائب)	254هـ	... ؟؟؟

- ... " إن اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفا ... وعندنا منه اثنان وسبعون حرفا، وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب " [124].

---

[124] الكليني، ***أصول الكافي***، ص 132 .

- عن أبي جعفر [الإمام الخامس] قال: "إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفا، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين. ونحن عندنا من الإسم الأعظم اثنان وسبعون حرفا، وحرف واحد عند الله استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. " وفي رواية أخرى عن جعفر الصادق قال : "إن عيسى بن مريم عليه السلام أعطي حرفين كان يعمل بهما، وأعطي موسى أربعة أحرف، وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطي نوح خمسة عشر حرفا، وأعطي آدم خمسة وعشرين حرفا، وإن الله تعالى جمع ذلك كله لمحمد صلى الله عليه وسلم ." وفي رواية عن أبي الحسن علي بن محمد، صاحب العسكر [الإمام العاشر] ... " إن اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفا ... وعندنا منه اثنان وسبعون حرفا، وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب " [125].

- نسب إلى جعفر الصادق أنه قال: " علم رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام ألف باب، يفتح كل باب ألف باب... وإن عندنا الجامعة ... صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله صلى الله عليه ... وإملائه ... وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شئ يحتاج الناس إليه ... وإن عندنا الجفر ... وعاء من أدم، فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل ... وإن عندنا لمصحف فاطمة ... ***مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد.*** إن عندنا علم ما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.

وتعريفا بمصحف فاطمة نسب إلى جعفر الصادق القول: "إن الله تعالى لما قبض نبيه دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل؛ فأرسل الله إليها ملكا يسلي غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي ؛ فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كل ما سمع حتى أثبت من كل ذلك مصحفا ... أما إنه ليس فيه شئ من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون [126]."

- عنعنة ... "سمعنا أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن عندي الجفر الأبيض ... [فيه] زبور داود، وتوراة موسى ،وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم عليهم السلام، والحلال والحرام... وعندي الجفر الأحمر [فسئل:] وأي شئ في الجفر الأحمر؟ قال: السلاح، وذلك إنما يفتح للدم، يفتحه صاحب السيف للقتل [127] " [أي الإمام الغائب عند عودته].

- عنعنة ... عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الحسن عليه السلام قال: إن لله مدينتين إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، عليهما سور من حديد، وعلى كل واحد منهما ألف ألف [مليون] مصراع، وفيها سبعون ألف ألف [70 مليون] لغة، يتكلم كل لغة

---

[125] الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 132 .
[126] ***المصدر نفسه*** ، ص 136 – 137.
[127] ***المصدر نفسه*** ، ص 137 .

بخلاف لغة صاحبها [كذا في الأصل]، وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما، وما عليهما حجــة غيري وغير الحســين اخي [128]."

- الأئمة يعلمون كل علوم الأنبياء؛ والأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا. وأنهم يعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيارهم [129].

- الأئمة يعلمون جميع الألسن واللغات، ومنطق الطير والحيوانات وقد أورد الرواة "أحاديث" أو حكايات كثيرة لتأكيد ذلك، حسب ظنهم أو ادعائهم [130].

- "حديث" ينتهي سنده إلى أبي جعفر الثاني، قال: "إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفردا بوحدانيته، ثم خلق محمدا وعليا فمكثوا ألف دهر ، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورها إليهم، فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون ، ولن يشاءوا إلا ما شاء الله تبارك وتعالى [131].

- "حديث" ينتهي سنده إلى أبي عبدالله عليه السلام، قال: إن الله خلقنا من عليين، ، وخلق أرواحنا من فوق ذلك، وخلق شيعتنا، وخلق أرواح شيعتنا وخلق أجسادهم من دون ذلك؛ فمن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحن إلينا." [132].

- نسب إلى جعفر بن محمد [الإمام السادس] القول : "أما والله لو لم يخلق الله علي بن أبي طالب صلوات الله عليه لما كان لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفء من الخلق، آدم فمن دونه. . . لولا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب عليه الســلام لم يخلق اللــه ســـماء ولا أرضا ولا جنــة ولا نارا" [133]. كما نسب إليه القول : "كان يوسف بن يعقوب نبي بن نبي بن نبي بن خليل الله ، وكان صديقا رسولا، وكان – والله – أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامه أفضل منه . [134]"

الـغيـبـــــة والـغـائب أغرب الـخـوارق، والأكثر إثارة للجدل:

---

[128] ***المصدر نفسه*** ، ص 277.

[129] ***المصدر نفسه*** ، 147 .

[130] أنـظـر الـعـكـبري ، ***الاخـتـصـاص*** ، ص 289- 301 ، حيث تجد بعض هذه "الأحاديث" والروايات.

[131] الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 263 .

[132] ***المصدر نفسه*** ، ص 263.

[133] الـعـكـبري ، ***رسـالـة تفـضـيل أمـير المؤمـنين*** ، ص 32 – 33 ؛ وهذه الرسالة منشورة ضمن كتاب الشيخ المفيد المعنون ***مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة؛*** الذي يضم عدة رسائل، كلها منها بترقيم منفصل .

[134] ***المصدر نفسه*** ، ص 32 .

"الأحاديث" التي وردتنا منسـوبة إلى علي بن أبي طالب عليه السـلام بشـأن موضوع ***الـغـيـبـة***، وأسست له في فكر إخواننا الشيعة الإثني عشـرية، لم تلبث طويلا حتى تحولت فصارت أكبر تحد واجهه الفكر الشيعي الإثني عشري. وخلاصة موضوع الغيبة – حسب ما تقدمه لنا المصادر – هي " أن الإمام الثاني عشر ، ***محمد بن الحسن العسكري*** ، المولود سنة 255هـ [135]، اختفى عندما كان عمره خمس سنوات، أي سنة 260هـ تقريبا، ولم يزل مختفيا حتى الآن." ويطلق على الإمام الغائب ألقاب عدة، فهو المهدي المنتظر، وهو الحجة، وهو القائم، وهو صاحب الزمان، وصاحب الحق، وصاحب الدار، وهو الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا ؛ وبهذا فهو المنقذ والمحرر، أو "المخلص". وأقدم ***"الأحاديث"*** التي وصلتنا عن هذه الغيبة[136] هو الذي أورده الكليني منسوبا إلى علي بن أبي طالب عليه السلام. والكليني قريب جدا من الزمن الذي يفترض أن "الإمام محمد بن الحسن العسكري" ولد فيه، ويمكن أن يكون الكليني قد ولد قبل وفاة الحسن العسكري، "والد الإمام الغائب"، إذ أن وفاة الكليني كانت سنة 328هـ . وفيما يلي نص الرواية التي أوردها لنا محمد بن يعقوب الكليني متصلة السند إلى الأصبغ بن نباته ثم إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

عنعنـة ... "عن الأصبغ بن نباتة، قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام، فوجدته متفكرا ينكث في الأرض، فقلت : يا أمير المؤمنين، مالي أراك متفكرا تنكث في الأرض، أرغبة منك فيها ؟ فقال : والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يوما قط، ولكني أفكر في مولود يكون من ظهري، الحادي عشر من ولدي، وهو المهدي الذي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما، تكون له غيبـة وحيرة، يضل فيها أقـوام ويهتدي فيها آخرون. فقلت: يا أمير المؤمنين، وكم تكون الحيرة والغيبة ؟ قال: ستة أيام، أو ستة أشـهر، أو سـت سـنـيـن. فقلت: وإن هذا لكائن ؟ قال : نعم ، كما أنه مخلوق؛ وأنى لك بهذا يا أصبغ [137] ! " إذن ، هذه الرواية هي التي أسست لفكرة الإمام الغائب في الفكر والكتابات الإثني عشرية، أو هي أول مؤشر إلى هذه المقولة ؛ وقد تكررت في معظم المصادر الإمامية المهمة، نقلا عن الكليني بطبيعة الحال[138]. وهناك "أحاديث" أخرى منسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفس المضمون، غير أن المصادر التي أوردتها تم تأليفها بعد عصر الكليني. والسؤال الذي يتوقعه المؤلف من أي من القراء هو : كيف تحولت الرواية ليصبح مضمونها المعلوماتي التحدي الأكبر، والأكثر ضغطا وإلحاحا أمام الفكر الشيعي الإمامي ؟ والإجابة لا تحتاج إلى كثير من التفكير. لقد أعلن أن الإمام الثاني عشر اختفى وغاب، وأن حدوث غيابه كان معلوما مسبقا ، وأن غيبته ستستمر ستة أيام أو ستة أشهر أو ست سنوات، وذلك بعد وفاة والده

---

135 الكليني، ***أصول الكافي***، ص 310؛ وقد ذكر الكليني أن ولادة الإمام الغائب كانت في النصف من شعبان من تلك السنة؛ وقد جعلت مصادر أخرى موعد ولادة الإمام الغائب في سنة 254م، أوسنة 256م.

136 هي الرواية الأقدم بالنسبة لقدم مصدرها، وهو كتاب الكليني؛ بيد أن هناك روايات أخرى منسوبة إلى الرسول(ص) في مصادر بعد الكليني.

137 ***المصدر نفسه*** ، ص 198 .

138 النعماني (ت. 360هـ)، ***الـغـيـبـة*** ، تحقيق فارس حسون كرم (قم – إيران : منشورات أنوار الهدى ، 1422هـ)، ص 69 ؛ ويلاحظ أن النعماني حاول تجهيل مدة الغيبة التي وردت محددة في رواية الكليني؛ وانظرالعكبري المشهور بـ الشيخ المفيد ، ***مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة***، تح. الشيخ مهدي نجف (بيروت: دار المفيد، 1414هـ/1993م) ، الرسالة الثانية في الغيبة، ص 12- 13؛ وهي ضمن الصفحات الأخيرة من الكتاب المكون من عدة رسائل في جلد واحد ، كل واحدة بترقيم جديد ، أي غير متابع لما قبله ؛ ومجموع صفحات الكتاب حوالي 300 صفحة أو تقل قليلا. وهناك اختلاف في اسم الراوي الذي نقل عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، مباشرة ، ففي رواية نجده الأصبغ بن نباته، وفي أخرى نجده كميل بن زياد ؛ شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، ***كـتـاب الـغـيـبـة*** ، (إيران – قم : مؤسسة المعارف الإسـلامية، الطبعة الثالثة 1425 هـ. ق.) ، تحقيق الشيخ عباد الطهراني، والشيخ علي أحمد ناصح ، ص 165.

سنة 260هـ . ولكنه لم يظهر، ولم يره الناس بعد مضي السنوات الست، فزاد التساؤل وزادت الشكوك, فظهرت روايات تتجنب ذكر وقت عودة الإمام، ومن ذلك مثلا :

نسب إلى جعفر الصادق أنه سئل عن القائم، أي الإمام الغائب، الذي يفترض أن حالته معروفة من وقت مبكر، منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد خاطبه السائل بقوله : جعلت فداك، أخبرني عن هذا الأمر الذي ننتظر ، متى هو ؟ فقال: .. كذب الوقاتون، وهلك المستعجلون [139] ..." وصار ذكر الوقت، وطلب تحديد الوقت من الأشياء المذمومة المستنكرة، ومضت السنون فصارت تعد بالمئات، وكثر التساؤل، وأدت الشكوك إلى انصراف أعداد من الشيعة عن المذهب، وهنا ازداد قلق القيادات والزعماء، فظهر اتجاه يدعو لابتداع أسلوب يهدف إلى تأكيد وجود الغائب، تأكيد ولادته، واستمرار حياته ووجوده، ونشر تقارير وروايات عن اتصاله ببعض أتباعه، وإصداره بعض الأحكام والفتاوى، وذكر معجزات له كثيرة. ولدينا رواية تعود إلى القرن الخامس، أوردها زعيم الشيعة الإمامية الأول في وقته، الملقب بشيخ الطائفة :

وهي تجسد اختلافا بين موقف والد وولده من قضية الإمامة، وتفسير الإبن ، علي بن يقطين للطريقة التي اتبعها زعماء الإمامية للتغلب على تيار المتشككين ومشكلة انسلاخ الكثيرين عن الطائفة.

علي بن يقطين كان من أتباع الإمام السابع ، أبي الحسن موسى بن جعفر الصادق ، الملقب بالكاظم، المتوفى سنة 183هـ. أما والده يقطين فكان من أتباع الخلفاء العباسيين . وقد روي علي بن يقطين عن الإمام أبي الحسن : "قال لي أبو الحسن عليه السلام : يا علي، إن الشيعة تربى بالأماني منذ مائتي سنة [140]. وفي حوار بين الوالد وابنه سأل ***يقطين*** ابنه : ***ما بالنا قيل لنا فكان، وقيل لكم فلم يكن*** ؟ ومعنى السؤال : أن الحركة السرية العباسية وعدت أتباعها بتحقيق النصر والقضاء على الدولة الأموية فتم ذلك، كما انتصر العباسيون على منافسيهم من العلويين وتم ذلك أيضا، وما زالت الخلافة العباسية قائمة. أما بالنسبة لحركة العلويين، والإمامية الاثني عشرية منهم خاصة فإن أيا من وعودها بشأن الوصول إلى السلطة لم يتحقق. وكان رد ***علي بن يقطين*** على والده كما يلي: "***إن الذي قيل لنا وقيل لكم من مخرج واحد***" ، أي أن الحركة في بدايتها كانت حركة واحدة شعارها الرضا من آل محمد، ومحاربة الظلم وإعادة الحق إلى نصابه، ثم نجح العباسيون في الانفراد بالقيادة والسلطة والاستئثار بهما. ويواصل علي بن يقطين رده على والده: "غير أن أمركم ***حضركم فأعطيتم محضه***، وكان كما قيل لكم، ***وأن أمرنا لم يحضر فعللنا بالأماني.***" ويمضي علي بن يقطين في شرح الأسباب لوالده : "***ولو قيل لنا إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى [انقضاء] مائتي سنة أو ثلاثمائة سنة لقست القلوب، ولرجعت عامة الناس عن الإسلام*** [أي عن الإسلام الشيعي الإثني عشري] ، "***ولكن قالوا : ما أسرعه وما أقربه ، تألفا لقلوب الناس ، وتقريبا للفرج [141].*** ومن أمثلة هذا التعليل بالأماني ما أورده النعماني في الباب 25 بعنوان : "من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمـر أو تأخـره ، والأمر هو

---

[139] الكليني ، ***أصول الكافي***، ص 217 ، وتكرر الحديث بالنص أو بالمضمون في نفس الصفحة والتي تليها .

[140] توفي الإمام أبو الحسن موسى الكاظم سنة 183 هـ ، ولو عدنا إلى الوراء مائتي سنة من تاريخ وفاته فذلك يعني أن "***التربية بالأماني***" بدأت قبل الهجرة النبوية ، بل قبل البعثـة النبوية !.

[141] شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ،***كتاب الـغيـبـة*** ، ص 341- 343 .

عـودة الإمام الغائب ومباشــرتــه لمهمته كما عرفتها المصادر الشيعية [142]. ودلالة هذا الحــوار بين علي بن يقطين ووالده تبين بجلاء أن ســياســة التربية عن طريق التعليل بالأماني، كان سياسة مختارة عن وعي وقصد؛ وقد أضاف محققا ***كتاب الغيبة*** حاشية شرحا فيها عبارة **"*تربى بالأماني منذ مائتي سنة*"** أي يربيهم ويصلحهم أئمتهم عليهم السلام بأن يمنوهم تعجيل الفرج ، وقرب ظهور الحق لئلا يرتدوا وييأسوا " [143]. والذي أفهمه ويفهمه أي قارئ من عبارة "التعليل بالأماني" أنه بذل وعود وتوليد آمال غير حقيقية لتمكين الشخص الذي يبذل له التعليل من الصبر والانتظار، كما نفعل مع الأطفال.

وكان مما ظهر في خضم موضوع الإمام الغائب و تحديد موعد عودته ما سمي بعقيدة **"*البداء*".** فقد نسب لأبي جعفر (الباقر): " ... إن الله تعالى كان وقت لهذا الأمر في السبعين،[هذا الأمر : إي انتصار الشيعة وانتهاء محنتهم، وفي السبعين، سنة 70هـ] فلما قتل الحسين عليه السلام ، اشتد غضب الله على أهل الأرض فأخره إلى أربعين ومائة سنة؛ فحدثناكم فأذعتم الحديث، وكشفتم قناع السر، فأخره الله ولم يجعل له بعد ذلك عندنا وقتا؛ ((يمح الله ويثبت وعنده أم الكتاب .))

وعندما قامت الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني سنة 1979م وتمكنت من فرض سيطرتها ، واجهت الخميني مشكلة انتظار الإمام الغائب (عجل الله فرجه) المكلف وحده باستخدام السيف ، بينما يظل الشيعة قبل ظهوره متمسكين بموقف التقية الذي أكدت الروايات الشيعية أنها دين : "التقية ديني ودين آبائي وأجدادي ..." وهكذا سعى الخميني – رحمه الله – إلى تثبيت وتفعيل فكرة ولاية الفقيه ليخرج الشيعة من حالة الانتظار السلبي. وقد جعل "ولاية الفقيه" أساسا لدستور إيران الثورة. لكن هذا الحل اصطدم بمعارضة من بعض كبار علماء الشيعة، في حياة الخميني وبعد وفاته، وأشهرهم آية الله شريعتمداري ، وآية الله منتظري، وآية الله محمد مهدي شمس الدين ، وأتباع هؤلاء ومؤيدوهم [144] .

ممـا مضـى يبدو واضحا أن فكرة الإمامة تطورت خلال السياق التاريخي التالي:

تولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخلافة أوائل سنة 36هـ/658م ؟ ، وقد توفي رضي الله عنه غيلة سنة 40هـ ؛ أي أن خلافته كانت أقل من خمس سنوات فقط. ثم بويع الحسن بن علي بالخلافة ، حيث استمرت خلافته ستة أشهر. وقد جرت خلال تلك الشهور الستة مفاوضات بين الخليفة، الحسن بن علي رضي الله عنه، وبين والي الشام المتمرد ، معاوية بن أبي سفيان، انتهت بالاتفاق الذي تنازل الحسن بموجبه عن الخلافة لصالح معاوية، مقابل أشياء محددة طلبها الحسن، وتوقف الصراع بين الجانبين واستمرت الحال على ذلك عشرين ســنة تقريبا، حتى وفاة مـعـاوية ســنة 60 هـ وما تبعها من انتقال منصب الخلافة بالوراثة ليزيد بن معاويه، فكان ذلك محفزا جديدا لاستئناف الصراع في مرحلته الثانية [145]. وفي هذه المرحلة الثانية قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما سنة 61هـ، وقامت خلافة عبدالله بن الزبير فكسفت الخلافة الأموية وكادت أن تنهيها، وظهرت شخصية محمد بن علي بن أبي طالب (إبن الحنفية)، خاصة مع انطلاقة حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في

---

142 النعماني، ***الـغـيـبـة*** ، ص 350 – 352 ، حيث أورد ستة "احاديث" منسوبة إلى جعفر الصادق، وقد نقلها كلها عن الكليني، وصرح بذلك؛ أنظر الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 219 تحت عنوان : باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تـاخـر .

143 الطوسي ، ***كتاب الغيبة*** ، ص 341 ، حاشــية رقم 9 ، وهي الحاشية الأخيرة في الصفحة.

144 أنظر ص 165 في آخر الفصل الثامن ، حيث طرح المعارضون نظرية جديدة بدلا من ولاية الفقيــه .

145 للإطلاع على تفاصيل أكثر عن هذا ا لموضوع أنظر عبدالله أبو عـزة : ***إنهيار الحضارة العربية الإسلامية وسبيل النهوض***، (عمان : دار الفضيلة، 2008)، ص 55 – 77 .

الكوفــة؛ وقد كان بعض أنصار محمد بن علي يلقبونه بـ "المهدي"، ويخاطبونه : "ســلام عليك يا مهــدي [146] " . وبانتصار عبدالملك بن مروان والقضاء على الخلافة الزبــيريــة سنة 73هـ عادت حالة الاستقرار لحكم بني أمية، واختفت المعارضة، علوية وغير علوية، حتى سنة 121 حين قام زيد بن علي بحركة ضد السيطرة الأموية انتهت بالفشل. ومنذ سنة 100هـ بدأ العباسيون حركة سرية استهدفت القضاء على الأمويين وإقامة خلافة عباسية، وظلوا يعملون في تكتم صارم طوال ثلاثين سنة حتى تحقق هدفهم بالقضاء على الأمويين وإقامة الخلافة العباسية سنة 132هـ. ورغم صلة القربى بين العباسيين والعلويين فقد عاد الاضطهاد والقمع ليلقي بظلاله على أحفاد علي بن أبي طالب على أيدي أبناء عمومتهم العباسيين، واشتعل الصراع بشكل صارخ مع تحرك محمد بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الملقب بـ "النفس الزكية" بين سنتي 140 و144هـ . وقد انتهت تلك الحركة بالفشل أيضا، وقتل محمد بن عبدالله – النفس الزكية - ثم قتل أخوه إبراهيم في السنة التالية على أثر تحركه في الكوفة [147]. وقد ظل معظم الخلفاء العباسيين الأقوياء (132هـ - 247هـ) مصلتين سيوف الاضطهاد على كل شخصية علوية يشكون في احتمال قيامها بدور قيادي يهدد استقرار الأسرة والدولة العباسية، يستثنى من ذلك عهد المأمون والمعتصم والواثق. وعندما تولى المتوكل عاد لاستــهداف العلويين بالإضطهاد؛ ولكن هذا التحول الذي أحدثه المتوكل كان بسبب وشاية وتحريض من جانب بعض العلويين. وقد ذكر محمد بن يعقوب الكليني أن "البطحائي العلوي [وشى بعلي بن محمد بن علي الرضا إلى المتوكل] بأن أموالا تحمل إليه وسلاحا ." ومن أجل ذلك أمر المتوكل حاجبه أن يصطحب قوة ويهاجم دار أبي الحسن علي بن محمد ، ولم تجد القوة شيئا وعاد قائدها فأخبر المتوكل بذلك [148] . وقد اعتذر إليه المتوكل، وقدم له مبلغا ماليا، وأعاده إلى بيته مكرما. بل إن لدينا نص خطاب أمر المتوكل بكتابته إلى علي بن محمد ، وكلف بذلك يحيى بن هرثمة، فكتب يحيى ما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد، فإن أمير المؤمنين عارف بقدرك ، راع لقرابتك، موجب لحقك يقدر من الأمور فيك وفي أهل بيتك ما أصلح الله به حالك وحالهم، وثبت به عزك وعزهم، وأدخل اليمن والأمن عليك وعليهم، يبتغي بذلك رضاء ربه ، وأداء ما افترض عليه فيك وفيهم. وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبدالله بن محمد عما كان يتولاه من الحرب والصلاة بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ كان على ما ذكرت من جهالته بحقك ، واستخفافه بقدرك، وما قرفك به ونسبك إليه من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه ، وصدق نيتك في ترك محاولته، ... وقد ولى ما كان يلي من ذلك محمد بن الفضل، وأمره بإكرامك وتبجيلك ... وأمير المؤمنين مشتاق إليك، يحب إحداث العهد بك والنظر إليك، فإن نشطت لزيارته والمقام قبله [149]... " وبعد مقتل المتوكل لم يكن القادة الأتراك ممن يهمهم أمر الدين والمذاهب والتمذهب ، ولم يعد الخلفاء الضعاف قادرين على ممارسة الاضطهاد الذي مارسه أسلافهم ضد بني عمهم العلويين [150]. والذي نلاحظه من نص الرسالة التي وجهت لعلي بن محمد بن علي الرضا، وهو الإمام العاشر عند الإثني عشرية، نجد أن المتوكل عزل والي المدينة لأنه كان يسئ لعلي بن محمد، وعين وال آخر مكانه، وأمره أن يعاملــه باحترام كبير .

كيف بدأت الـغـيـبــة ؟

---

146 محمد بن سعد ، ***الطبقات الكبرى*** ، مجلد 5 ، ص 94 .

147 أنظر نفس المرجع : ***إنـهيار الحضارة العربية الإسلامية ...*** ص 167- 177 .

148 الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 301 .

149 ***المصدر نفســه*** ، ص 302 .

150 ***المصدر نفسه***، ص 199- 211؛ وانظر في ***تاريخ الطبري***، أحداث سنوات 247- 295 هـ والكتاب مرتب على تتابع السنوات.

وبعد هذه التطورات، تقدم لنا المصادر الإثنا عشرية خاصة، "أحاديث" وروايات وقصصا طويلة تتعلق بمسألة الغيبة – غيبة الإمام الثاني عشر - بدءا بسنة 254هـ واستمرارا بعدها. وخلاصة ما تقوله لنا هذه المصادر أن الحسن بن علي العسكري توفي سنة 260هـ/874م تقريبا [151] ، فقام أخوه جـعـفـر، وأعلن نفسه إماما ؛ غير أن هذه الخطوة لقيت معارضة كانت نقطة الاختلاف الرئيسية فيها بشأن ما إذا كان الحسن العسكري قد ترك ابنا ذكرا كي تنتقل الإمامة إليه أم أنه لم يخلف ذكرا فورثه أخوه جـعـفـر. وحول هذا الموضوع نجد بحرا من الروايات والكتابات التي استهدف مؤلفوها تأكيد أن الحسن بن علي العسكري قد خلف ولدا ذكرا اسمه محمد، والافتراض بأنه هو الإمام الغائب، الحجة، والمهدي، إلى آخر سلسلة الألقاب التي ذكرناها في غير هذا الموضع. وكان مما ذكر أنه ولد سنة 255هـ ، أو سنة 254، أو سنة 256 هـ ، حسب روايات أخرى. وقد وردت هذه الروايات والكتابات ضمن مؤلفات شيعية اثني عشرية عامة، تضم قليلا من الحديث المنسوب إلى رسـول اللـــه صلى اللـه عليه وسلم ، مع "أحاديث" كثيرة أخرى معزوة إلى الأئمة [152]، كما وردت ضمن كتب خصصت لموضوع الغيبة دون غيره.

فتحت عنوان: باب في الغيبة، ص 197- 201 من ***أصول الكافي***، نجد إحدى وثلاثين رواية عن غيبة الإمام الثاني عشر أكثرها منسوب إلى جعفر الصادق رضي الله عنه، بينما نسب بعضها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وهي تتفاوت في الحجم بين ثلاثة أسطر، واثني عشر سطرا [153]. كما أننا نجد في أحد مؤلفات العكبري، الملقب بـ الشيخ المفيد ، أربع رسائل في موضوع الغيبة، تحت عنوان : الرسالة الأولى في الغيبة، والرسالة الثانية، والثالثة، والرابعة. وقد اخترنا أهم كتابين مما خصص لموضوع الغيبة دون غيره من الموضوعات، بجانب ما ورد في الكتب الأخرى التي ذكرناها في قائمة المصادر، وفي الحواشي.

الإمام الغائب ، مناقبــه وصفاته الممــيزة والخارقة:

لقد وصف الإمام الثاني عشر، المنتظر، بأنه أفضل الأئمة وأعظمهم، وأن ظهوره وممارسته لدوره سيغير وجه الأرض، ومن ذلك ما قيل منسوبا إلى أبي عبدالله – جعفر الصادق – "إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها ، واستغنى الناس ، ويعمـر الرجل في ملكه حتى يولد له ألف ذكر لا يولد فيهم أنثـى، ويبني في ظهر الكوفة مسجدا له ألف باب ... [154]" وقد أورد محدثو الإمامية مقولات نسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى مشاهير الصحابة، من مثل : "عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أبشركم بالمهدي ... يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض [155]." ويسوق الله بالإمام الغائب العائد "...

---

[151] هناك اختلاف يسير بين الروايات التي تحدد تاريخ ولادة "الأمام الثاني عشر" ووفاة الإمام الحادي عشر، فقد ورد أن ولادة الثاني عشر حدثت سنة 254هـ، حسب إحدى الروايات، وسنة 255هـ حسب رواية أخرى، وسنة 256هـ حسب رواية ثالثة؛ كما ذكر أن وفاة الحسن بن علي العسكري، أي الحادي عشر، قد حدثت سنة 260 هـ ، أنظر الـعـكـبري ، ***مسـار الشـيعـة*** ، ص 49 و 58 و 61 ؛ الطوسـي، ***كتاب الغيبـة***، ص 219.

[152] الـكـليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 304 – 305 .

[153] ***المصدر نفســـه*** ، ص 197- 201.

[154] الطوسـي ، ***كتاب الغيبـــة*** ، ص 468 .

[155] ***المصدر نفسه*** ، ص 178 ، وتستمر الروايات المنسوبة إلى رسول الله تؤكد مجئ المهدي، الأمام المنتظر حتى ص 191 من نفس

بركات السماوات والأرض، فينزل السماء [كذا] قطرها، ويخرج الأرض بذرها [كذا] ، وتأمن وحوشها وسباعها، ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا... [156] " [وهو] رحمة للعالمين، عليه كمال موسى، وبهاء عيسى، وصبر أيوب [157]؛ وفي "حديث" عن أبي جعفر ، محمد بن علي: "إذا ظهر القائم عليه السلام ظهر براية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخاتم سليمان، وحجر موسى وعصاه، ثم يأمر مناديه فينادي : ألا لا يحملن رجل منكم طعاما ولا شرابا ولا علفا ... فيسير ويسيرون معه، فأول منزل ينزله يضرب الحجر فينبع منه طعام وشراب وعلف، فيأكلون ويشربون ودوابهم حتى ينزلوا النجف ، بظهر الكوفة [158]." وعند ظهوره "يفرح بخروجه أهل السماوات وسكانها [159]... " وفي حديث منسوب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : وهو "... أوسعكم كهفا، وأكثركم علما، وأوصلكم رحما، اللهم فاجعل بعثه خروجا من الغمة، واجمع به شمل الأمة ، فإن خار الله لك فاعزم ولا تنثن عنه إن وفقت له، ولا تجوزن عنه إن هديت إليه. هـاه – وأومأ بيده إلى صدره شوقا إلى رؤيته [160]..."، أي إلى رؤية الإمام الغائب، المهدي المنتظر. أما صفاته الجسمية، فهو رجل "أجلى الجبين، أقنى الأنف ، ضخم البطن ، أزيل [عريض] الفخذين، بفخذه اليمنى شامة، أفلج الثنايا ... [هو] ذاك المشرب حمرة ، الغائر العينين، المشرف الحاجبين، العريض ما بين المنكبين [161]..."

وفي حديث آخر منسوب إلى إمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : "المهدي أقبل [162] ، جعد، بخده خال، يكون من قبل المشرق [أي يجئ من قبل المشرق] [163].

مـن إرهـاصات ظهـور الإمام الـغـائـب :

نسب لأبي عبدالله، جعفر الصادق القول عما يسبق ظهور القائم الغائب من أحوال، فقال : "لا بد للناس أن يمحصوا ويميزوا ويغربلوا ، ويخرج من الغربال خلق كثير ... كما نسب إلى أبي جعفر، محمد بن علي عليه السلام [الباقر] : "والله لتميزن، والله لتمحصن ، والله لتغربلن كما يغربل الزؤان من القمح [164] ." ونسب كذلك إلى الحسين بن علي عليه السلام : "لا يكون الأمر الذي تنتظرونه حتى يبرأ بعضكم من بعض ، ويتـفل بعضكم في وجوه بعض ، ويشهد بعضكم على بعض بالكفر ، ويلعن بعضكم بعضا . [قالت راوية "الحديث" عميرة بنت نفيل] فقلت له : ما في ذلك الزمان من خير ؟ فقال الحسين عليه السلام : الخير كله في ذلك الزمان ، يقوم قائمنا ويدفع ذلك كله [165] . وتأتي بعد ذلك تسع روايات تحمل نفس المضمون ، وتشغل أربع صفحات [166] .

سيف الغائب، المهدي المنتظر، وحروبه:

المصدر، وتؤكد أنه سيملأ الأرض قسطا وعدلا. وتدخل في الروايات أسماء أنس بن مالك، وأم سلمة رضي الله عنها، وسعيد بن المسيب، رضي الله عنه.

[156] ***المصدر نفسه*** ، ص 188 .

[157] العكبري ، ***الاختصاص*** ، ص 212 .

[158] النعماني ، ***الغيبة*** ، ص 244 .

[159] ***المصدر نفسه*** ، ص 222 – 223 .

[160] ***المصدر نفسه*** ، ص 221-222.

[161] ***المصدر نفسه*** ، 223- 224 .

[162] أقبل، بضمتي التنوين على اللام : الشخص الذي تبدو عيناه كأنهما تنظران كل واحدة إلى الأخرى, أو كأنه يركز نظره ليرى طرف أنفه.

[163] النعماني ، ***الغيبة*** ، ص 316 .

[164] ***المصدر نفسه*** ، ص 212 – 213 .

[165] ***المصدر نفسه*** ، ص 213 .

[166] ***المصدر نفسه*** ، ص 214 – 217 .

وقد سئل الإمام السادس ، جعفر الصادق، كما سئل الإمام الخامس قبله, أعني والده محمد الباقر : عن طريقة الإمام الغائب العائد، المهدي المنتظر، في التعامل مع الناس، فوردت الإجابات في ثلاثة عشر "حديثا" نسب أكثرها للإمامين الخامس والسادس، كما نسب أحدها للحسين بن علي، رضي الله عنهما، وسنقتبس من مجموع الإجابات نصوصا مجتزأة تجنبا للإطالة غير الضرورية، ومن أراد النصوص الكاملة فليطالعها في المصادر المذكورة في الحواشي :

عندما يظهر المهدي المنتظر "يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام من جديد." وعندما سئل الباقر : أيسير المهدي بسيرة محمد صلى الله عليه وسلم قال: "هيهات هيهات ... ما يسير بسيرته ... إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سار في أمته بالمن [كان يمن على بعضهم بالعفو]، كان يتألف الناس، والقائم [المهدي الغائب العائد] يسير بالقتل، بذاك أمر في الكتاب الذي معه أن يسير بالقتل، ولا يستتيب أحدا ؛ ويل لمن ناوأه." وقال جعفر الصادق : "إن عليا عليه السلام قال : كان لي أن أقتل المولي، وأجهز على الجريح، ولكني تركت ذلك للعاقبة من

أصحابي، إن جرحوا لم يقتلوا [167]. والقائم [المهدي] له أن يقتل المولي ويجهز على الجريح [168]... القائم إذا قام سار فيهم [في الناس] بالسيف والسبي، وذلك أنه يعلم أن شيعته لم [169] يظهر عليهم من بعده أبدا [170]." أي أنه لا يخاف الانتقام من شيعته، لأن أحدا لن يهزمهم أو يتحكم فيهم بعده. ومما نسب إلى الإمام الخامس : "لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه ، مما يقتل من الناس. أما إنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف، حتى يقول كثير من الناس : ليس هذا من آل محمد، لو كان من آل محمد لرحم [171] ... إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين قريش إلا السيف ... لو قد خرج قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لنصره الله بالملائكة المسومين والمردفين والمنزلين ...، يكون جبرائيل أمامه ، وميكائيل عن يمينه ، وإسرافيل عن يساره ، والرعب يسير مسيرة شهر أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله ، والملائكة المقربون حذاه. أول من يتبعه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي عليه السلام الثاني ، ومعه سيف مخترط ، يفتح الله له الروم والديلم والسند والهند وكابل شاه والخزر ... فيا طوبى لمن أدركه وكان من أنصاره ، والويل كل الويل لمن خالفه وخالف أمره وكان من أعدائه ... يقوم [المهدي] بأمر جديد ، وسنة جديدة ، وقضاء جديد ، على العرب شديد ، ليس شأنه إلا القتل ، ولا يستتيب أحدا ، ولا تأخذه في الله لومة لائم [172]." ومما نسب إلى الحسين بن علي [الإمام الثالث] رضي الله عنه " ... ما بقاء قريش إذا قدم القائم المهدي [فبدأ بأن أخذ] منهم خمسمائة رجل فضرب أعناقهم صبرا، ثم قدم خمسمائة فضرب أعناقهم صبرا ، ثم خمسمائة فيضرب أعناقهم صبرا ؟ قال [بشر، الذي روى الحديث] ، فقلت له: أصلحك الله، أيبلغون ذلك ؟ [يعني أن مجموع رجال قريش لا يصل إلى ألف وخمسمائة] فقال الحسين بن علي عليه السلام : إن مولى القوم منهم [173]..." أي أنهم يبلغون هذا العدد إذا أضفنا إليهم عبيدهم ومواليهم، لأن مولى القوم يعتبر واحدا منهم . وكان مما نسب إلى أبي عبدالله [الإمام السادس] : "ما بقي بيننا وبين العرب إلا

---

[167] أي أنه خشـــي أن يتعرض أصحابه للإنتقام ، فأراد أن يجنبهم تلك العاقبة.

[168] ***المصدر نفسه*** ، ص 237.

[169] الأصح استعمال أداة النفي المستقبلية هنا : (لــن)، واستعمال لم خطأ مطبعي على ما يبدو .

[170] ***المصدر نفسه*** ، ص 237 – 238 .

[171] ***المصدر نفسه*** ، ص 238 .

[172] النعمـاني ، ***الـغـيـبـة*** ، ص 239 - 240 .

[173] ***المصدر نفسه*** ، ص 240 - 241 .

الذبح، وأومأ بيده إلى حلقه [174]." ومما نسب إلى الإمام الخامس : "إذا قام قائم أهل البيت قسم بالسوية، وعدل في الرعية، فمن أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصا الله ، وإنما سمي المهدي مهديا لأنه يهدي إلى أمر خفي ، ويستخرج التوراة وســائر كتب الله عز وجل من غار بأنطاكية ، ويحكم بين أهل الـتـوراة بالتـوراة ، وبين أهل الإنجـيـل بالإنجـيـل، وبين أهل الزبور بالزبور ، وبين أهل القرآن بالقرآن [175]..."

الـقـائـم يفتح القسطنطينية :

وعن فتح القسطنطينية نقرأ في غيبة النعماني، المتوفى سنة 360هـ : حدثنا أبو سليمان أحمد بن هوذة، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق النهاوندي ، قال: حدثني عبدالله بن حماد الأنصاري، عن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه[176] عليهما السلام، قال:

"إذا قام القائم [أي المهدي] بعث في أقاليم الأرض ، في كل إقليم رجلا يقول : عهدك في كفك ، فإذا ورد عليك أمر لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفك واعمل بما فيها. قال : ويبعث جندا إلى القسطنطينية ، فإذا بلغوا الخليج كتبوا على أقدامهم شيئا ومشوا على الماء ، فإذا نظر إليه الروم يمشون على الماء قالوا : هؤلاء أصحابه يمشون على الماء ، فكيف هو ؟ فعند ذلك يفتحون لهم أبواب المدينة، فيدخلونها فيحكمون فيها ما يريدون [177]." من الواضح أن هذه الرواية وضعت وألفت قبل فتح القسطنطينية على يد السلطان العثماني محمد الفاتح سنة 1453م.

مدة حكم القائم، الإمام الغائب العائـد :

في "حديث" منسوب إلى أبي عبدالله [الإمام السادس] : "يملك القائم تسع عشرة سنة وأشـهرا." وتتكرر الرواية ثلاث مرات منسوبة إلى أبي عبدالله جعفر الصادق ، ومرة رابعة منسوبة إلى والده، الإمام الخامس، أبي جعفر، محمد بن علي بن الحسين، رضي الله عنهم [178]. والنص المنسوب لأبي جعفر هو الأخير ، وفيه تقدم الرواية لنا أبا جعفر يقسم في مطلعها : "والله ليملكن رجل منا أهل البيت ثلاثمائة سنة وثلاث عشرة سنة ، ويزداد تسعا." ثم سئل : وكم يقوم القائم حتى يموت ؟ فقال : "تسع عشرة سنة من يوم قيامه إلى يوم موته [179]." ويبدو أن محقق كتاب الغيبة، السيد (فارس حسون كريم) أدرك أن هناك اضطرابا في النص بشأن "مدة ملك القائم"، وما إذا كانت تسع عشرة سنة ... أو ثلاثمائة سنة ... فأضاف حاشية على النص الأخير (تسع عشرة سنة ...)، لكي يفسر اضطراب المعنى، فقال في حاشية (3) لصفحة 354 : "يظهر من هذا الحديث أن الحسين عليه السلام يرجع بعد موت المهدي عليه السلام بفترة ، ويحكم عدة سنين أهل الكهف، ثم يظهر بعده أمير المؤمنين " ، أي علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ومن الواضح أن هذه الحاشية ليست من المصدر، وإنما هي أخبار مستقبلية أضافها المحقق، الذي يفترض فيه أنه رجل ذو علم واسع بالموضوع، ومن المرجح أن يكون رجل دين

---

[174] ***المصدر نفسه*** ، ص 241 .
[175] ***المصدر نفسه*** ، ص 243 .
[176] من الواضح أن في هذه التسمية شئ من عدم الوضوح ، ويبدو أن المقصود هو أن محمد بن جعفر الصادق رواها عن أبيــه جعفــر.
[177] النعماني ، ***الغيبة*** ، ص 334 - 335 .
[178] النعماني ، ***الـغـيـبـة*** ، ص 353 - 355 .
[179] ***المصدر نفسه*** ، ص 353 - 355 .

شيعيا معروفا بالعلم بما كتب عن الأئمة. وبهذه الحاشية نجد أنه يضيف معلومـــة جديدة لم أصادفها عند غيره من المصادر، وهي أن علي بن أبي طالب، وولده الحسين، رضي الله عنهما، يعودان إلى الحياة بعد عودة الأمام الغائب ثم وفاته، فيحكم الحسين عدة سنين أهل الكهف [180]، ثم يليه والده. ويبدو أن بعض علماء الشيعة - قلوا أو كثروا - وكثير من أتباعهم يؤمنون بما جاء في حاشية السيد فارس حسون كريم.

ولقد ذهبت الروايات الشيعية الإثنا عشرية في حرصها على إعلاء شأن المهدي، لدرجة أنها أخبرتنا أن أم الغائب هي حفيدة قيصر، إمبراطور الدولة الرومانية. وقد أورد شيخ الطائفة، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي - لتأكيد هذا النسب - قصة حب طريفة، وهي قصة قصيرة من بضع صفحات، رأيت أن عرضها بنصها لا يخلو من فائدة، ولو لمجرد الترويح عن القارئ بعد هذه المسيرة الطويلة مع النصوص التي قد تبدو جافة. والطوسي، الذي أورد القصة، هو في المرتبة الثالثة بين محدثي الإمامية، لا يتقدم عليه إلا الكليني، وابن بابوية القمي، وقد كان زعيم الطائفة الإمامية في عصره، أي شيخ الطائفة، وقد توفي سنة 413هـ .

لقد بدأت القصة – حسب ما تقول لنا الرواية – مع الأمام العاشر، أبو الحسن علي بن محمد العسكري عليهما السلام وقد مر معنا ذكره في مقابلة له مع المتوكل العباسي [181]. فقد استدعى أبو الحسن شخصا كان يعمل بتجارة الرقيق اسمه بشر بن سليمان النخاس، وقد وصف بأنه من أبناء الأنصار، وقال له: "يا بشر، إنك من ولد الأنصار، وهذه الموالاة لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف، وأنتم ثقاتنا أهل البيت، وإني مزكيك ومشرفك بفضيلة تسبق بها الشيعة في الموالاة بسر أطلعك عليه، وأنفذك في ابتياع أمة. فكتب [الإمام العاشر أبو الحسن] كتابا لطيفا بخط رومي ولغة رومي، وطبع عليه خاتمة، وأخرج شقيقة صفراء فيها مائتان وعشرون دينارا، فقال : خذها وتوجه إلى بغداد، واحضر معبر الفرات ضحوة يوم كذا، فإذا وصلت إلى جانبك زوارق السبايا وترى الجواري فيها ستجد طوائف من المبتاعين من وكلاء قواد بني العباس وشرذمة من فتيان العرب، فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمى عمر بن يزيد النخاس عامة نهارك إلى أن تبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا لابسة حريرين صفيقين تمتنع من العرض، ولمس المعترض والانقياد لمن يحاول لمسها. وتسمع صرخة رومية من وراء ستر رقيق، فاعلم أنها تقول : واهتك ســتراه. فيقول بعض المبتاعين : علي ثلاثماية دينار، فقد زادني العفاف فيها رغبة؛ فتقول له بالعربية : لو برزت في زي سليمان بن داود، وعلى شبه ملكه ما بدت لي فيك رغبة، فاشفق على مالك. فيقول النخاس، فما الحيلة، ولا بد من بيعك ؟ فتقول الجارية: وما العجلة ولا بد من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه وإلى وفائه وأمانته .

فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخاس وقل له : إن معك كتابا ملصقا لبعض الأشراف كتبه بلغة رومية وخط رومي ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاءه، فناولها لتتأمل منه أخلاق صاحبه، فإن مالت إليه ورضيته فأنا وكيله في ابتياعها منك. قال بشر بن سليمان، فامتثلت جميع ما حده لي مولاي أبو الحسن عليه السلام في أمر الجارية. فلما نظرت في الكتاب بكت بكاء شديدا وقالت لعمر بن يزيد : بعني من صاحب هذا الكتاب، وحلفت ... إنه متى امتنع عن بيعها منه قتلت نفسها. فما زلت أشاحه في ثمنها حتى استقر الأمر فيه على مقدار ما كان أصحبنيه مولاي عليه السلام من الدنانير، فاستوفاه مني وتسلمت الجارية ضاحكة مستبشرة، وانصرفت بها إلى الحجيرة التي كنت آوي إليها ببغداد؛ فما

---

[180] وغير خاف أن عدة سنين أهل الكهف التي ورد دكرها في ***القرآن الكريم*** (سورة الكهف، آية 25) هي 309 وليس 300+13+9 .

[181] أنظر ما سبق ، ص 51 .

أخذها القرار حتى أخرجت كتاب مولانا عليه السلام من جيبها وهي تلثمه وتطبقه على جفنها وتضعه على خدها وتمسحه على بدنها. فقلت لها تعجبا منها : تلثمين كتابا لا تعرفين صاحبه ؟ فقالت: أيها العاجز الضعيف المعرفة بمحل أولاد الأنبياء ! أعرني سمعك وفرغ لي قلبك، أنا ملكية بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وأمي من ولد الحواريين تنسب إلى وصي المسيح شمعون، أنبئك بالعجب.

إن جدي قيصر أراد أن يزوجني من ابن أخيه وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة، فجمع في قصره من نسل الحواريين من القسيسين والرهبان ثلاثمائة رجل، ومن ذوي الأخطار منهم سبعمائة رجل ، وجمع من أمراء الأجناد وقواد العسكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف، وأبرز من بهي ملكه عرشا مصنوعا من أصناف الجوهر (إلى صحن القصر) ورفعه فوق أربعين مرقاة؛ فلما صعد ابن أخيه وأحدقت الصلب وقامت الأساقفة عكفا ، ونشرت أسفار الإنجيل ، تسافلت الصلب من الأعلى فلصقت بالأرض وتقوضت أعمدة العرش فانهارت إلى القرار، وخر الصاعد من العرش مغشيا عليه، فتغيرت ألوان الأساقفة وارتعدت فرائصهم، فقال كبيرهم لجدي :

أيها الملك، إعفنا من ملاقاة هذه النحوس الدالة على زوال دولة هذا الدين المسيحي والمذهب الملكاني. فتطير جدي من ذلك تطيرا شديدا، وقال للأساقفة:

أقيموا هذه الأعمدة وارفعوا الصلبان ، وأحضروا أخا هذا المدبر العاثر المنكوس جده لأزوجه هذه الصبية ، فيدفع نحوسه عنكم بسعوده. فلما فعلوا ذلك حدث على الثاني مثل ما حدث على الأول، وتفرق الناس. وقام جدي قيصر مغتما، فدخل منزل النساء وأرخيت الستور. وأريت في تلك الليلة كأن المسيح وشمعون وعدة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدي ونصبوا فيه منبرا من نور يباري السماء علوا وارتفاعا، في الموضع الذي كان نصب جدي فيه عرشه، ودخل عليهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وختنه ووصيه عليه السلام، وعدة من أبنائه عليهم السلام.

فتقدم المسيح إليه فاعتنقه، فيقول له محمد صلى الله عليه وآله وسلم : يا روح الله، إني جئتك خاطبا من وصيك شمعون فتاته مليكة لابني هذا – وأومأ بيده إلى أبي محمد عليه السلام ابن صاحب هذا الكتاب. فنظر المسيح إلى شمعون وقال له : قد أتاك الشرف ، فصل رحمك رحم آل محمد عليهم السلام. قال : قد فعلت ، فصعد ذلك المنبر فخطب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وزوجني من ابنه ، وشهد المسيح عليه السلام، وشهد أبناء محمد عليهم السلام والحواريون.

فلما استيقظت أشفقت أن أقص هذه الرؤيا على أبي وجدي مخافة القتل، فكنت أسرها ولا أبديها لهم، وضرب صدري بمحبة أبي محمد عليه السلام حتى امتنعت من الطعام والشراب، فضعفت نفسي ودق شخصي ، ومرضت مرضا شديدا، فما بقي في مدائن الروم طبيب إلا أحضره جدي وسأله عن دوائي. فلما برح به اليأس قال:

يا قرة عيني ، وهل يخطر ببالك شهوة فأزودكها في هذه الدنيا ؟ فقلت : يا جدي ، أرى أبواب الفرج علي مغلقة، فلو كشفت العذاب عمن في سجنك من أسارى المسلمين ، وفككت عنهم الأغلال ، وتصدقت عليهم ومنيتهم الخلاص رجوت أن يهب لي المسيح وأمه عافيــة .

فلما فعل ذلك تجلدت في إظهار الصحة من بدني قليلا، وتناولت يسيرا من الطعام، فسر بذلك وأقبل على إكرام الأسارى وإعزازهم. فأريت أيضا بعد أربع عشرة ليلة كأن سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام قد زارتني ومعها مريم ابنة عمران، وألف من وصائف الجنان، فتقول لي مريم :

هذه سيدة نساء العالمين أم زوجك أبي محمد عليه السلام، فأتعلق بها وأبكي، وأشكو إليها امتناع أبي محمد عليه السلام من زيارتي. فقالت سيدة النساء عليها السلام : إن ابني أبا محمد لا يزورك وأنت مشركة بالله على مذهب النصارى ، وهذه اختي مريم بنت عمران تبرأ إلى الله تعالى من دينك ، فإن ملت إلى رضى الله ورضى المسيح ومريم عليهما السلام وزيارة أبي محمد إياك فقولي : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فلما تكلمت بهذه الكلمة ضمتني إلى صدرها سيدة نساء العالمين عليها السلام، وطيبت نفسي وقالت: الآن توقعي زيارة أبي محمد ، فإني منفذته إليك ؛ فانتبهت وصرت أتوقع لقاء أبي محمد عليه السلام.

فلما كان في الليلة القابلة رأيت أبا محمد عليه السلام وكأني أقول له : جفوتني يا حبيبي بعد أن أتلفت نفسي معالجة حبك ! فقال : ما كان تأخري عنك إلا لشركك، فقد أسلمت وأنا زائرك في كل ليلة إلى أن يجمع الله تعالى شملنا في العيان. فما قطع عني زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية. قال بشــر : فقلت لها : وكيف وقعت في الأسارى ؟ فقالت: أخبرني أبو محمد عليه السلام ليلة من الليالي : إن جدك سيسير جيشا لقتال المسلمين يوم كذا وكذا ثم يتبعهم ، فعليك باللحاق بهم متنكرة في زي الخدم، مع عدة من الوصائف من طريق كذا. ففعلت ذلك، فوقعت علينا طلائع المسلمين[182] حتى كان من أمري ما رأيت وشاهدت ، وما شعر بأني ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية أحد سواك، وذلك بإطلاعي إياك عليه. ولقد سألني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن إسمي فأنكرته وقلت نرجس ، فقال : اسم الجواري. قلت: العجب أنك رومية ولسانك عربي ؟ قالت : من ولوع جدي وحمله إياي على تعلم الآداب أن أوعز إلى امرأة ترجمانة لي في الاختلاف إلي، وكانت تقصدني صباحا ومساء وتفيدني العربية حتى استمر لساني عليها واستقام.

قال بشر : فلما انكفأت بها إلى سر من رأى دخلت على مولاي أبي الحسن عليه السلام فقال: كيف أراك الله عز الإسلام وذل النصرانية وشرف محمد وأهل بيته عليهم السلام ؟ قالت: كيف أصف لك يابن رسول الله ما أنت أعلم به مني ؟ قال : فإني أحببت أن أكرمك، فما أحب إليك ، عشرة آلاف دينار أم بشرى لك بشرف الأبد ؟ قالت: بشرى بولد لي، قال لها : أبشري بولد يملك الدنيا شرقا وغربا، ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا. قالت : ممن ؟ قال : ممن خطبك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له ليلة كذا في شهر كذا في سنة كذا بالرومية. قالت : من المسيح ووصيه ؟ قال لها ممن زوجك المسيح عليه السلام ووصيه ؟ قالت : من ابنك أبي محمد عليه السلام ؟ فقال: هل تعرفينه ؟ قالت : وهل خلت ليلة لم يزرني فيها منذ الليلة التي أسلمت على يد سيدة النساء صلوات الله عليها [183]..." [انتهت قصة زواج الحسن العسكري من حفيدة قيصر]

وهذا الجزء من إيمان الشيعة وعقيدتهم بالإمام الغائب ليس وقفا على المحدثين والمؤلفين القدماء منهم ، بل إنه ما زال ركنا أساسيا، بل الركن الأساسي الذي يستند إليه إيمان الشيعة الإثني عشرية وآمالهم. وقصة زواج الحسن العسكري، والد الإمام الغائب ، بإبنة قيصر ملك الروم كانت من الأحداث الفكرية التي ظهر التركيز عليها مع قيام "الثورة الإسلامية في إيران" ففي هذا السياق نجد ترديدا لمقولة أن الإمام العسكري "تزوج من جارية شريفة تنحدر من أسرة قيصر ملك الروم، وتنتمي

---

[182] أي فأسرتهن تلك الطلائع من جيش المسلمين، ثم حملن إلى بغداد لبيعهن في سوق الرقيق على أيدي النخاسين.

[183] شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ،***كتاب الغيبة*** ، ص 208 - 215 ؛ غير أننا نجد في مصدر آخر أن أم الإمام الغائب أمة سوداء ، وهذا يناقض القول بأنها حفيدة قيصر الروم. أنظر النعماني ، الغيبة ، ص 233 .

إلى وصي المسيح شمعون... وشاء الله أن تكون هذه الجارية (التي أطنبت الروايات في وصف عفتها ومعرفتها وإيمانها) أما لخاتم أوصيائه، ومنقذ عباده، ومظهر دينه، الإمام الحجة الثاني عشـــر [184]."

علم الأئـمـة : مصدره، حيازته وخزنه، واستمرار زيادته :

عن أبي جعفر عليه السلام [الإمام الخامس] قال: "لما أن قضى محمد نبوته واستكمل أيامه أوحى الله تعالى إليه أن يا محمد، قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والإسم الأكبر، وميراث العلم، وآثار علم النبوة في أهل بيتك عند علي بن أبي طالب ؛ فإني لن أقطع العلم والإيمان والإسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك، كما لم أقطعها من ذريات الأنبياء [185] ."

و "حديث" أخر منسوب لأبي عبدالله [الإمام السادس] : "... فلما أن بعث الله عز وجل المسيح قال المسيح لهم [لحوارييه ؟] إنه سوف يأتي من بعدي نبي اسمه أحمد من ولد إسماعيل عليه السلام، يجئ بتصديقي وتصديقكم، وعذري وعذركم. وجرت بعده في الحواريين في المستحفظين [كذا في الأصل] ، وإنما سماهم الله تعالى المستحفظين لأنهم استحفظوا الإسم الأكبر، وهو الكتاب الذي يعلم به علم كل شئ، الذي كان مع الأنبياء عليهم السلام. يقول الله تعالى : ((ولقد أرسلنا رسلا من قبلك، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان)): الكتاب الإسم الأكبر، وإنما عرف مما يدعى الكتاب التوراة والإنجيل والفرقان، فيها كتاب نوح، وفيها كتاب صالح وشعيب وإبراهيم عليهم السلام، فأخبر الله عز وجل : ((إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى.)). فأين صحف إبراهيم ؟ إنما صحف إبراهيم الإسم الأكبر، وصحف موسى الإسم الأكبر؛ فلم تزل الوصية في عالم بعد عالم حتى دفعوها إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فلما بعث الله محمدا أسلم له العقب من المستحفظين، وكذبه بنو إسرائيل [186]..."

ونقل عن أبي عبدالله [الإمام السادس] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علـم "عليا ألف باب يفتح من كل باب ألف باب ... وإن عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة ... [الجامعة] صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإملائه من فلق فمه، وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شئ يحتاج الناس إليه ... وإن عندنا الجفر ، وما يدريهم ما الجفر ! [إنه] وعاء من أدم، فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل ... وإن عندنا لمصحف فاطمة، وما

---

[184] حسن موسى الصفار ، ***الإمـام المـهـدي أمـل الشـــعـوب*** (بيـروت : مؤسســة الأعلـمـي للمطبوعات، الطبعة الثانية ، ، 1401هـ/1981م)، ص42-46 . وكتاب ***الإمام المهدي ...*** هذا أصل نصه محاضرة ألقاها السيد حسن موسى الصفار في مدينة سيهات بمناسبة ميلاد الإمام المهدي بتاريخ 1398/8/15هـ ، الجزيرة العربية القطيف غداة قيام الثورة في إيران. وقد نشرت طبعته الأولـى في بيروت سنة 1399هـ /1979م. ومؤسسة الأعلمي في بيروت، هي مؤسسة للنشر في طهران، ويبدو أنها افتتحت لها فرعا في بيروت غداة قيام الثورة في تــهــران ، (طهران) . وقد وصلت نسخة الكتاب إلـي بتاريخ 1993/8/1 ضمن طرد بريدي مرسل من طهران من جهة لا أعرفها من قبل، ولم أعرفها من بـعـد ، على سبيل الدعاية المـذهبية بينما كنت أعمل في أبوظبي.

[185] ***المصدر نفسه*** ، ص 169.

[186] ***المصدر نفسه***، والصفحة ذاتها.

يدريهم ما مصحف فاطمـة عليها السلام ! ... مصحف فاطمة فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات؛ والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ... إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة [187]..."

وفي رواية منسوبة إلى أبي عبدالله [جعفر الصادق، الإمام السادس] : قال علي بن أبي طالب عليه السلام : " إن ليلة القدر في كل سنة، وإنه ينزل في تلك الليلة أمـر السنة، وإن لذلك الأمر ولاة بعد رسـول اللــه صلى الله عليه وآله ... أنا وأحد عشــر من صلبي، أئمة محدثون [188]..." وعن أبي جعفر [الإمام الخامس] محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين : " قال الله عز وجل في ليلة القدر : ((فيها يفرق كل أمر حكيم)) ... إنه لينزل في ليلة القدر إلى ولي الأمر[189] تفسير الأمور سنة بسنة، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا، وفي أمر الناس بكذا وكذا، وإنه ليحدث لولي الأمر سوى ذلك كل يوم علم الله عز وجل الخاص والمكنون، العجيب المخزون ، مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر. ثم قرأ [أبو جعفر] : ((ولوا أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله، إن الله عـزيز حكيم)) [190] .

"باب في أن الأئمة عليهم السلام يزدادون علما في ليلة الجمعة" :

تحت هذا العنوان نسب إلى أبي عبدالله عليه السلام [الإمام السادس] أنه قال : "إن لنا في ليالي الجمعة لشأنا من الشأن ... يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى عليهم السلام، وأرواح الأوصياء، وروح الوصي الذي بين ظهرانيكم، يعرج بها إلى السماء حتى توافي عرش ربها، فتطوف أسبوعا وتصلي عند كل قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثم ترد إلى الأبدان التي كانت فيها، فتصبح الأنبياء والأوصياء قد ملئوا سرورا، ويصبح الوصي الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جم الغفير [كذا] . . . وفي "حديث" آخر منسوب إلى الإمام السادس نقرأ : "إن لنا في كل ليلة جمعة سرورا ... إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العرش، ووافى الأئمة عليهم السلام معه ووافينا معهم، فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا إلا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لأنفدنا ." وتتلوا ذلك رواية أخرى عن الأمام السادس لتأكيد مضمون الرواية السابقة ، "... ما من ليلة جمعة إلا ولأولياء الله فيها سرور ... إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العرش ووافي

---

[187] ***المصدر نفسسه*** ، ص 136 – 137 .
[188] ***المصدر نفسه*** ، ص 141 .
[189] أي إلى الإمام القائم في تلك السنة من الأئمة الإثني عشرة دون غيرهم.
[190] ***المصدر نفسه*** ، والصفحة ذاتها ، والآية من سـورة لقمان، رقم 27 .

الأئمة عليهم السلام ووافيت معهم ، فما أرجع إلا بعلم مستفاد. ولولا ذلك لنفد ما عندي.[191] " ويتلو ذلك خمسة "أحاديث" أخرى في نفس الصفحة، وبنفس المضمون .

وحتى نوقف استمرار استطالة تتابع النصوص المقتبسة أود هنا أن أكتفي بإثبات عناوين بضعة أبواب يرد تحت كل منها عدد من نصوص "الأحاديث" ، وذلك ليتمكن القارئ الذي يرغب في الاطلاع على المزيد، ويجد لديه الوقت لذلك أن يحقق رغبته:

- باب أن الأئمة عليهم السلام إذا شاءوا أن يعلموا علموا :

ويأتي تحت هذا العنوان ثلاثة "أحاديث" منسوبة كلها إلى جعفر الصادق.

- باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم: تحت هذا العنوان توجد ثمانية أحاديث منسوبة إلى عدد من الأئمة.

- باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون ما كان ويكون ، وأنه لا يخفى عليهم الشئ صلوات الله عليهم: تحت هذا العنوان توجد ستة "أحاديث"، أربعة منها منسوبة إلى جعفر الصادق، واثنان منسوبان لوالده ، الإمام الخامس.

- باب جـهـات علوم الأئمة عليهم السلام [تصنيف علوم الأئمة]: تحت هذا العنوان نجد ثلاثة "أحاديث" منسوبة إلى الإمامين السادس والسابع، وخلاصة ما تفيده أنه بالإضافة إلى ما ورثة الأئمة من علم عن رسول الله وعن علي بن أبي طالب فإن هناك صنفا ثالثا، وهو "***ما يقذف في قلوبهم، وما ينقر في أسماعهم***." [192]

- باب أن الأئمة عليهم السلام لو ســـتر عليهم لأخبروا كل امرئ بما له وعليه [193].

تحت هذا العنوان يرد حديثان، أحدهما منسوب إلى الإمام الخامس والآخر للسادس.

في هذه الأحاديث التي نقلناها وجمعناها مبسوطة أو مختصرة نجد أن علم الأئمة – حسب اعتقاد إخواننا الشيعة الإثني عشرية - يأتي من المصادر التالية :

1) علم الأنبياء السابقين وأوصيائهم، والعلم الذي تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نقله إلى علي بن أبي طالب، ونقله علي إلى الأئمة الأحد عشر من بعده،

---

[191] ***المصدر نفسه*** ، ص 144- 145 .

[192] وهـذه الأبواب الأربعة وردت كلها في : ***الكليني، أصول الكافي***، الصفحات 147 – 151 .

[193] أي أنهم يعلمون أحوال الأفراد جميعا، ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم.

2) أن الأئمة يتلقون علما جديدا يتزودون به في ليلة القدر كل سنة،

3) أن الأئمة يتلقون علما جديدا ويتزودون به كل ليلة من ليالي الجمعة،

4) أنهم يتلقون مزيدا من العلم عن طريق ما ينقر في أسماعهم وما يقذف في قلوبهم،

5) أنهم خزنة علم الله وحافظوه ، وهم الذين ينشرونه بين الناس،

6) يضاف إلى كل هذا ما نسب إلى جعفر الصادق – حسب المصادر الشيعية – من وجود الجفر الأبيض، والجفر الأحمر ، وكتاب فاطمة (أو مصحفها)، والكتاب الأكبر الذي يعلم به علم كل شئ ؛ وكلها فيها علم ما سيكون إلى يوم القيامة؛ وقد مرت معنا "أحاديث" مفصلة عن كل ذلك فيما سبق.

نظرية الإمامة عند الشيعة الإثني عشرية :

إن مكونات النظرية في الإطار الزماني والمكاني والاجتماعي والفكري والعقيدي تبدو واضحة كل الوضوح في كتاباتهم , وفي المادة التي أوردناها فيما مررنا به من فصول هذا الكتاب. وفي ضوء ذلك يمكننا أن نتصور النظرية الإثني عشرية في هيكلها العام على النحو التالي :

1) الله سبحانه وتعالى خلق أرواح محمد صلى الله عليه وسلم وأرواح الأئمة من نور جلاله قبل خلق السماوات والأرض، وقبل خلق آدم بآماد طويلة، ثم خلق أبدانهم من طينة مخصوصة أسكن فيها أرواحهم،

2) أراد الله سبحانه الأئمة أن يكونوا حجته على خلقه، وأن يكونوا هم الذين يعرفون الناس بالله، وهم الطريق الوحيد لهذه المعرفة، ومن دونهم يبقى الناس في ضلال،

3) وقد اختار الله بنفسه الأئمة وحددهم باثني عشر إماما ، ولم يترك ذلك للبشر، لأنهم لا يستطيعون الاختيار بعقولهم ؛ وقد أوردنا أسماءهم في قائمــة ضمن الفصل الثالث [194] ،

4) والأئمة حازوا علم الأولين والآخرين، فعلوم النبيين كلهم إنتهت إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ورثها محمد إلى علي رضي الله عنه، ومنه انتقلت إلى الأئمة من أبنائه وأحفاده. وبعد وفاة الرسول وانقطاع الوحي صار الإئمة يتزودون بعلم إضافي من الله في ليلة القدر كل سنة، وفي ليالي الجمعة كل أسبوع. وفضلا عن ذلك فإن العلم ينقر في أسماعهم . وفوق هذه كله فإنهم إذا أرادوا أن يعلموا شيئا علموه ، كما أنهم يعرفون كل اللغات، كما يعرفون لغات الطير والحيوانات ، ويعلمون متى يموتون، ويعلمون علم الماضي والمستقبل، وقد مرت معنا "احاديث" فيها تفاصيل كل ذلك ، وقد أشرنا إلى بعض هذه المعلومات من قبل،

5) والأئمة معصومون من الخطا ، معصومون من السهو، ومن النسيان،

---

[194] أنظر ص 38 و 44- 45 من الفصل الثالث من كتابنا هذا .

6) والمسلمون ملزمون بطاعة الأئمة، وتلقي العلم منهم، وعدم الرد عليهم، لأن الرد عليهم كفر يودي بفاعله إلى جهنم وبئس المصير،

7) وسلطة الإمام مطلقة باختيار الله سبحانه وتعالى له، ولما أعطيه ويعطاه من علم

8) ونظرا لوجود الأعداء (الأمويون والعباسيون خاصة، وكل عدو بعدهم) ، فقد أباح الله للأئمة التقية، وجعلها عقيدة لهم ولشيعتهم . ولا تنتهي هذه التقية إلا بظهور "القائم" ، المهدي، الإمام الثاني عشر، الذي يقوم بالسيف، ويستخدم أعنف إجراءات وأدوات القوة، وليس عنده إلا القتل ولا يعفو عن أحد، وينتقم من قريش في مكة، ويقتلهم جميعا (ألفا وخمسمئة، بما فيهم عبيدهم) ، كما أنه يفتح القسطنطينية، ويملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا ،

9) **نائب الإمام** : وقد أضاف مجتهدو الشيعة في عصرنا الحديث شخصية ومنصب نائب الأمام، وقالوا إن له كل مواصفات وصفات الإمام : السلطة المطلقة، والعصمة، وعدم جواز الرد عليه، والراد عليه راد على الله سبحانه وتعالى [195] ، وقد عرف بمسمى آخر، وهو "ولاية الفقيه."

الفصل الرابع

توظيف القرآن والنصوص القرآنية

[195] أنظر ما كتبه المجدد المجتهد الشيخ محمد رضا المظفر ، ***عقائد الإمامية*** (تهران (طهران) : د. ت.)، ص 34- 35 ، والشيخ المظفر عراقي، أستاذ في جامعة النجف الإسلامية الشيعية، وينسب إليه تطوير مناهجها، وغير ذلك من الإنجازات مما أهله للقب "المجدد".

مقدمـــــــــــة:

القرآن الكريم أصل الإسلام، وقلعته الكبرى، وهو المصدر الأول والآخر، وهو الحكم على كل ما عداه من المصادر التي يتوسل بها لاستبيان وبيان حقائق الإسلام . والقرآن هو النص القرآني بحرفيته، ليس التفسير ولا التأويل أو التعليق؛ ذلك أن التفسير والتأويل والتعليق صنع بشري. والقرآن بحرفيته ومفرداته يفهم على نسق لهجة قريش كما كانت حين نزل، وفي فترة نزوله ، وهو المصدر الذي نفهم منه لهجة قريش أو لغتها. ويحتاج الدارس – بجانب لغة القرآن نفسه - أن يستعين بتفاسير القرآن القديمة، مثل تفسير الطبري وما ظهر قبله من تفاسير، بالنسبة للغة، ولغة قريش خاصة. وقد أخبرنا الله جل في علاه، بأنه أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، وغير ذي عوج. ومن غير المقبول أو المجدي أن تستخدم معاجم اللغة العربية لفهم القرآن ، لأن المعاجم – قديمها وحديثها – لا تختص بلغة قريش أو لهجتها، كما أن هذه المعاجم تتطور مع تطور المجتمعات العربية ، وتطور حياتها الاجتماعية والمادية والثقافية ، حيث تتغير معاني المفردات فتضاف لها معان جديدة، أو ظلال من المعاني جديدة.

ولقد أعلن القرآن وأرسى بآياته ونصوصه مبادئ عامة ليهتدي بها المسلمون والبشر جميعا. وهذه المبادئ العامة تتلمس وتحدد من خلال تأمل ودراسة السور والآيات، واستحضار النصوص ذات العلاقة من الذاكرة، أنى وردت في السياقات القرآنية الأخرى، كلما وقف الإنسان أمام جملة صعبة الفهم. ومن خلال هذا المنهج يمكن أن تفسر بعض الآيات الأخرى التي تحتاج أداة إضافية للفهم والتفسير على نحو يبعث على الاطمئنان. ومن المعروف والمقبول بشكل عام أن القرآن يفسر بعضه بعضا، سواء بالجمل والمفردات، أو بالمبادئ العامة. وغني عن القول أن المبادئ العامة أشمل من المفردات وأهــم.

أهمية الحديث النبوي في التفسير:

ولا مراء في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي تلقى التنزيل من لدن حكيم عليم وكلف بإعلانه وتبليغه وتفهيمه هو الأكثر أهلية وقدرة على فهم معناه وتفسيره. ولذا فإن أحاديثه لا بد أن تكون من أهم الأدوات الموصلة إلى الفهم والتفسير الصحيح . غير أن المشكلة هنا تكمن في طريق التوصيل والوصول إلى الحديث النبوي الفعلي – لا المدعى فقط – من خلال الرواة الذين يزداد عددهم وتتابعهم كلما طال الزمن ، مع الصعوبة الشديدة في معرفة شخصياتهم على نحو يرتفع إلى مستوى الأهمية التي تلازم النص القرآني القطعي الدلالة بحيث تصبح قمينة بأن تستخدم وسيلة استدلال لفهم النص القرآني . ومن هنا تأتي الشكوك، ليس فيما تلفظ به النبي فعلا، بل فيما إذا كانت نسبة "القول والحديث" إليه صحيحة، وبدقة تامة . وهكذا صار من الضروري أن يكون النص القرآني حاكما ومهيمنا على الأحاديث من حيث المضمون والمحتوى، ومن حيث الألفاظ كذلك. وهذه الأداة تحمينا من قبول أي شئ مخالف لما يرشد إليه القرآن الكريم، وإن كانت لا تمنع تسرب شئ لا يتعارض مع ما يرشد إليه القرآن من غير أن يصدر عن النبي عليه صلاة الله وسلامه. **إنتهت المقدمة.**

توظيف الآيات والنصوص القرآنيــة :

عندما نقرأ كتب الدعوة الشيعية الإثني عشرية نلاحظ تركيزا شديدا على توظيف القرآن والنصوص والآيات القرآنية أداة لتأكيد وإثبات المقولات ، أو الادعاءات ، التي يتبناها إخواننا الشيعة.

وهذا التوظيف يشمل الأحاديث المنسوبة إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم رافعة شأن علي رضي الله عنه وأحد عشر من ولده وأحفاده، كما يشمل "الأحاديث" المنسوبة إلى الأئمـة الإثني عشر المؤكدة لنفس الهدف [196] . وهذه الفئة الأخيرة من الأحاديث ليست مما يرويه الأئمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل هي "أحاديث" الأئمـة أنفسهم فقط، من غير نسبتها إلى النبي عليه صلوات الله وسلامه؛ بل يمكن القول إن أحاديث الإئمة، أو الأحاديث المنسوبة إليهم، تشكل الجزء الأكبر مما تحويه أهم المجموعات الحديثية الشيعية الإمامية. والإمام الذي ينسب إليه أكبر عدد من الأحاديث من بين الأئمة الإثني عشر هو جعفر الصادق, الإمام السادس في القائمة الإثني عشرية ، المتوفي سنة 148هـ [197] ، ويبدو أن هذه الحقيقة هي التي بررت تسمية المذهب الإثني عشري بالمذهب الجعفري، نسبة إلى جعفر الصادق رضي الله عنه. وفي هذا الفصل من متابعتنا لمكونات وملامح الفكر الشيعي الإثني عشري ، وما يحدد الشخصية الشيعية الإثني عشرية ويميزها عن غيرها، سـوف نركز الضوء على الجهد والطريقة التي يتم بها توظيف الآيات والنصوص القرآنية. وسنرى من خلال الأمثلة التي سنقدمها ، وهناك المئات من أمثالها في المصادر الإثني عشرية ، ما إذا كان إخواننا من المؤلفين الإمامية قد التزموا بالحرص على الدقة والموضوعية في استخدمهم للنصوص القرآنية. ويبقى الباب مفتوحا لمن أراد أن يتتبع مزيدا من الأمثلة من خلال التجوال عبر المصادر الشـيعيـة الإثني عشرية. بيد أنني أود أن أنبه ابتداء إلى أن استعراضي لأمثلة مما يفسر به آي القرآن هنا لا يعني أنني أقبلها أو أتبناها؛ إنه استعراض ملتزم بالحيادية، بأقصى قدر ممكن يستطيعه إنسان. وقد حرصت في كل الحالات على إثبات النص الـقرآني الصحيح للآيـة التي تعرضت للتحريف، ووضعته بين أقـواس مزدوجة ، هكذا :

((---)). ومع ذلك فإن دور هذا المؤلف لن ينحصر في الاستعراض، بل إننا سننتـقل لمرحلة البحث والتحليل واستخلاص النتائج في فصل تال إن شاء الله عز وجل. أما الآن فإلى الأمثلة :

1- عنعنة ... عن سالم بن سلمة قال : قرأ رجل على أبي عبدالله عليه السلام، وأنا استمع، حروفا من القرآن ليس على ما يقرأها الناس، فقال أبو عبدالله : كف عن هذه القراءة . إقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم عليه السلام، فإذا قام القائم قرأ كتاب الله عز وجل على حده، وأخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام. وقال: أخرجه إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم : هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله [الله] على محمد صلى الله عليه وسلم، وقد جمعته من اللوحين. فقالوا : هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن، لا حاجة لنا فيه. فقال : أما واللـه ما ترونه بعد يـومكم هذا أبدا، إنما كان علي أن أخبركم حين جمعته لتقرأوه [198]."

2- عنعنة ... عن الأصبغ بن نباتة قال : "سمعت عليا عليه السلام يقول : كأني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة ، يعلمون الناس القرآن كما أنزل. قلت : يا أمير المؤمنين،

---

[196] الحديث والأحاديث بالمعنى الإصطلاحي عند السنة هي أحاديث ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أما في المصطلح الشيعي الإمامي الإثني عشري ، فالحديث يشمل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحديث المنسوب إليه، كما يشمل الأحاديث الصادرة أصلا عن الأئمة الإثني عشر ، وهي تلك المنسوبة إليهم دون نسبتها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.

[197] وذلك هو السبب في تسـمية المذهب الإمامي الإثني عشـري بالمذهب الـجعفـــري .

[198] الكلينـي ، ***أصول الكـافـي*** ، ص 649 ، وقدد ورد في ج2، كتاب الدعاء، باب النوادر، فقرة رقم 23 .

أوليس هو كما أنزل ؟ فقال : لا ، محي منه سبعون من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم، وما ترك أبو لهب إلا إزراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه عمــه [199] ."

3- سئل الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري: "ما قوله – أدام الله حراسته – في القرآن، أهو ما بين الدفتين، الذي في أيدي الناس، أم هل ضاع مما أنزل الله تعالى على نبيه منه شئ أم لا ؟ وهل هو ما جمعه أمير المؤمنين عليه السلام، أم ما جمعه عثمان بن عفان على ما يذكره المخالفون ؟

الـجـواب :

لا شك أن الذي بين الدفتين جميعه كلام الله تعالى وتنزيله، وليس فيه شئ من كلام البشر ، وهو جمهور المنزل ، والباقي مما أنزله الله تعالى عند المستحفظ للشريعة، المستودع للأحكام، لم يضع منه شئ ، وإن كان ***الذي جمع ما بين الدفتين*** الآن لم يجعله في جملة ما جمع، لأسباب دعته إلى ذلك ، منهـا : قصوره عن معرفة بعضه ، ومنها شكه فيه وعدم تيقنه ، ومنهـا ***تعمـد إخراجــه***. وقد جمع أمير المؤمنين عليه السلام القرآن المنزل من أوله إلى آخره، وألفه بحسب ما وجب تأليفه ، فقدم المكي على المدني، والمنسوخ على الناسخ ، ووضع كل شئ منه في محله. فلذلك قال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام : "أما والله لو قرئ القرآن كما أنزل لأفيتمونا فيه مسمين كما سمي من كان قبلنا. وقال عليه السلام : نزل القرآن أربعة أرباع، ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال ، وربع فرائض وأحكام ، ولنا أهل البيت كرائم القرآن [200]."

ملاحظة : في كل واحد من هذه الأمثلة الثلاثة نجد ادعاء يشكك في القرآن المتداول في أيدي المسلمين، ويشير إلى أن قسما من القرآن الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم غير موجود في المصاحف المتداولة .

4- وفي رواية للكليني ينتهي سندها إلى أبي بصير، عن جعفر الصادق، نسب إلى الصادق أنه قرآ المقطع الأخير من الآية 71 محرفا : " ومن يطع الله ورسوله في ولاية علي [وولاية] الأئمة من بعده فقد فاز فوزا عظيما ،" وأتبع ذلك بقوله: هكذا نزلت [201] . والنص الكامل والصحيح للآيتين رقم 70 و 71 حسبما وردتا في القرآن الكريم هـو :

((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما .)) [سورة الأحزاب/70-71].

---

199 النعماني ، ***الغيبة*** ، ص 333 – 334 .

200 العكبري، محمد بن محمد بن النعمان ، ***مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة*** ، المسائل السروية، ص 78- 80 .

201 الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 246 . والتقويس المربع لكلمة [وولاية] موجود في الأصل وليس من عمل المؤلف عبدالله أبو عزة . والملاحظ أن ألآيات، ومقاطع الآيات التي ترد في نسختي من ***أصول الكافي*** مميزة كلها بتقويس خاص وموحد، يستخدم للنص القرآني فقط ، صحيحا أو محرفا. والتقويس المربع يعني أن ما بداخله ليس من النص الأصلي، وهذا قد يعني أن كلمة [وولاية] أضيفت باختيار شخص مكلف بالعناية بالنص عند إعداد الكتاب للطباعة في هذه الطبعة خاصة، سنة 2005 م. فإذا كان الأمر كذلك فإن عملية التحريف تغدو مركبة ، وبفعل شخصين : أولهما قديم، والراوي ينسبه إلى جعفر الصادق – والصادق برئ من ذلك – وثانيهما الشخص الذي أعد الكتاب لهذه الطبعة. وهذا أمر خطير في التجاوز على حرمة النص القرآني، وليس لدي سبيل للتأكد.

5- عنعنة ... عن أبي جعفر عليه السلام، في شأن قول الله تعالى : ((... ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا.)) [النساء/آية 66] لكن مؤلف هذه الرواية غير نصها وجعله : " ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به في علي لكان خيرا لهم [202]..."

6- وقد نسب إلى علي الرضا عليه السلام، وهو الثامن في قائمة الإئمة، إدخال تحريف على الآية رقم 13 من سورة الشورى، بحيث صار النص المحرف : " كبر مقتا على المشركين (بولاية علي) ما تدعوهم إليه يا محمد من ولاية علي "، هكذا في الكتاب مخطوطة [203] ." وفي الأربع كلمات الأخيرة نجد مؤلف الرواية يدعي أن هذا النص المحرف والمشوه موجود في القرآن : "هكذا في الكتاب مخطوطة." ومن الواضح أنه يقصد كتابا غير القرآن الموجود في أيدي المسلمين.

والنص الصحيح للآية كما في القرآن الكريم هو ((شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه. كبر على المشركين ما تدعوهم إليه. الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب .)) [الشورى/13].

7- وقد أورد الكليني رواية منسوبة إلى أبي عبدالله، جعفر الصادق تتعلق بالآية رقم 12 من سورة غافر، ونصها القرآني الصحيح هو : ((ذلك بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا. فالحكم لله العلي الكبير.)) غير أن رواية الكليني نسبت إلى الصادق تحريف نص الآية بحيث صار النص المحرف كما يلي : " ذلك بأنه إذا دعي الله وحده وأهل الولاية كفرتم. [204] "

8- في رواية منسوبة لجابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه تعرضت الرواية للآيتين: ((فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم. وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون .)) [سورة الزخرف/43-44] وقد حرفت الرواية النص القرآني فصار : فاستمسك بالذي أوحي إليك من أمر علي بن أبي طالب إنك على صراط مستقيم. إن عليا لعلم الساعة لك ولقومك ولسوف تسألون عن محبة علي بن أبي طالب [205]..."

9- عنعنة ... عن أبي عبدالله في قول الله تعالى ((سأل سائل بعذاب واقع. للكافرين ليس له دافع.)) [الآيتان رقم 1 و 2 من سورة المعارج] وقد زعم الرواة أن أبا عبدالله – جعفر الصادق رضي الله عنه – قد جعل النص : "سأل سائل بعذاب واقع. للكافرين بولاية علي ليس له دافع. ثم قال: هكذا والله نزل بها جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم [206]."

في هذه الروايات الست – رقم 4 إلى 9 – مررنا بتحريف وتغيير كلمات في النصوص القرآنية ؛ وبدا وكأن التجاوز حدث مرتين، مرة عند تأليف الكليني لكتابه، وقد عزي التحريف إلى جعفر الصادق

---

202 ***المصدر نفسه*** ، ص 248 .
203 ***المصدر نفسه*** ، ص 249.
204 ***المصدر نفسه*** ، ص 251 .
205 محمد بن الحسن الطوسي ،***كتاب الأمالي*** ، ص 541 – 542 . وتقع الرواية في الجزء 13 من الكتاب .
206 محمد بن يعقوب الكليني ، أصول الكافي ، ص 251 .

رضي الله عنه ، وذلك ما لا نصدقه ، أما التحريف الثاني فقد أضيف أثناء إعدادا الكتاب للطباعة سنة 2005م. ومؤسسة الأعلمي للمطبوعات مؤسسة إيرانية مقرها طهران، والظاهر أنها أنشأت لها فرعا في بيروت بعد قيام الثورة الإيرانية ، فكان مما نشرته : ***أصول الكافي***، و ***فروع الكافي***، و ***من لا يحضره الفقيه***، وغيرها.

10- عنعنة ... عن أبي بصير: سألت أبا عبدالله عليه السلام [الإمام السادس] عن قول الله عز وجل ((أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)) فقال : نزلت في علي بن أبي طالب، والحسن والحسين [207]."

ونص الآية كاملا : ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا)) [208].

11- وبهدف تأكيد التفسير الذي يحصر الإمامة في علي بن أبي طالب وولده الحسن، ثم الحسين ثم في تسعة من نسل الحسين خاصة دون غيره ، نسب الرواة إلى جعفر الصادق تفسيرا لقول الله جل وعلا : ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)) ، فكان علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام فأدخلهم رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الكساء في بيت أم سلمة، ثم قال: اللهم إن لكل نبي أهلا وثقلا وهؤلاء أهل بيتي وثقلي. فقالت أم سلمة: ألست من أهلك ؟ فقال : إنك إلى خير، ولكن هؤلاء أهلي وثقلي. فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، كان علي أولى الناس بالناس ...[209]"

12- عنعنة ... عن صالح بن سهل الهمداني قال: قال أبو عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى : ((الله نور السماوات والأرض، مثل نوره كمشكاة)) فاطمة عليها السلام ((فيها مصباح)) الحسن، ((المصباح في زجاجة)) الحسين، ((الزجاجة كأنها كوكب دري)) فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا ((يوقد من شجرة مباركة)) إبراهيم عليه السلام، ((زيتونة لا شرقية ولا غربية)) لا يهودية ولا نصرانية، ((يكاد زيتها يضئ)) يكاد العلم يتفجر بها، ((ولو لم تمسسه نار نور على نور)) إمام منا بعد إمام، ((يهدي الله لنوره من يشاء)) يهدي الله للأئمة من يشاء. ((ويضرب الله الأمثال للناس.)) قلت [الراوي صالح بن سهل] ((أو كظلمات))؟ قال: الأول وصاحبه. ((يغشاه موج)) الثالث. ((من فوقه موج ظلمات)) الثاني. ((بعضها فوق بعض)) معاوية وفتن بني أمية. ((إذا أخرج يده)) المؤمن في ظلمة فتنتهم ((لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا)) إماما من ولد فاطمة عليها السلام. ((فما له من نور)): إمام يوم القيامة [210]. ونص الآية كاملا ومتصلا كما هو في المصحف :

---

[207] الكليني، ***أصول الكافي***، ص 165 ؛ فرات الكوفي، ***تفسير فرات الكوفي***، ص 108.

[208] سورة النساء ، آية 59 .

[209] الكليني، ***أصول الكافي***، ص 165 ؛ فرات الكوفي، ***تفسير فرات الكوفي***، ص 109 – 111 ؛ وقارن مع : المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني، ***تفسير الصافي*** (طهران : مكتبة الصدر، 1379 هـ. شمسي)، مجلد 3 ، ص 434 – 436، وسنشير إليه فيما بعد بـ "الفيض الكاشاني." وقد تعرضنا لموضوع آية التطهير بتفصيل أكبر في الفصل الثاني ضمن حديثنا عن أهل البيت ، ص 21 – 25.

[210] الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 111 ؛ ***تفسير فرات الكوفي***، ص 282 ؛ والآية موضوع التفسير من سورة النور ، رقم 35 .

((الله نور السماوات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجــة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونـة لا شرقية ولا غـربية ، يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار ، نـور على نـور ، يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس ، والله بكل شئ علـيم.)) [سورة النور/35].

13- باب: فرض طاعة الأئمة ((من يطع الرسول فقد أطاع الله، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا)) وفي تفسير هذه الآية نسب إلى محمد الباقر ، الإمام الخامس : "ذروة الأمر وسنامة ... ورضا الرحمن الطاعة للإمام." وفي هذا السياق نسب إلى جعفر الصادق أنه قال: "أشهد أن عليا إمام فرض الله طاعته، وأن الحسن إمام فرض الله طاعته، وأن الحسين إمام فرض الله طاعته، وأن علي بن الحســين إمام فرض اللـــه طاعته، وأن محمد بن علي إمام فرض اللـــه طاعته [211]." وهذه هي أسماء الأئمة الخمسة الأولين في القائمة الشيعة الإثني عشرية قبل جعفر الصادق، وهو نفسه الإمام السادس في القائمة.

14- باب :الأئمة شهداء الله على خلقه:

وقد نسب الكليني إلى جعفر الصادق تعليقا على الآية القرآنية : ((فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا))، " أنها نزلت في أمة محمد خاصة، في كل قرن منهم إمام منا شاهد عليهم، ومحمد صلى الله عليه وسلم شاهد علينا [212]".

وفيما يلي نقدم عناوين بعض أبواب كتاب ***أصول الكافي*** للكليني، وهو الكتاب الأول والأعلى منزلـــة في كتب الحديث عند الإماميـــة، والكتاب الأول في التراث الإثني عشــري كلـــه . وقد اخترنا هذه العناوين لأن الكليني اعتبرها مستندة إلى النصوص القرآنية التي أوردها تحت كل عنوان:

15- **باب: الأئمة هم الهداة** ((إنما أنت منذر ولكل قوم هاد)) [213] .

16- **باب: الأئمة خلفاء الله في أرضه وأبوابه التي يؤتى** منها [214] .

((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في

الأرض كما استخلف الذين من قبلهم))، قال جعفر الصادق: "هم الأئمة" [215].

17- **باب: الأئمة هم نور الله** ((فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا)) [216].

18- **باب: الأئمة هم ولاة الأمر، وهم الناس المحسودون** الذين ذكرهم الله في

---

[211] الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 105 . والآية من سورة النساء، رقم 80 .
[212] ***المصدر نفسه*** ، ص 108 ؛ والآية موضوع البحث هي رقم 41 من سورة النساء: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك ..."
[213] ***المصدر نفسه***، ص 108 – 109؛ والآية رقم 7 في سورة الـرعـد . عبدالحسين الموسوي، المراجعات ، ص 105 .
[214] ***المصدر نفسه*** ، ص 110.
[215] ***المصدر نفسه*** ، ص 110 ؛ والآيــة من سورة النور ، رقم 55 .
[216] ***المصدر نفسه*** ، ص 110 ؛ والآيــة هي رقم 8 من سورة التـغـابن.

في كتابه ((من يطع الرسول فقد أطاع الله)) ((أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)) [217].

19- **باب: الأئمة هم العلامات التي ذكرها الله في كتابه** ((وعلامات وبالنجم هم يهتدون))؛ قال أبو عبدالله: النجم رسول الله(صلى...) والعلامات هم الأئمة عليهم السلام [218].

20- **باب: أن الآيات التي ذكرها الله في كتابه هم الأئمة** ((وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)) [219].

21- **باب: ما فرض الله ورسوله الكون مع الأئمة** ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين))، علي الرضا قال: الصادقون هم الأئمة [220].

22- **باب: أن أهل الذكر هم الأئمة** ((فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)) [221] .

23- **باب: أن من وصفهم الله بالعلم هم الأئمة**: ((هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يتذكر أولوا الألباب)) [222].

24- **باب: الراسخون في العلم هم الأئمة** : ((وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)) [223].

25- **باب: أن الأئمة أثبت العلم في صدورهم** ((بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم)) [224].

26- **باب: الذين اصطفى الله من عباده هم الأئمة** ((ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا)) أي أورثهم كتابه واصطفاهم، حسبما نسب لمحمد الباقر) [225] .

27- **باب: القرآن يهدي للإمام** ((إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم))، نسب إلى جعفر الصادق : يهدي للإمام [226].

---

[217] ***المصدر نفسه***، ص 105 و 117 ؛ والآيــة: " من يطع الرسول..." ألنساء/80 ، " أم يحسدون الناس ..." ، رقم 54 من سورة النساء ؛ وقارن مع عبدالحسين الموسوي ، ***المراجعات*** ، ص 113 ، وانظر الصفحات 98 – 131 من نفس الكتاب .

[218] ***المصدر نفسه*** ، ص 118 ؛ والآية رقم 16 من سورة النــحل .

[219] ***المصدر نفسه*** ، ص 119 ؛ والآية في سورة يونس ، رقم 101.

[220] ***المصدر نفسه*** ، ص 119 ؛ والآية من سورة التوبة ، رقم 119 .

[221] الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 121 ؛ والآية من سورة النـحل ، رقم 43 .

[222] ***المصدر نفسه*** ، ص 122 ؛ والآية من سورة الـزمـر ، رقم 9 .

[223] ***المصدر نفسه*** ، ص 122؛ والآية من سورة آل عمـران ، رقم 7 .

[224] ***المصدر نفسه*** ، ص 122- 123 ؛ الآية من سورة العنكبوت ، رقم 49 .

[225] ***المصدر نفسه*** ، ص 123 ؛ والآية من سورة فاطر ، رقم 32 .

28- **باب: الأئمة هم النعمة** ((ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار))، قال جعفر الصادق: نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده وبنا يفوز من فاز يوم القيامة [227].

29- في سورة هل أتى على الإنسان نقرأ : ((إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا. عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا. يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا. ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا.)) ونجد الفيض الكاشاني يقول إن هذه الآيات نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين [228]."

30- أن المتوسمين هم الأئمة، حسب ما نسب إلى جعفر الصادق في تعليقه على الآية : ((إن في ذلك لآيات للمتوسمين)) [229].

31- وضمن كتيب صغير منسوب لجعفر الصادق يقال لنا إن الله سبحانه وتعالى أمر بولاية الأئمة الذين سماهم في كتابه بقوله في سورة الأنبياء /73 ((وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا))، وهم الذين أمر الله بولايتهم وطاعتهم ... من يجهل هذا وأشباهه مما افترض الله عليه ، مما أمر الله به ونهى عنه ترك دين الله وركب معاصيه، فاستوجب سخط الله، فأكبه الله على وجهه في النار ..." وعندما نضع الآية 73 من سورة الأنبياء في سياقها نقرأ : ((... قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم. وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين. ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين. ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين. وجعلناهم أئمـة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين.)) [سورة الأنبياء/الآيات 69-73 .] ، وهنا يلح علينا سؤال: أي أئمـة هم الذين تتحدث عنهم الرسالة (الكتيب) المنسوبة إلى الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه، وهي رسالة أعتـقد أن اسم الإمام المبجل أقحم فيها من قبل مؤلفها لإعطائها صدقيــة ليست لها أصلا.

في هذه الأمثلة – بدءا من رقم 9 – نلاحظ استخدام نصوص الآيات بالادعاء بأنها نزلت في أحد الأئمة، أو عدد منهم، أو فيهم جميعا بشكل عام ، وفي أمثلة أخرى تنسب إليهم صفات تبدو وكأنها محصورة فيهم، دون أي دليل يؤيد الادعاء بتخصيص محتوى النص للأئمة أو أحد منهم، دون غيرهم. وضمن هذه الأبواب من كتاب الكليني - أعني الأبواب الذي اكتفينا بذكر عناوينها في القائمة طلبا للإختصار - نجد آيات قرآنية كثيرة، و "أحاديث" وروايات منسوبة للأئمة، أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم، تشغل الصفحات 108- 130 من كتاب ***أصول الكافي***، وترمي كلها إلى تأكيد مضمون كل عنوان. والأمثلة في المصادر لا تكاد تحصى من كثرتها. وهذا الأسلوب الذي اتبعه الكليني لم يكن وقفا عليه، بل إن أكثر المؤلفين الشيعة القدامــى استخدموه على نطاق واسع، حتى لقد بلغت الحماسة بالنعماني - المتوفى

---

[226] ***المصدر نفسه*** ، ص 124 ؛ سورة الإسراء ، آية رقم 9 .

[227] ***المصدر نفسه*** ، ص 124 ؛ والآية من سورة إبراهيم ، آية رقم 28 .

[228] ذهب الفيض الكاشاني إلى أن هذه الآيات نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجارية لهم تسمى فضة؛ أنظر ***تفسـير الصافـي*** ، مجلد 5 ، ص 261 ضمن تفسير سورة الإنسان ؛ الآيات رقم 5 إلى الآية رقم 8 .

[229] الكيليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 125 ؛ والآية في سورة الحجر ، آية رقم 75 .

سنة 360هـ ، وكان معاصرا للكليني ومن تلاميذه - درجة حملته على أن استشهد بالآية رقم 32 من سورة الدخان: ((ولقد اخترناهم على علم على العالمـين ،)) ليثبت أن الله هو الذي اختار الأئـمـة ؛ وقد أذهله تحمسه عن تذكر مضمون الآيتين رقم 30 و 31 من نفس السورة، الذي يحدد هوية أولئك الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى ؛ وهم بنو إسـرائيل .

أما بالنسبة للمؤلفات الشيعية الحديثة فإن كتاب ***المراجعات*** ومؤلفه السيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي يبدو أكثر من استخدم هذه الطريقة وكرر هذه الأمثلة نفسها، وحشد المزيد من مثيلاتها، مع نسبتها للإئمة بالطريقة نفسها [230]. والسيد عبدالحسين رحمه الله مؤلف لبناني، صدرت الطبعة الأولى من كتابه في صيدا بلبنان سنة 1355هـ/ 1936م ، ولعل طبعات أخرى بعدها قد صدرت في لبنان أيضا، وقد اطلعت على أحدى طبعاته بينما كنت مقيما في بيروت في آواخر عقد الستينات من القرن الماضي،اطلاعا سريعا ، دون استيعاب. والظاهر أن المجمع العالمي لأهل البيت في مدينة "قـم المقدسة" في إيران قد أخذ يمارس نشاطات متشعبة من أجل نشر المذهب الإثني عشري بين السنة، بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران ، ومن ذلك أنه تبنى كتاب ***المراجعات*** وقام بتحقيقه، وأضاف إليه كثيرا من الحواشي، واصدره في طبعة أنيقة مميزة، وأضاف له عنوانا في الصفحة التالية لصفحة العنوان الأول، حيث يظهر العنوان الثاني: ***أهل البيت في القرآن الكريم*** [231] ، بجانب مقدمة (ص 5- 7)، يتلوها ما يشبه التقرير (ص 9-38) تحت عنـوان: قصة كتاب ***المراجعات*** ودفع الشبهات عنه، نقلا عن السيد علي الحسيني الميلاني. وقد طبع الكتاب عشرات المرات، وترجم إلى عدد كبير من اللغات حسب ما نقرأ في مقدمة الطبعة التي استخدمتها في هذا البحث . وإشارتنا المقتضبة إلى كتاب ***المراجعات*** هنا غرضها إبراز أن هذه الطريقة ، أعني نسبة كل شئ وكل صفة طيبة في القرآن الكريم للأئمـة دون غيرهم ، ثم إلى شيعتهم، ليست طريقة المحدثين والرواة القدامى من الشيعة فقط ، بل إنها ما زالت هي نفسها متبناة ومستخدمة عمليا حتى في القرن العشرين (الماضي) وفي القرن الحادي والعشرين أيضا ؛ وكتاب السيد عبدالحسين الموسوي أحد الأمثلة على ذلك. أما في القرن الحادي والعشرين فإننا نجد المجمع العالمي لأهل البيت في مدينة "قم المقدسة" يتـبـنـى الكتاب، ويكلف لجنة بأضافة تعليقات عليه، بجانب ترجمته لكثير من اللغات، ثم استخدامه في الدعاية والإهداء على نطاق واسع ؛ وهنا نجد اتباعا واستمرارا لنفس الطريقة التي سارت عليها المصادر القديمة .

وكان من أمثلة ما ذهب إليه السيد عبدالحسين الموسوي (1) أن الأئمة هم الموصوفون والمقصودون بقول الله تعالى : ((إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا)) إلى قوله: ((وكان سعيهم مشكورا))، حسب ما ورد في سورة الدهر،آية 5 – 22 [ص 101 من كتابه]،

وأنهم حبل الله ((واعتصموا بحبل الله جميعا ...)) – آل عمران 103 [ص 101- 102 من كتاب المراجعات]، وأن الأئمة هم الصادقون ((وكونوا مع الصادقين، آية التوبة 119 [الموسوي، ص 103] ، وأنهم صراط الله ((وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ...)) – آية سورة الأنعام رقم 153 [المـوسـوي، ص 103]، وأنهم أهل الذكر ((فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)) في سورتي النحل آية 43 ، والأنبياء/7 [الموسوي، ص 104] ، الأئمة هم : المؤمنون في : ((ومن يشاقق الرسول ... ويتبع غير

---

[230] أنظر السيد عبدالحسين الموسوي ، ***المراجعات ، رسائل متبادلة بين العلمين الشيخ سليم البشري، شيخ الجامع الأزهر، والسيد شرف الدين العاملي***، بعناية لجنة التحقيق والتأليف (قـم ، إيران : الناشر مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت، 1422هـ.) ، ص 93 – 131 على سبيل المثال. وقد أضافت اللجنة للكتاب كثيرا من الحواشي والتعليقات

[231] ***المصدر نفسسه.***

سبيل المؤمنين...)) [الموسوي، ص 104- 105]، وهم الهداة : ((إنما أنت منذر ولكل قوم هاد)) – الرعد، آية 7 [الموسوي، ص 105]، والأئمة هم الذين أنعم الله عليهم، حسب ما ورد في سورة الفاتحة, وفي الآية رقم 69 من سورة النساء ((فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء [الموسوي، ص 106]، ويضيف السيد الموسوي : "ألم يجعل الله تعالى المغفرة لمن تاب وآمن وعمل صالحا مشروطة بالاهتداء إلى ولاية الأئمة، وذلك في قوله : ((وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)) ، سورة طـه / 82، [الموسوي، ص 107-108] . ولم يتردد السيد الموسوي في القول بأن ولاية الأئمة الإثني عشرية هي الأمانة التي ذكرها الله تعالى في قوله : ((إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ...)) – الأحزاب، آية 72 [الموسوي،ص 108]، ثم يخبرنا السيد الموسوي أن ولاية الأئمة هي من ***السلم*** الذي ورد في الآية 208 من سورة البقرة : ((يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ...)) [الموسوي،ص 102]، ومضى يقول : إن ولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يوم ولاه الرسول صلوات الله عليه إمرة المؤمنين، هي النعيم الذي ذكره الله سبحانه في قوله : ((ثم لتسألن يومئذ عن النعيم)) – سورة التكاثر/8 [الموسوي، ص 109]، وأضاف : أن الناس سيسألون عن ولاية الأئمة يوم الحساب، وكيف ضيعوها ، مستشهدا بقول الله جل وعلا في سورة الصافات، آية 24 : ((وقفوهم إنهم مسسؤولون.)) [الموسوي، ص 110- 111]. وتبني "المجمع العالمي لأهل البيت" في مدينة قم "المقدســة" للكتاب واستخدامه له في الدعاية والإهداء يعني أن المجمع يتبنى كل هذه الأقوال ، ويعمل بالجهد والإنفاق لإقناع المسلمين من أهل السنة بها .

إستخدام نصوص القرآن الكريم في الإساءة إلى كبار الصحابة :

(1) في رواية معنعنة يصل سندها إلى زيد بن جهم الهلالي، ثم إلى جعفر الصادق نسب إلى الصادق عليه السلام أنه قال : "لما نزلت ولاية علي بن أبي طالب ... وكان من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلموا على علي بإمرة المؤمنين، فكان مما أكد الله ***عليهما*** في ذلك اليوم يا زيد [الحديث موجه للراوي] قول رسول الله ***لهما*** [من هما ؟] ***قوما فسلما*** عليه بإمرة المؤمنين، ***فقالا*** : أمن الله أو من رسوله يا رسول الله ؟ فقال ***لهما*** رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله ومن رسوله، فأنزل الله عز وجل : ((ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا، إن الله يعلم ما تفعلون.)) فإلى من يشير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "لهما وقولهما أمن الله أو من رسوله؟" ثم تعود الرواية المنسوبة لجعفر الصادق فتستأنف استخدام النص القرآني وتدخل عليه تحريفا ظاهرا : " ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أئـمة هي ..." ***أزكى*** من ***أئمتكم***. قال [الراوي زيد بن جهم الهلالي] : قلت : جعلت فداك، ***أئـمـة*** ؟ قال : ***إي والله، أئمة***، قلت : فإنا نقرأ : **أربــى .** فقال : **ما أربى** – وأومأ بيده فطرحها – **"إنما يبلوكم الله به" يعني علي عليه السلام،** "وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون. ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ولتسئلن يوم القيامة عما كنتم تعملون. ولا تتخذوا أيمانكم

دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها" يعني بعد مقالة رسول الله في علي، "وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله" **ويعني به عليا عليه السلام،** "ولكم عذاب عظيم [232]**."**

وكان مما قصد به من استخدام هذه الآيات بهذه الطريقة المحرفة اتهام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والإساءة لهما، وهما اللذان حجب نص الرواية اسميهما في "قول رسول الله لـهـما قوما فسلما عليه بإمرة المؤمنين، ***"فقالا"*** ... فقال ***" لهما"*** رسول الله صلى الله عليه وسلم ..." هذا بجانب التحريف الذي تعرض له النص القرآني.

والنص الصحيح المتكامل وغير المقطع لهذه الآيات، كما ورد في القرآن الكريم هو :

((وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا، إن الله يعلم ما تفعلون. ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمـة هي أربـى من أمـة ، إنما يبلوكم الله به، وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون. ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ولتسئلن عما كنتم تعملون. ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها، وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم.))[233]."

(2) ونسب إلى جعفر الصادق أنه قال ضمن رده على من استفسره عن قول الله عز وجل : ((الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ...)) قال : بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الولاية ***ولم يخلطوها بولاية فلان وفلان*** ، فهو الملبس بالظلم [234]." فلان وفلان تعني أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

هذا عن استخدام نصوص القرآن الكريم للوصول إلى شتم الصحابة عن طريق التفسير التعسفي للآيات، أو عن طريق تشويه النص وتحريفه . وقد أوردنا في الفصل التالي (ص 83- 86) أمثلة كثيرة جرى فيها استخدام الأحاديث لشتم الصحابة والإزراء بهم ، وغير ذلك من الأساليب .

---

[232] محمد بن يعقوب الكليني ، ***أصول الكـافـي*** ، ص 168- 169 .

[233] ***القرآن الكريم*** ، سورة النحل ، الآيات 91 – 94 ؛ ومن المفيد للقارئ أن يعيد قراءة سورة النحل، خاصة الآيات من 77 – 95.

[234] الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 246 . وفلان وفلان كناية عن أبي بكر ، وعمر ، رضي الله عنهما.

الـفـصـل الـخـامـس

الـمـسـتـوى الأدنــى مـن الـخـلافــات

التقيـة ـ وزواج المتـعـة ـ سب الصحابة ـ تكفير غـير الـشـيـعـة

لا مراء في أن مسألة التقية، ومسألة زواج المتعة وشتم الصحابة والتكفير، لا تصل في خطورتها إلى ما تنطوي عليه الموضوعات الأخرى التي استعرضناها في الفصول السابقة. ومع ذلك فإن ما ننوي معالجته في هذا الفصل، يتسم بدرجة من الخطورة تستوجب عدم إغفاله في بحثنا هذا ، إذا كنا حريصين على علاقة خيرة مع إخواننا وأخواتنا الشيعة تقوم على صدق القول، والمصارحة ، والشفافية ، مفعمة بالحب، مؤكدة بالتعاون الخير البناء، لمصلحة أمتنا الإسلامية حاضرها ومستقبلها، ولمصلحة بني الإنسان جميعا في مستقبل أفضل .

الـتـقـيـــة :

التقية لها أصل وعليها نص في القرآن الكريم : ((لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير.)) [سورة آل عمران/آية 28]. وقد فسر الطبرسي النص على التقية بقوله: ((إلا أن تتقوا منهم تقاة)) : إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه ... وهذه رخصة في موالاتهم عند الخوف. والمراد بهذه الموالاة المخالـفـة الظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة. ((ويحذركم الله نفسه)) فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه. وهذا وعيد شديد [235]."

أما الفيض الكاشاني فقد فسر ((إلا أن تتقوا منهم تقاة)) إلا أن تخافوا من جهتهم خوفا وأمرا يجب أن يخاف منه. وقرئ تقية، منع من موالاتهم ظاهرا أو باطنا في الأوقات كلها إلا وقت المخافة فإن إظهار الموالاة حينئذ جائز ، كما قيل : كن وسطا وامش جانبا... [و] في الاحتجاج عن أميرالمؤمنين عليه السلام، في حديث: وأمرك أن تستعمل التقية في دينك فإن الله يقول : ((لا يتخذ المؤمنون)) الآية، قال وإياك ثم إياك أن تتعرض للهلاك وأن تترك التقية التي أمرتك بها فإنك شائط بدمك ودماء إخوانك، معرض لزوال نعمك ونعمهم ، مذلهم في أيدي أعدائهم، وقد أمرك الله بإعزازهم [236] ."

ويقدم لنا محمد بن يعقوب الكليني "حديثا" منسوبا لأبي جعفر، محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم : عنعنة ... عن أبي جعفر عليه السلام قال : "إنما جعلت التقية ليحقن بها الدم [237]..."

---

[235] الطبرسي ، ***جوامع الجامع*** ، المجلد الأول ، ص 276 ، ضمن تفسير سورة آل عمران . المقصود بالمخالقة: الود والرقة في التعامل .

[236] الفيض الكاشاني ، ***تفسير الصافي*** ، مجلد 1 ، ص 325 ، ضمن تفسير سورة آل عمران، والآية 28 خاصة.

[237] الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 451 ، ضمن باب التقية ، كتاب الإيمان والكفر.

ورواية أخرى بسندها الذي يصل للإمام الخامس: عنعنة ... "... قلت لأبي جعفر عليه السلام : رجلان من أهل الكوفة أخذا فقيل لهما : إبرأا من أمير المؤمنين، فبرئ واحد منهما وأبى الآخر، فخلي سبيل الذي برئ وقتل الآخــر ؟ فقال : أما الذي برئ فرجل فقيه في دينه ، وأما الذي لم يبرأ فرجل تعجل إلى الجنـــة [238]."

وهذا النوع من التقيـة، وفي هذه الحدود التي بينتها النصوص التي استدعيناها واستعرضناها، لا يختلف المسلمون عليه، شيعة أو سنة. فالخطاب القرآني واضح لا يحتاج إلى تأويل، ولا يقبل التأويل، لأن التأويل خارج النص القرآني، ولا يمكن أن يعد قرآنا، بل هو كلام وفكر بشر. والممارسة في هذه الحدود لا تسبب أي توتـر بين المسلمين، ولا تترتب عليها أية مشاكل. بيد أن مسألة ممارسة التقية ***أعقد*** مما تناولته هذه النصوص المحدودة التي استعرضناها في هذا الموضع ، إذ أن هذه النصوص لا تشمل، ولا تمثل مجمل المقولات الشيعية الإمامية في الموضوع. هناك نصوص أخرى كثيرة مغايرة فيما تحض عليه من توجه ، وهنـاك فرع متميز ومستقل في ممارســة التقيـــة، خاص بالأئمـــة دون غيرهم.

نصوص أخرى مختلفة الدلالة :

ففي أصول الكليني نجد "حديثا" **تصل سلسلة سنده** إلى أبي عمر الأعجمي، ثم ينتهي إلى أبي عبدالله – جعفر الصادق رضي الله عنه - : " قال لي أبو عبدالله عليه السلام : يا أبا عمر، إن تسعة أعشار الدين في التقية ، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية في كل شئ إلا في النبيذ والمسح على الخفين [239]." و "حديث" آخر :

عنعنة ... عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام "التقية من دين الله. قلت : من دين الله ؟ قال : إي والله من دين الله، ولقد قال يوسف عليه السلام : ((أيتها العير إنكم لسارقون .)) ووالله ما كانوا سرقوا شيئا؛ ولقد قال إبراهيم عليه السلام : ((إني سقيم))، ووالله ما كان سقيما [240]." و "حديث" آخــر :

عنعنة ... قال أبو عبدالله عليه السلام : سمعت أبي يقول : "لا والله ما على وجه الأرض شئ أحب إلى الله من التقية ... إنه من كانت له تقية رفعه الله ... [و] من لم تكن له تقية وضعه الله ... إن الناس إنما هم في هدنة ، فلو قد كان ذلك كان هذا [241]."

وقد نقل عن جعفر الصادق، رضي الله عنه يفسر قول الله تعالى : ((ولا تستوي الحسنة ولا السيئة)) قال : الحسنة : التقية، والسيئة : الإذاعـة [242]."

---

[238] ***المصدر نفسه*** ، والصفحة ذاتها .

[239] الكليني ، أصول الكافــي ، ص 449 .

[240] ***المصدر نفسه*** ، والصفحة ذاتها .

[241] ***المصدر نفسه*** والصفحة ذاتها . والمقصود بالهدنة أن الشيعة الإثني عشرية يتجنبون إثارة مخالفيهم بالتقية، والتعبيرات بأسلوب الكناية، ويتمسكون بتجنب الحرب المفتوحة ويتظاهرون بالمسالمة المطلقة إلى أن يعود الإمام الغائب شاهرا السيف معلنا الحرب.

[242] الكليني ، ***أصول الكافـي*** ، ص 449 – 450 ؛ العـكبـري ، ***الاخـتـصـاص*** ، ص 25 ..

وقد ذكر العياشي عن الصادق عليه السلام : قال : "كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا إيمان لمن لا تقية لــه، ويقول : قال الله ((إلا أن تتقوا منهم تقاة.)) [243]

وهذه المجموعة من "الأحاديث" تعطي انطباعا عن التقية وكأنها مقصودة لذاتها ، وأنها تبيح ، بل تحض ، على التصريح بما يناقض الحقيقة.

المفهوم الخاص للتــقــيـــة بالنسبة للإمـــام الــغــائــب وبقية الأئمة:

لقد مر معنا، أثناء حديثنا عن صاحب الزمان، الإمام الغائب، أن سبب غيبته هو الخوف، والحرص على تجنب القتل. كذلك مرت معنا روايات كثيرة تفيد أن الحسن بن علي العسكري، والد الإمام الغائب، قد أخفى ولادته فرقا عليه من أن تتعرض سلامته وحياته للخطر. إذن، هذا مستوى من التقية خاص بالغائب وحده ، وهو يتضح لنا من الحوار التالي ، سواء كان الحوار حقيقيا أو افتراضيا :

وجه بعض المخالفين سؤالا للعكبري، الشيخ المفيد : " ما السبب الموجب لاستتار إمام هذا الزمان عليه السلام وغيبته التي طالت مدتها ... فإن قلتم إن سبب ذلك صعوبة الزمان عليه بكثرة أعدائه ... فقد كان الزمان الأول على آبائه ... أصعب ... ؟

الجواب عن ذلك : ... [وبدأ العكبري بنفي سهولة هذا الزمان على الإمام الغائب ووصفها بأنها وهم ،إذ] ***لم يكن أحد من آبائه ... كلف القيام بالسيف مع ظهوره ، ولا ألزم بترك التقية ، ولا ألزم الدعاء إلى نفسه حسبما كلف الله إمام زماننا هذا بشرط ظهوره ... وكان من مضى من آبائه ... قد أبيحوا التقية من أعدائهم، والمخالطة لهم، والحضور في مجالسهم، وأذاعوا تحريم إشهار السيوف على أنفسهم، ... وأشاروا إلى منتظر يكون في آخر الزمان منهم يكشف الله به الغمة ... لا تسعه التقية عند ظهوره، ... وتظهر قبله إمارات القيامــة في الأرض والسماء ... وهكذا أمنوا على أنفسهم عندما علم السلاطين في كل زمان أن الشيعة "لا يتدينون بالقيام بالسيف ... وأن دينهم الذي يتقربون به إلى الله عز وجل التقية، وكف اليد، وحفظ اللسان، والتوفر على العبادات ..." ولما كان إمام هذا الزمان هو المشار إليه بسل السيف من أول الدهر ... والجهاد لأعداء الله عند ظهوره ، ورفع التقية عن أوليائه ... وأنه المهدي الذي يظهر الله به الحق ويبيد بسيفه الضلال ... ولكن لم يكن أنصاره متهـيـئــين، فلزمته التقية .*** ثم يقال لهذا الخصم : أليس النبي صلى الله عليه ... قد أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى الله تعالى ولا يرى سل السيف ولا الجهاد، ويصبر على التكذيب والضرب وصنوف الأذى ... وعذبوا أصحابه أنواع العذاب ... وكان المسلمون يسألونه الإذن له في سل السيف ومباينة الأعداء فيمنعهم ... ويأمرهم بالصبر على الأذى [244]." والذي يمنع المهدي الغائب من الظهور والقيام بالمهمة التي كلف بها هو عدم توافر الأنصار والجند المؤهلين للعمل تحت قيادتــه. إنــه بحاجة إلى عدة أهل بدر ، ثـلاثـمـئـة وبضعة عشر رجلا. وعلى الرغم من كـثرة الشــيعة فلا يوجد بينهم هذا العدد الذي يحمل نفس صفات أهل بدر. هكذا أكمل الشيخ العكبري إجابته [245].

---

[243] الفيض الكاشاني ، ***تـفـســيـر الـصـافــي*** ، مجلد 1 ، 325 ، ضمن تفسير سورة آل عمران .

[244] الــعــكــبـري ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري ، ***مسـار الشـيعة في مختصر تواريخ الشريعة*** ، ***الرسالة الـثـالـثـة في الغيبة*** ، ص 11 - 16 . والكتاب يجمع عدة رسائل في جلد واحد، كل رسالة تبدأ بترقيم جديد، والرسالة الثالثة في الصفحات الأخيرة من الكتاب.

[245] ***المصدر نفســـه*** ، والصفحــات ذاتـهـا.

ومن التقية الخاصة بالأئمة كتمان أسرارهم، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة نسبت إلى الباقر والصادق رضي الله عنهما [246] .

وخلاصة مفهوم التقية بالنسبة لممارسات الأئمة ، ما يلي :

أولا : الأئمة مأمورون بممارسة التقية، وإظهار أنهم يشتغلون بالعبادة والإرشاد، ولا يتدينون باللجوء إلى الحرب أو العنف، لأنهم ينتظرون مجيئ المهدي – الإمام الغائب – ليزيل الظلم والفساد، وينشر ويقر العدل والصلاح. إذن، مهمة الدخول في صراع عنفي أو قتالي ليست مهمتهم.

ثانيا : أما بالنسبة للإمام الغائب فإنه سيأتي أصلا لاستخدام السيف وتغيير واقع الأرض بالقتال ونشر الرعب، والاقتصاص حتى من قريش التي منعت علي بن أبي طالب حقه في الخلافة. والذي يؤخر عودة الإمام هو عدم وجود القوة اللازمة لتنفيذ مهمته وإحداث التغيير المطلوب. والقوة اللازمة هي مجموعة من الرجال عددها يساوي عدد المسلمين في معركة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة، ثلاث مئة وبضعة عشر رجلا. وقد قال العكبري إن عدد الشيعة كان كبيرا في أيامه ، ويمكن أن نضيف إلى هذا أن بقايا الخلافة والدولة العباسية كانت تحت سيطرة الملوك البويهيين الشيعة بسلطتهم وجيوشهم ، وعلى الرغم من ذلك فإن توفر ثلاث مئة وبضعة عشر رجلا، فيهم صفات أهل بدر لم يكن متيسرا [247] . والذي أراد الشيخ المفيد، العكبري، هنا تأكيده أن المطلوب ليس مجرد الصفة العددية، بل الصفة الإيمانية والاستعداد للتضحية وممارستها، لهذا السبب فأن الإمام الغائب لا يمكنه الظهور. فهل هذا المانع لظهور الإمام الغائب ما زال قائما حتى بعد قيام الدولة الصفوية في إيران أوائل القرن السادس عشر الميلادي، وحتى بعد قيام الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني، وهور الحرس الثوري ؟ ؟ وقيام حزب الله في لبنان ؟؟

المتعة :

إذا أردنا أن نعرف المتعة تعريفا مبسطا يستوعبه القارئ والقارئة بسهولة فإن بإمكاننا أن نقول : "إن المتعة هي اتفاق بين رجل وامرأة على أن يستمتع الرجل بجسدها جنسيا ، إما مرة واحدة، لساعة أو بعض ساعة أو أكثر، وإما مدة من الزمن محددة بشهر واحد، أو أكثر من شهر، مع إمكانية أن يتكرر الشهر مرات، مثلا. ويشترط عليها الرجل أن لا ترثه ولا يرثها [248]، ولا يطلب أخذ ولدها منها، ولكن ليس له أن ينكر الولد أو يرفض تبنيه. فإذا انقضت المدة انتهت العلاقة بكل أبعادها وانقطعت، إلا إذا رغبا في الزيادة [249] . وبعد هذا التعريف الموجز، ننتقل إلى نصوص إخواننا الشيعية الإثني عشرية التي توضحه بجلاء وتفصيل كبير :

---

[246] أبو الفضل علي بن الحسن الطبرسي ، ***مشكاة الأنوار في غرر الأخبار*** (قم : مؤسسة آل البيت لإحياة التراث ، 1423 هـ . ق.)، ص 87 – 94 .

[247] كانت الخلافة العباسية والعراق وأراضي إيران الحالية وشمال سوريا تحت سيطرة الملوك البويهيين في الفترة (334هـ - 447هـ) ، وضمن هذه الفترة عاش الشيخ المفيد، العكبري، حيث توفي سنة 413هـ.

[248] وثمة رواية تفيد بأن عدم الميراث هو الأصل، سواء اشترط الرجل أو لم يشترط.

[249] هذا التعريف لم نأخذ نصه من المصادر الإثني عشرية ؛ هو من صياغة مؤلف هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ. وسنتبعه بالنصوص الشيعية التي تبين أنه يلخص ما تتضمنه المصادر الشيعية بدقة ، ولكن دون تطويل غير ضروري .

- عن أبي بصير قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن المتعة فقال: نزلت في القرآن : ((فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ...))

- عن أبي جعفر "كان علي عليه السلام يقول : لولا ما سبقني به بني [كذا] الخطاب ما زنى إلا شقي."

- عن زرارة قال : "جاء عبدالله بن عمر الليثي إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له: ما تقول في متعة النساء ؟ فقال: أحلها الله على لسان نبيه، فهي حلال إلى يوم القيامة. فقال : يا أبا جعفر، مثلك يقول هذا وقد حرمها عمر ونهى عنها ؟ فقال : وإن كان فعل. قال : إني أعيذك بالله من ذلك أن تحل شيئا حرمه عمر. قال : فقال له : فأنت على قول صاحبك وأنا على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهلم ألاعنك أن القول ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الباطل ما قاله صاحبك . قال : فأقبل عبدالله بن عمير[250] فقال : يسرك أن نساءك وبناتك وأخواتك وبنات عمك يفعلن ؟ قال : فأعرض عنه أبو جعفر عليه السلام حين ذكر نساءه وبنات عمه ." [هذه الروايات الثلاث وردت تحت باب 285 ، أبواب المتعة، ص 829 - 830 من كتاب أصول الكافي للكليني.]

- وعن الناس الذين يمارسون المتعة أو تمارسها نساؤهم، نسب إلي أبي جعفر القول : " ليس كل الصناعات يرغب فيها وإن كانت حلالا ، وللناس أقدار ومراتب ، يرفعون أقدارهم [251]." ومعنى عبارة أن للناس أقدار ومراتب : أن الناس ذوي المراتب والأقدار العالية يأنفون أن تمارس بناتهم وقريباتهم المتعة ، أما الناس ذوو الأقدار الواطئة أو الدنيئة، أو الذين يختارون تنزيل أقدارهم ومراتبهم فإنهم يفعلون ذلك.

- سأل عمر بن أذينة أبا عبدالله عليه السلام : " كم تحل من المتعة ؟ [أي كم عدد النساء اللاتي يتمتع بهن الرجل الواحد] قال : هن بمنزلة الإماء [252]."

- وتتكرر هذه الرواية في كتاب ***من لا يحضره الفقيه*** ، لابن بابويه القمي، بنفس المعنى، وبلفظ قريب؛ "هي كبعض إمائك [253]."

- عن بكر بن محمد الأزدي، قال : "سألت أبا الحسن عليه السلام عن المتعة ، أهي من الأربع [أي من الأربع زوجات المباح للمسلم جمعهن في آن واحد] ، فقال : لا [254]. "

- وسأل رجل أبا عبدالله جعفر الصادق : "... ألقى المرأة بالفلاة التي ليس بها أحد فأقول لها : ألك زوج ؟ فتقول : لا. فأتزوجها ؟ قال: نعم، هي المصدقة على نفسها [255] .

---

250 يلاحظ هنا أن صاحب هذه الرواية يريد أن يزري بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما أنه سخر من عبدالله بن عمر الليثي بالتصغير: عبدالله بن عمير.

251 هذه الروايات الأربع وردت بنصها في محمد بن يعقوب الكليني، ***فروع الكافي*** ، تحت رقم 285 : أبواب المتعة ، ص 829 – 830.

252 ومعنى السؤال : كم عدد النساء التي يتمتع بهن رجل واحد. ومعنى الجواب، العدد غير محدود ، مثل امتلاك واستخدام الإماء.

253 إبن بابويه القمي ، ***من لا يحضره الفقيه*** ، رقم المسألة 4597 ، ص 586 .

254 الكليني، ***فروع الكافي*** ، ص 831 .

255 محمد بن الحسن الطوسي، ***تهذيب الأحكام*** ، م 7 ، 377 ، وقد وردت هذه الرواية في باب : عقد المرأة على نفسها، فرجحت أن هذا الزواج في إطار زواج المتعة ، ولست متأكذا من ذلك ، بالنسبة لهذه الرواية بالذات

- وعن أبي بصير، "سئل أبو عبدالله عليه السلام عن المتعة : أهي من الأربع ؟ فقال : لا ، ولا من السـبعين [256].

- وعن زرارة ابن أعين قال إنه سأل الإمام أبا الحسن : "ما يحل من المتعة ؟ قال: كم شئت[257] ."

- ونسب إلى محمد الباقر، أبي جعفر عليه السلام قوله في المرأة موضوع المتعة : "قال : ليست من الأربع لأنها لا تطلق ولا ترث ، وإنما هي مستأجرة [258]،" أي تؤجر جسدها للمتمتع بها.

- وقد نسب إلى أبي عبدالله جعفر الصادق رضي الله عنه أنه أقر وأيد مقولة أحد أصحابه في المتعة، قال : "ليس فيها وقت ولا عدة، إنما هي بمنزلة الإماء، يتزوج منهن كم شاء؛ وصاحب الأربع نسوة [أي من لديه أربع زوجات] يتزوج منهن [المستأجرات للمتعة] ما شاء بغير ولي ولا شهود، فإذا انقضى الأجل بانت منه بغير طلاق ..." والمقصود في ذلك أن من كانت عنده أربع زوجات يستطيع – بجانب ذلك – أن يتزوج أي عدد آخر من النساء زواج متعة [259] .

- ثم يأتي الباب المرقم 287 فيأتي بأربعة "أحاديث" تحت عنوان : أنه يجب أن يكف عنها من كان مستغنيا أي من كانت لديه زوجة أو أربع زوجات. وهذا تناقض واضح مع الروايات التي تطلق العدد وتقول : تزوج منهن كم شئت ، أي عدد شئت، "ولا من السبعين" ، أو كما نسب إلى جعفر الصادق رضي الله عنه عندما سئل : "أهي من الأربع ؟ فقال : تزوج منهن ألفا، فإنهن مستأجرات [260]."

- وسئل أبو الحسن عليه السلام : كم أدنى أجل للمتعة ؟ هل يجوز أن يتمتع الرجل بشرط مرة واحدة ؟ "... وكانت الإجابة : نعم [261] ."

- وتحت عنوان : الرجل يتمتع بالمرأة مرارا كثيرة ، باب رقم 295 ، نقرأ : عن أبي الحسن عليه السلام ، جوابا لسؤال : "... الرجل يتزوج المرأة المتعة وينقضي شرطها [شرط المدة]، ثم يتزوجها رجل آخر حتى بانت منه ، ثم يتزوجها الأول حتى بانت منه ثلاثا ، وتزوجت ثلاثة أزواج [أ] يحل للأول أن يتزوجها ؟ قال : نعم ، كم شاء، ليس هذه مثل الحرة ، هذه مستأجرة، وهي بمنزلة الإماء [262]."

- وسئل أبو عبدالله عن أدنى المهر في زواج المتعة فقال : " كف من بر ... [وفي جواب آخر لنفس السؤال من رجل آخر] : كف من طعام : دقيق أو سويق أو تمر ." وفي جواب آخر

---

256 الكليني ، ***فروع الكافي*** ، ص 831 .
257 ***المصدر نفسه*** والصفحة ذاتها .
258 ***المصدر نفسه*** والصفحة ذاتها .
259 ***المصدر نفسه*** ، والصفحة ذاتها .
260 الكليني ، ***فروع الكافي***، ص 831 ؛ ولكن كيف يتفق هذا القول مع الرواية السابقة المبيحة للمتعة للمتزوج بأربع ؟؟
261 ***المصدر نفسه*** ، ص 835 ، تحت باب رقم 294 .
262 ***المصدر نفسه*** ، ص 835 : وقد وردت ضمن الباب رقم 295 .

نسب إلى محمد الباقر، رضي الله عنه عن سؤال بشأن متعة النساء، قال : "حلال ، وأنه يجزئ فيها الدرهم فما فوق [263] ." أي ما تعطاه بدل تأجير جسمها للمتمتع من الرجال .

- وسئل الرضا [الإمام الثامن] : هل يجوز للرجل أن يتمتع بالجارية ، [والمقصود بها هنا البنت الصغيرة] ؟ قال : نعم، إلا أن تكون صبية تخدع . قلت [السائل قال] : أصلحك الله ، وكم الحد الذي إذا بلغته لم تخدع ؟ قال : إبنة عشر سنين [264] ."

- سئل أبو عبدالله في الرجل يتزوج البكر متعة ، قال : يكره [ذلك] للعيب على أهلها [265] ." وفي رواية أخرى في نفس الصفحة نسب إليه، قال : "العذراء التي لها أب لا تتزوج متعة إلى بإذن أبيها [266] ."

- سئل أبو عبدالله "في رجل يتزوج امرأة [متعة] ولها زوج ، فقال : إذا لم يرفع خبره إلى الإمام فعليه أن يتصدق بخمسة أصواع دقيقا، هذا بعد أن يفارقها [267] ."

- عن يونس بن عبدالرحمن قال : "سألت الرضا عليه السلام عن رجل تزوج امرأة متعة فعلم بها أهلها فزوجوها من رجل في العلانية ، وهي امرأة صدق ، قال: لا تمكن زوجها من نفسها حتى تنقضي عدتها وشرطها ... وقلت للرضا : ... المرأة تتزوج متعة فينقضي شرطها ، فتتزوج رجلا آخر قبل أن تنقضي عدتها ، قال : وما عليك، إنما إثم ذلك عليها [268]."

التشجيع والحض على ممارسة زواج المتعة :

- سئل أبو جعفر [الإمام الخامس] : هل "للمتمتع ثواب ؟ قال: إن كان يريد بذلك وجه الله تعالى، وخلافا على من أنكرها [أي ومن أهدافه أن يخالف من أنكر المتعة] لم يكملها إلا كتب الله تعالى له بها حسنة ، ولم يمد يده إليها إلا كتب الله له حسنة ، فإذا دنا منها غفر الله تعالى له بذلك ذنبا، فإذا اغتسل غفر الله له بقدر ما مر من الماء على شعره. قلت : بعدد الشعر ؟ قال: نعم، بعدد الشعر [269]."

- وقال أبو جعفر : " إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أسري به إلى السماء قال : لحقني جبرئيل عليه السلام، فقال : "يا محمد ، إن الله تعالى يقول : إني قد غفرت للمتمتعين من أمتك من النساء [270]."

- ونسب إلى أبي جعفر [الإمام الخامس] القول : "عدة المتعة خمسة وأربعون يوما، فإذا جاء الأجل كانت فرقة بغير طلاق " ، فإن شاء أن يزيد فلا بد من أن يصدقها شيئا قل أو كثر. والصداق كل

---

263 الكليني ، ***فروع الكافي*** ، ص 834 ، ضمن الباب رقم 291 بعنوان : ما يجزئ من المهر .

264 إبن بابوي القمي، ***من لا يحضره الفقيه***، ص 585 ، المسألة رقم 4593 ؛ الطوسي، ***تهذيب الأحكام*** ، مجلد 7 ، ص 255 ، المسألة رقم 1100 .

265 ***المصدر نفسه*** ، ص 585 ، المسألة رقم 4594 .

266 ***المصدر نفسه*** ، 586 ، المسألة رقم 4595 .

267 ***المصدر نفسه*** ، ص 590 المسألة رقم 4640 .

268 ***المصدر نفسه*** ، ص 586 ، المسألة رقم 4601 .

269 المصدر نفسه ، ص 586 ، المسألة رقم 4602 .

270 ***المصدر نفسه*** ، ص 586 ، المسألة رقم 4603 .

شئ تراضيا عليه في تمتع أو تزويج بغير متعة ، ولا ميراث بينهما في المتعة إذا مات واحد منهما في ذلك الأجل. وله أن يتمتع إن شاء ولـه امرأة ، وإن كان مقيما معـها [امرأته] في مصـره، [في مدينته] [271]."

- وسئل أبو عبدالله عن المتعة فقال : "إني لأكره للرجل المسلم أن يخرج من الدنيا وقد بقيت عليه خلة من خلال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقضها [272] ."

- وسـئل أبو عبداللــه عن التمتع بالأبكار فقال : "هل جعل ذلك إلا لهن ؟ فليستترن منه وليستعففن [273]." [المعنـى أن يمارسنه بتستر ، ويستعففن: لا يخرجن بالممارسة عن الشروط.]

- قال جعفر الصادق : "ليس منا من لم يؤمن بكرتنا، ويستحل متعتنا [274]."

تـكـفـير الشـــيـعـــة لـغيرهم من المسلمين :

- نسب إلى أبي عبدالله [الإمام السادس] أنه ذكـر الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " كان أمير المؤمنين [علي] عليه السلام إماما ، ثم كان الحسن عليه السلام إماما ، ثم كان الحسين عليه السلام إماما ، ثم كان علي بن الحسين إماما ، ثم كان محمد بن علي إماما ، من أنكر ذلك كان كمن أنكر معرفة اللــه تبارك وتعالى ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم [275]."

- ونسب إلى أبي عبدالله أيضا أنه روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سئل عن الأعراف ، فأجاب : " نحن على الأعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذي [كذا] لا يعرف الله عز وجل إلا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف ، يعرفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط ، فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا ، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه . إن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرف العباد نفسه ، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه ؛ فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون [276] ."

- ونسب إلى أبي عبدالله : " نحن الذين فرض الله طاعتنا ، لا يسع الناس إلا معرفتنا ، ولا يعذر الناس بجهلنا. من عرفنا كان مؤمنا ، ومن أنكرنا كان كافرا ، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالا حتى يرجع إلى الهدى [277]."

- نسب إلى علي بن موسى الرضا [الإمام الثامن] ، أنه كتب إلى عبدالله بن جندب : " أما بعد ، فإن محمدا كان أمين الله في خلقه ... فلما قبض صلى الله عليه وسلم كنا أهل البيت ورثته ، فنحن أمناء الله في أرضه ... وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم ... ليس على ملة

---

[271] إبن بابويه القمي ، ***من لا يحضره الفقيه*** ، ص 587 ، المسألة رقم 4607 ، ضمن كتاب النكاح .
[272] ***المصدر نفسه*** ، ص 587 ، المسألة رقم 4604 .
[273] ***المصدر نفسه*** ، ص 588 ، المسألة رقم 4613 .
[274] إبن بابويه القمي ، ***من لا يحضره الفقيه*** ، ص 584 ، المسألة رقم 4585 .
[275] الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 103 .
[276] ***المصدر نفسه*** ، ص 104 ، ضمن باب معرفة الإمام والرد إليه ، بند رقم 9 .
[277] ***المصدر نفسه*** ، ص 106 ، تحت عنوان : فرض طاعة الأئمة ، البند رقم 11 ؛ وفي الصفحات 105 إلى 107 توجد 17 رواية تحمل نفس المضمون .

الإسلام غيرنا وغيرهم ... ونحن الذين شرع الله لنا دينه فقال في كتابه : " شرع لكم (يا آل محمد) "من الدين ما وصى به نوحا" قد وصانا بما وصى به نوحا، "والذي أوحينا إليك" يا محمد "وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ..."[278] فقد علمنا وبلغنا علم ما علمنا، واستودعنا علمهم. نحن ورثة أولي العزم من الرسل "أن أقيموا الدين" يا آل محمد "ولا تتفرقوا فيه..." [279] . وهذا يعني أنهم ورثوا النبي (ص) ليس في منصب رئاسة الدولة فقط، بل ورثوه في منصب النبوة، مع تعديل طفيف، كما ورثوا بقية الأنبياء السابقين جميعا. وهذا التقطيع للآية وإدخال عبارات من خارج القرآن ضمن النص لا ينبغي أن يمر دون أن يتنبه إليه القارئ. أما النص الصحيح والمتتابع والمتكامل للآية الكريمة، فهو : ((شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا، والذي أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه. كبر على المشركين ما تدعوهم إليه. الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب.)) [الشورى/13].

- نسب إلى أبي عبدالله ، جعفر الصادق رضي الله عنه : "إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش ، فأسكن ذلك النور فيها ، فكنا نحن خلقا وبشرا نورانيين، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيب ، وخلق أرواحنا، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا ، وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك [كذا] الطينة، ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيبا إلا للأنبياء. ولذلك صرنا نحن وهم الناس، وصار سائر الناس همج للنار ، وإلى النار [280]."

- ونسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما : "سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: خلقت من نور الله عز وجل ، وخلق أهل بيتي من نوري، وخلق محبيهم [كذا] من نورهم، وسائر الخلق في النار[281] ."

- نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القول : " ... فوالذي بعثني بالحق نبيا، لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال ولم يجئ بولاية علي ابن أبي طالب لأكبه الله عز وجل في النار [282] ."

سب الصحابة :

- **نسب إلى** محمد الباقر، أو إلى ابنه جعفر الصادق، رضي الله عنهما قال : "أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كئيبا حزينا، فقال له علي عليه السلام : مالي أراك يا رسول الله كئيبا حزينا ؟ فقال : وكيف لا أكون كذلك وقد رأيت في ليلتي هذه أن بني تيم وبني عدي وبني أمية يصعدون منبري هذا ، يردون الناس عن الإسلام القهقرى، فقلت : يارب ، في حياتي أو

---

[278] والآية التي جرى تقطيعها وتشويهها وحصرها للأئمة هي الآية 13 من سورة الشورى ، فانظر نصها الكامل وسياقها.

[279] محمد بن يعقوب الكليني ، *أصول الكافي* ، ص 128 ، ضمن باب : الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين قبلهم، بند 1 .

[280] ***المصدر نفسه*** ، ص 231 ، ضمن باب : خلق أبدان الأئمة وأرواحهم ... ، البند رقم 2 .

[281] الطوسي ، ***كتاب الأمالي*** ، ص 928 ، مجلس يوم الجمعة رقم (34) الموافق 16 رجب 475هـ.

[282] ***المصدر نفسه*** ، ص 462 ، وتقع ضمن الجزء 11 من الكتاب المرجع.

بعد موتي ؟ فقال: بعد موتك [283] ." ويلزم التوضيح هنا للقارئ أن ***بني تيم*** هم عشيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ***وبني عدي*** هم عشيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والمقصود من الرواية اتهام أبي بكر واتهام عمر رضي الله عنهما – بلسان النبي صلى الله عليه وسلم - أنهما ردا الناس عن الإسلام بعد وفاته، ولم يبق من الإسلام إلا ما يقوله الشيعة الإثنا عشرية .

- نسب إلى جعفر الصادق أنه قال: " ... لا والله لا يرجع أمر الخلافة إلى آل أبي بكر وعمر أبدا ، ولا إلى بني أمية أبدا ، ولا في ولد طلحة والزبير أبدا ، **وذلك لأنهم نبذوا القرآن ، وأبطلوا السنن، وعطلوا الأحكام . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القرآن هدى من الضلال ، وبيان من العمى ... وفيه كمال دينكم، وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار [284]."**

- نسب إلى الإمام محمد الباقر وإلى ولده الإمام جعفر الصادق رضي الله عنهما أنهما قالا : " إن فاطمة عليها السلام – لما كان من أمرهم ما كان – أخذت بتلابيب عمر فجذبته إليها ثم قالت : أما والله يا ابن الخطاب لولا أني أكره أن يصيب البلاء من لا ذنب له لعلمت أني سأقسم على الله ثم أجده سريع الإجابة[285] .

- نسب لأبي جعفر – محمد الباقر – رضي الله عنه أنه قال : "لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد علي عليه السلام يوم الغدير صرخ إبليس في جنوده ..." فأتوه جميعا واستفسروا عن سبب صراخه، "فقال لهم : فعل هذا النبي فعلا إن تم لم يعص الله أبدا ... فلما قال المنافقون إنه [محمد صلى الله عليه وسلم] "ينطق عن الهوى ، وقال ***أحدهما لصاحبه*** أما ترى عينيه تدوران في رأسه كأنه مجنون، يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم، صرخ إبليس صرخة بطرب، فجمع أولياءه فقال : أما علمتم أني كنت لآدم من قبل ؟ قالوا : نعم. قال: آدم نقض العهد ولم يكفر بالرب، وهؤلاء نقضوا العهد وكفروا بالرسول. فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام الناس غير علي لبس إبليس تاج الملك ونصب منبرا ... وجمع خيله ورجله ثم قال لهم : أطربوا ، لا يطاع الله حتى يقوم الإمام [يقصد الإمام الغائب]. وتلا أبو جعفر : ((ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين [286].)) ***وقال أحدهما لصاحبه*** تشير إلى ***أبي بكر*** , وإلى ***عمر*** رضي الله عنهما.

- نسب إلى أبي عبدالله، جعفر الصادق رضي الله عنه، أنه قال: "دخل أبو بكر على علي عليه السلام فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحدث لنا في أمرك حدثا بعد يوم الولاية. وأنا أشهد أنك مولاي مقر لك بذلك. وقد سلمت عليك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمرة المؤمنين، وأخبرنا رسول الله أنك وصيه ووارثه وخليفته في أهله ونسائه ... ولم يخبرنا، أنك خليفته من بعده، ولا جرم لنا في ذلك ... فقال له علي عليه السلام : إن أريتك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يخبرك بأني أولى بالمجلس الذي أنت فيه، وأنك إن لم تنح عنه كفرت

---

283 الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 834 ، المسألة رقم 543 .

284 ***المصدر نفسه*** ، ص 633 ، وهي في الجزء الثاني، ضمن القسم المعنون : كتاب فضل القرآن .

285 ***المصدر نفسه*** ، ص 275 .

286 ***المصدر نفسه*** ، ص 834 ، المسألة رقم 542

، فما تقول ؟ فقال: إن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يخبرني ببعض هذا اكتفيت به . قال: فوافني إذا صليت المغرب. قال : فرجع بعد المغرب فأخذ بيده وأخرجه إلى مسجد قباء ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في القبلة ، فقال له : يا عتيق، وثبت على علـي وجلست مجلس النبوة ، وقد تقدمت إليك في ذلك ، فانزع هذا السربال الذي تسربلته فخله لعلي ، وإلا فموعدك النار [287] .

- ومن الشتائم التي وجهت إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وإلى الصحابة، ما كتبه علي بن موسى بن طاووس عندما قال يخاطب ابنه الذي ألف له كتابه : "واعلم يا ولدي محمد ... أن أبا بكر وعمر صنعا أمرين عظيمين كانا سببا لما جرى بين الإسلام والمسلمين ، وضلال من ضل منهم إلى يوم الدين ... [ذلك] " أن جدك محمدا (ص) قال عند وفاته، إئتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبدا، وأن عمر قال في وجه جدك المعظم إنه ليهجر، أي ليهذي ، يا ويله وويل لمن وافقه على هذه المصيبة والرزية ... فلما سمع النبي (ص) ما قد بلغ حرمته إليه ... قال : قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع. فكل ضلال في الدنيا منذ ذلك اليوم ... كان بطريق عمر ومن وافقه ... وقد كان عبدالله بن عباس يبكي حتى تبل دموعه الحصى ... ويقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه (ص) [288] . ثم انتقل ابن طاووس للحديث عن يوم السقيفة واشتغالهم بالأمور الدنيوية، وأن الصحابة خرجوا من اعتقاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وعن وصيته بالإمامة لعلي رضي الله عنه [289] ..." وذلك ضمن كلام كثير .

الشتـائـم مستمرة في القرن الخامس عشر الهجري/الحادي والعشرين الميلادي :

والشتائم التي توجه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بل وللصحابة جميعا باستثناء عدد قليل، ما زالت مستمرة، على خلاف ما يقوله بعض إخواننا الشيعة ***تـقـيـة*** في تعاملهم مع السنة ، وما يردده المتحمسون لفكرة توحيد السنة والشيعـة وإغماض الأعين عن الأفكار والاعتقادات التي تقوض كل وحدة .

- ساق السيد محمد باقر الصدر – رحمه الله – اتهامات مهينة إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة رضي الله عنهم، ومن ضمنها اتهامات بالتآمر، والحـزبية ، وذهب إلى أن "عدم إعطاء فدك لفاطمة رضي الله عنها كان جزءا من هذا التصرف الحزبي. وقد هون من خلافة أبي بكر وعمر وحاول أن يجردهما من كل فضيلة، ونسب ما تحقق في عهد أبي بكر وعمر إلى رقابة الحزب المعارض، حزب علي بن أبي طالب، حيث كانوا – فيما قاله – "كانوا بالمرصاد للخلافة الحاكمة ، وكان أي زلل وانحراف مشوها للون الحكم حينذاك كفيلا بأن يقلبوا الدنيا رأسا على عقب ، كما قلبوها على عثمان يوم اشترى قصرا، وولى أقاربه [290] . وأضاف السيد الصدر يقول : " ثم حدثني عن حياة الصديق (رضي الله عنه) أيام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فهل تجد فيها إلا تخاذلا وضعفا في

---

[287] العكبري ، ***الاختصاص*** , ص 273 .

[288] أبو القاسم علي بن طاوس الحسني الحسيني ، ***كشـف المحـجـة لثمـرة المـهجـة*** (بيروت : دار المرتضى ، مؤسسة الصراط المستقيم ، 1412هـ//1991 م)، ص 75 – 76 .، وانظر الصفحات 71 – 73 من نفس المصدر .

[289] ***المصدر نفسه*** ، ص 77 - 81 .

[290] محمد باقر الصدر ، ***فدك فـي التـاريخ*** (بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، 1400 هـ / 1980م)، ص 37 – 40، وانظر الصفحات التالية حتى ص 71 و 75 و 95- 101 و 104 – 105 و 108 و 111و 132 .

الحياة المبدئية والحياة العسكرية ... لئن كان الصديق وصاحباه [عمر وأبو عبيدة] يشكلون حزبا ذا طابع خاص فمن العبث أن ننتظر منهم تصريحا بذلك ... فقد ظهر في الموقف تسرعهم إلى إتمام البيعة لأحدهم، وتلهفهم على المقامات العليا لم يكن منتظرا بالطبع من صحابة على نمطهم ... أما الملك الشخصي، وأما اقتناص الكراسي فلا ينبغي أن يكون هو الغاية في حساب تلامذة محمد (صلى الله عليه وسلم). ما الذي منع هؤلاء الخائفين من الفتنة ... أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خليفته، أو يطلبوا منه تعيين المرجع الأعلى للحكومة الإسلامية ... لكنهم لم يكتفوا بترك السؤال ، بل منعوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من مقاومة الخطر المرتقب ، حينما أراد أن يكتب كتابا لا يضل المسلمون بعده أبدا ... معنى هذا أن الحاكمين زفوا إلى المسلمين خلافة لم تباركها السماء ولا رضي بها المسلمون ، وأن الصديق لم يستمد سلطانه من نص نبوي ... ولم ينعقد الإجماع عليه[291]..."

- وعن المؤامرة قال السيد الصدر: "... المؤامرة كانت مؤامرة على وجود الأمة الإسلامية، على شخصية هذه الأمة، على أن تقول كلمتها في الميدان بكل قوة وجرأة وشجاعة، على أن تنسلخ عن شخصيتها وينصب عليها قيم من أعلى يعيش معها عيش الأكاسرة والقياصرة ... وهذه هي المؤامرة التي كان يسعى خط السقيفة بالتدريج ، عامدا أو غير عامد ، إلى تعميقها إلى انجاحها في المجتمع الإسلامي[292]... "

"أول جذر من جذور هذه المؤامرة أعطي كمفهوم في السقيفة [يقصد اجتماع الصحابة في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم] حينما قال أحد المتكلمين فيها : من ينازعنا سلطان محمد. والسقيفة كانت بمظهرها اعترافا بوجود الأمة، لأن الأمة تريد أن تتشاور في أمر تعيين الحاكم بعد رسول الله (ص). ولكن المفهوم الذي أعطي في السقيفة، والذي كتب له أن ينجح يوم السقيفة ... كان بحد ذاته ينكر وجود الأمة. كان ينظر إلى النبوة على أنها سلطان قريش ... عمر بن الخطاب كان يعمق أيضا هذا المفهوم بشكل آخر[293] ". "إن الانحراف كان قد بدأ منذ خلافة أبي بكر ، لا الانحراف في تغيير شخص الحاكم، بل الانحراف في مضمون الحكم وسياسة الحكم. هذا الانحراف بدأ في أيام أبي بكر واشتد في أيام عمر، وانجلى في أيام عثمان بصورة غير إسلامية ... الانحراف بدأ في أيام ابن أبي قحافة وعمر، وكان انحرافا مستورا ، وكان عمر موفقا جدا في أن يلبس هذا الانحراف الثوب الديني المناسب[294]..." .

ومما أضافه السيد محمد باقر الصدر أيضا أن عليا رضي الله عنه فتح عينيه بعد إصابته في حادثة الاغتيال، وقبيل وفاته ، وشاهد بكاء ابنه الحسن، فـ " أراد أن ينبهه إلى أن الخط لا يزال باقيا ، وإلى أن التكليف لا يزال مستمرا، وأن نجاح المؤامرة لآ يعني أن نلقي السلاح. نعم، المؤامرة يا ولدي نجحت، ولهذا سوف تشردون وسوف تقتلون، ولكن هذا لا يعني أن المعركة انتهت. يجب أن تقاوم حتى تقتل مسموما، ويجب أن يقاوم أخوك حتى يقتل بالسيف شهيدا، ولا بد أن يستمر الخط حتى بعد أن سرق من الأمة وجودها، لأن محاولة استرجاع الوجود إذا بقيت في الأمة فسيبقى هناك ... ما يحصن الأمة ضد التمييع والذوبان. الأمة حين تتنازل عن هذه الإرادة لجبار من الجبابرة

---

291 ***المصدر نفسه*** ، ص 97 - 105 ؛ وانظرأيضا : "العلامة المحقق الشيخ جعفر السبحاني، ***عقيدة الإمامية في عدالة الصحابة والتقية*** (بيروت : دار الأضواء ، 1425هـ/2004م ، ص76- 80 ، والمؤلف من " مؤسسة الإمام الصادق" في مدينة قم ، إيران.

292 محمد باقر الصدر ، ***أهل البيت : تنوع أدوار ووحدة هدف*** (بيروت : دار التعارف للمطبوعات، 1426هـ/2005م)، 21 .

293 ***المصدر نفسه*** ، ص 27.

294 ***المصدر نفسه*** ، ص 99 – 101 .

حينئذ تكون عرضة للذوبان والتمييع في أتون فرعون من الفراعنة. لكن إذا بقي لدى الأمة محاولة استرجاع هذا الوجود باستمرار، هذه المحاولة التي يحاولها خط علي (ع) ومدرسة علي (ع)، والشهداء والصديقون من أبناء علي (ع) وشيعته .. إذا بقيت هذه المحاولة فسيبقى مع هذا أمل في أن تسترجع الأمة وجودها [295] ". ومضمون هذه الوصية يناقض ما نقلناه عن العكبري، الشيخ المفيد، في صفحة 77 ، حيث ذهب إلى أن الأئمة ألزموا بالتقية إلى أن يعود الغائب.

- وفي سـنة 2004م. شاهدت بنفسي برنامجا تلفازيا لقناة المنار الفضائية المعروفة، وكان من ضمنه تقديم شابين أفريقيين – من دول أفريقيا السوداء – يسرت لهما فرصة الدراسة في إحدى الكليات الشيعية في لبنان ، سالت مقدمة البرنامج أحدهما عن ***التـقـيـة*** وما تعلمه وفهمه عنها، وأن يعطي مثالا ضمن إجابته، فأجاب بكل براءة بما معناه وفحواه : "إن معنى التقية ومثالها أن لا نسب الصحابة أمام السنة أو بحضورهم."

- ومثال آخر أنقله عن شاهد عيان أعرفه تماما : بعد قيام الثورة الإيرانية احتفى الناشطون الإسلاميون السنة بها وانساقوا في ذلك في موجة عاطفية قوية، وقد حدث ذلك أيضا بين مجموعات الطلبة الدارسين في أوروبا الغربية. وكان من مظاهر ذلك أن صار الطلاب الإيرانيون الشيعة يلقون الترحيب في مساجد السنة، يأتون ويصلون فيها. وفي سنة 1981م اكتشفوا أن الطلاب الشيعة أحضروا كتبا شيعية موضوعها سب الصحابة، خاصة بالنسبة لأبي بكر وعمر، ووضعوها في المكتبة دون استئذان.

ويبدو أن الدافع لممارسة هذا النوع من النشاط يستهدف تحقيق غرضين :

(1) هدف عقيدي، وهو إعلان البراءة من أعداء علي رضي الله عنه ، حيث اعتبروا أبابكر وعمر وصحابة آخرين أعداء له ، وهذا متطلب شيعي إيماني

(2) إدخال الأشخاص السنة المستهدفين في دائرة الموالين لعلي بن أبي طالب بالمفهوم الشيعي للولاء ، وصرفهم عن الولاء لغيره من الصحابة أو الاحترام لهم.

ولنا عودة إلى هذا الموضوع في الفصل الأخير من هذا الكتاب إن شاء الله.

البـــداء : [بفتحة على حرف الباء]

عندما نتحدث عن البداء منسوبا إلى أي إنسان فإن المعنى ينصرف إلى أن هذا الانسان اعتقد اعتقادا، أو اتخذ قرارا أو موقفا، ثم بدا له سبب أو أسباب جديدة فيما بعد حملته على تغيير اعتقاده أو قراره وإحلال اعتقاد أو قرار آخر مكانه . فهل يجوز أن ننسب مثل هذا التصرف إلى الله سبحانه وتعالى ؟ ؟

وتحت عنوان : الأخبار الواردة في أنه لا تعيين لوقت خروج الإمام الغائب : يقول لنا شيخ الطائفة الإثني عشرية أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة 460هـ :

---

[295] ***المصدر نفسه*** ، ص 31 .

"وأما وقت خروجه عليه السلام فليس بمعلوم لنا على وجه التفصيل ، بل هو مغيب عنا إلى أن يأذن الله بالفرج. كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم [أنه قال:] لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحـد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا ." ويمضي شيخ الطائفة الطوسي فيقول :

"وأخبرني الحسين بن عبيدالله ... [عنعنة حتى وصل بالسند إلى محمد بن علي (الباقر) بسؤال] "سألت أبا جعفر عليه السلام : هل لهذا الأمر وقت ؟ فقال : كذب الوقاتون، كذب الوقاتون، كذب الوقاتون." وتكررت رواية "الحديث" بنفس المعنى خمس مرات.

وأضاف الطوسي : وأما ما روي من الأخبار التي تنافي ذلك في الظاهر، مثل ما روي عن ابي حمزة الثمالي قال :

"قلت لأبي جعفر عليه السلام : إن عليا عليه السلام كان يقول : "إلى السبعين بلاء. " وكان يقول : "بعد البلاء رخاء." وقد مضت السبعون ولم نر رخاء !

فقال أبو جعفر عليه السلام : يا ثابت، إن الله تعالى كان وقت هذا الأمر في السبعين [أي سنة سبعين للهجرة] ، فلما قتل الحسين اشتد غضب الله على أهل الأرض فأخره إلى أربعين ومائة سنـة ، فحدثناكم فأذعتم الحديث، وكشفتم قناع السر فأخره الله ولم يجعل له بعد ذلك عندنا وقتا ، ((يمـح الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.)) [الرعد : آية 39].

قال أبو حمـزة : وقلت ذلك لأبي عبدالله عليه السلام فقال : قد كان ذاك ." ونقل لنا الطوسي رواية أخرى يصل سندها إلى أبي عبدالله (جعفر الصادق) الذي نسب إليه : " كان هذا الأمر فأخره الله ، ويفعل بعد في ذريتي ما يشاء ."

ونسب إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام : "ما بعث الله نبيا إلا بتحريم الخمر، وأن يقر لله بالبـداء "إن الله يفعل ما يشاء."

"فأما من قال : بأن الله لا يعلم بشئ إلا بعد كونه فقد كفر وخرج عن التوحيد ."

وعلق شيخ الطائفة الطوسي :

" فالوجه في هذه الأخبار أن نقول : - إن صحت – إنه لا يمتنع أن يكون الله تعالى قد وقت الأمر في الأوقات التي ذكرت، فلما تجدد ما تجدد تغيرت المصلحة واقتضت تأخيره إلى وقت آخر ... وعلى هذا يتأول أيضا ما روي من أخبارنا المتضمنة للفظ البداء ويبين أن معناها النسخ على ما يريده جميع أهل العدل فيما يجوز فيه النسخ [296]... "

ونظرا لاختلاف الروايات الشيعية حول مسألة البداء آثرت الاكتفاء بهذه النصوص، دون الإكثار منها، ودون تدخل بالتعليق.

---

[296] جميع هذه الروايات التي نقلناها عن الطوسي تحت عنوان : البـداء ، وردت كلها في ***كتاب الغيبة*** للطوسي ، ص 425 – 430.

الـفـصـل الســـــادس

النصف الثانـي من القرن الـثـالث الهجري (247هـ - 300هـ)

إنفجار مدمر وعواصف هوجاء

مقدمة:

في الفصول الأربعة السابقة – الفصل الثاني إلى نهاية الخامس – سايرنا الروايات و"الأحاديث" المنسوبة إلى الأئمة، والتي تصور المعتقدات الإضافية التي تبناها إخواننا الشيعة، وتصور لنا بنيان الإمامة وأتباعها حتى بدا لنا مجسدا شامخا كأنه بنيان حقيقي قائم على الأرض وملموس لمس اليد ، له امتداداته المؤثرة في مختلف المجتمعات الإسلامية. وقد بدئ هذا البناء بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وانتهى إلى الإمام الغائب وبداية عصر الغيبة التي يتقابل حدوثها المفترض مع منتصف القرن الثالث الهجري، تقريبا. غير أن هذا البناء الإمامي السامق المتعالي كان شامخا في أجواء الروايات والأحاديث الإثني عشرية؛ أما في عالم الواقع الأرضي، حيث يعيش الناس ويسعون في مناكبها فقد كان الوضع مختلفا. علي رضي الله عنه كان مقتنعا بأنه أحق من جميع الصحابة بميراث النبوة، لكن الصحابة لم يعطوه ذلك الحق حتى مضت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، رضي الله عنهم، وإذ ذاك آلت الخلافة إليه. وقد مضت السنوات الخمس التي مارس فيها السلطة وهو يحاول تثبيت خلافته دون أن يتمكن من ذلك. وفي المرحلة الأخيرة انفض عنه أكثر شيعته، أي أنصاره، خاصة بعد حرب صفين، ثم تعرض للاغتيال. وآلت الخلافة إلى الحسن بن علي رضي الله عنه ، ولفترة ستة أشهر فقط، تنازل بعدها عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان. تلك كانت الفترة التي كانت فيها الخلافة والإمامة العلوية حية ظاهرة، بشكل فعلي ، خمس سنوات ونصف السنة. أما بعد ذلك فقد كانت الإمامة والأئمة صورة مفترضة في الروايات طوال العهدين الأموي والعباسي حتى سنة 247هـ. وقبل هذه السنة كانت السلطة الأموية، ثم العباسية سدا منيعا يحول دون ظهور أي زعيم علوي يمارس الزعامة ظاهرا من خلال حراك المجتمع من حوله؛ وخير ما يؤكد ذلك ما نسب إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام [الإمام الثامن في القائمة] : " ما منا أحد اختلفت الكتب إليه، وأشير إليه بالأصابع، وسئل عن المسائل، وحملت إليه الأموال، إلا اغتيل أو مات على فراشه [297]..." لكن القبضة الحديدية للسلطة العباسية أخذت تتراخى في عهد الخليفتين الواثق والمتوكل (227-247هـ)، حيث عرف عنهما الانغماس في المتع والملذات، وأهملا قيادة قواتهما العسكرية والإشراف عليها، وانتهـى الوضع بمصرع المتوكل على أيدي قادة جنده سنة 247هـ. **إنتهت المقدمة .**

---

[297] النعماني، *الغيبة*، ص 173.

حادثة قتل المتوكل هذه كانت بمثابة ***الإنفجار*** الذي قرع الأسماع في طول عالم الإسلام وعرضه، وكانت النتيجة الأبرز والأكثر وضوحا هي فقدان الخلفاء العباسيين لسلطاتهم وصيرورتهم لعبة بأيدي قادة الجند. بيد أن النتائج كانت أشمل , وأعمق إلى مدى كبير وغير محدود، فقد نتجت عن الانفجار سلسلة عواصف متتابعة استمرت تجلياتها تتردد عبر القرون التالية .

أهـم ظـواهـر الــتــغـيـيـر:

كانت أهم ظواهر التغيير التي أخذت ترعد كالعـواصف في تاريخ الدولة العباسية قبيل منتصف القرن الثالث الهجري وما بعده تتجسد في أربعة تغيرات رئيسية :

1) فقدان الخلفاء لسلطاتهم، وفقدان المنصب لأهميته ودوره في إدارة الدولة
2) إنطلاق حركة تفكك واسعة في البنية السياسية للدولة
3) انتشار وسيطرة شعور عام بانهيار البناء العباسي بكل جوانبه العقيدية والمذهبية والفكرية والاجتماعية ، بجانب الحالة السياسية، وإحساس عام بالضياع والتيه والحيرة والقلق على المستقبل بالنسبة للفرد والأسـرة والأمـة، وللحكام والمحكومين، دون استثناء علماء الدين،
4) إنفلات عملية هائلة ومتشعبة من التنافس والصراعات السياسية والمذهبية لحيازة ما يمكن من الغنائم من التركة ، ومما تبقى مما يمكن انتزاعه والاستئثار به والسيطرة عليه.

وسنقدم فيما يلي قليلا من الأمثلة نستعرض فيها – باختصار شديد -- بعض مشاهد هذه التطورات المحزنـة ، ضمن رحلة بصحبة القراء لنتعرف على الآثار التي تركتها هذه التطورات التي أشرنا إليها في النقاط الأربع. وأثناء هذا التجوال سيكون هدفنا الأهم هو اكتشاف أي وجود حقيقي وعملي للإمامة، وأي دور عملي لإخواننا الشيعة الإمامية الإثني عشرية بين القوى الناشطة في هذه الساحة الواسعة من أقصى مشرق العالم الإسلامي على تخوم الأراضي الصينية وامتدادا إلى شواطئ المحيط الأطلسي، أو بحر الظلمات، كما كان يسمى آنذاك.

فـقـدان الخلفاء لسـلطـاتهم:

في السنوات التسع التي تلت قتل المتوكل (247- 256هـ) وضع قادة الجند في منصب الخلافة خمسة من العباسيين: وهم : المنتصر، تولى لمدة ستة أشهر بعد مقتل أبيه ثم مات أو قتل سرا (247-248هـ)، وبعده المستعين ولاه العسكريون الأتراك ثم عزلوه، ثم خلعوه وولوا المعتز سنة 252هـ، و ما لبثوا أن قتلوا المستعين. ثم بويع المعتز سنة 252هـ ثم جروه برجله وأقاموه في الشمس وصاروا يلطمونه، ثم خلعوه وقتلوه. وبعد ذلك عينوا المهتدي سنة 255هـ وقتلوه سنة 256هـ بعد أحد عشر شهرا من توليه الخلافة ، حيث داسوا على خصيتيه حتى مات، وعينوا المعتمد بدلا منه. وهنا غرقت الخلافة في مواجهة صاحب الزنج، علي بن محمد، الذي أعلن انتسابه إلى البيت العلوي ، وأنه يقوم

بدور المنقذ [298] . وعندما مات الخليفة الملقب بالمعتمد سنة 279 تولى المعتضد[299] الخلافة ، وتولى بعد المعتضد ابنه علي، المكتفي سنة 289هـ حتى توفي وهو شاب صغير سنة 295هـ . ثم آلت الخلافة إلى طفل عمره 13 سنة، وهو المقتدر، وقد عزل مرتين، وقتل في الثالثة سنة 320هـ . وتولى بعد المقتدر أخوه الذي لقب بـ "القاهر" وكان سكيرا سفاكا للدماء دنيئا في كل سلوكه، سمل قادة الجند عينيه [300] سنة 322هـ فعاش بقية حياته أعمى، وتولى بعده الراضي حتى سنة 229هـ حيث توفي وحل محله المتقي الذي لم تكن في يده أية سلطة. وقد قبض عليه بعد ما يقرب من أربع سنوات وسملت عيناه سنة 333هـ بقرار اتخذه أمير الأمراء توزون، ليعين وينصب مكانه المستكفي في نفس السنة. وفي السنة التالية دخل معز الدولة بن بويه بغداد فاتحا، وحجر على الخليفة وجعل له راتبا مقداره خمسة آلاف درهم ، وبذلك بدأ عهد السيطرة البـويهية. وكان البويهيون شـــيعة، ينتمون إلى شـعب الـديلم، واسـتمرت سـيطرتهم على الخلافة، وعلى العراق وأراضي إيران الحالية حتى سنة 447 هـ . وعلى الرغم من انتمائهم إلى التشيع ، فإن كل ما في تاريخهم يدل على أنهم لم يكن لهم اهتمام بالقضايا الدينيـة ، ولم يمارسوا سلطاتهم وسياساتهم على أساس ديني.

وهنا يمكن أن يقال دون أي تردد إن الرقابة الصارمة التي فرضت على أفراد العشيرة العلوية منذ العهد الأموي واستمرت طوال العهد العباسي قد انقشعت بعد سنة 247هـ ، ثم حلت محل السلطة العباسية بدءا بسنة 334هـ سلطة البويهيين التي كانت صديقة للعشيرة العلوية ومتعاطفة معها، أو أنـها - على الأقل – لم تكن معادية لهم.

التفكك والتمزق السياسي والإقليمي :

كذلك شهد النصف الثاني من القرن الثالث تسارع وتيرة التفكك في بنية الدولة العباسية، وانفصال بعض الأقاليم عندما تصرف ولاتها مستقلين عن سلطة القوى المسيطرة على عاصمة الخلافة، وقيام بعض المغامرين الأفراد بالاستيلاء على أقاليم أخرى. وكان من أجرأ هذه المحاولات ما قام به علـي بن محمد، الملقب بصاحب الزنج ، ويعقوب بن الليث الصفار.

علي بن محمد ومغامرته :

قدم علي بن محمد إلى البحرين سنة 249هـ/863م، أي بعد مقتل المتوكل بسنتين ، وقد ادعى الانتساب إلى العلويين، وأخذ يدعو الناس لاتباعه. وفي ظل حالة الحيرة والفوضى والاضطراب واليأس لم يجد صعوبة في استقطاب أعداد كبيرة من الناس، فانضموا إليه ، فشعر بأن أمره بدأ يتجذر، فأخذ يجبي الخراج، واصطدم بالوالي العباسي ونشب القتال بين الجانبين ، وانقسم الناس بشأنه ، فنقل مركزه إلى الأحســاء، وســار معـه إليها جماعــة من

---

298 وهذا الادعاء موضع شك ، بيد أن احتمال صحته ليست مستبعدة بشكل مطلق , سنتاول مغامرته باختصار بعد قليل.

299 وهو ابن الموفق أخي الخليفة، وقد شارك أباه في قيادة المعارك ضد صاحب الزنج، وكان له دور بارز وحقيقي في القتال.

300 سـملوا عينيه بمعنى أنهم فقأوها عن طريق تسخي بعض عيدان الحديد لدرجة الاحمرار ثم إدخالها في عيني الضحية .

أصحابه ومؤيديه [301]. وقد نسبت المصادر إلى علي بن محمد أنه خادع الناس في نسبه، وغير وبدل مع انتقاله من مكان إلى آخر، وقد قيل أيضا إنه ادعى أنه صاحب كرامات، وأنه يتلقى الإلهام في تحركاته ؛ وكل ذلك غير مستبعد صدوره عنه وعن أمثاله من الطموحين والمغامرين ، بغض النظر عما إذا كان انتسابه للعلويين صحيحا أو غير ذلك.

لم يكن أفق طموح علي بن محمد محصورا في منطقة البحرين، ولم تثنه الهزيمة في البحرين سنة 254هـ عن البحث عن آفاق أوسع . وهكذا توجه إلى البصرة ثم انتقل إلى بغداد ليتعرف على حالة السلطة في دار الخلافة عن قرب، وقد أدرك ضعفها وعجزها، فحفزته هذه المعرفة على الانطلاق باندفاعة أقوى وطموح أوسع ، فعاد إلى البصرة ليبدأ فيها من جديد سنة 255هـ. وقد استغل الانقسامات والصراعات بين البصريين ، كما وظف بؤس وتعاسة الزنج المجلوبين من شرق أفريقيـة ليعملوا في مزارع كبار الملاك ولا ينالون إلا القليل. وقد حرضهم ومناهم فانضموا إليه بأعداد كبيرة. ثم إنه أحرز نجاحا آخر في التحالف مع بعض القبائل العربية، خاصة من بطون بني تميم، وجماعات من أهل البصرة، كل ذلك بجانب أتباعه الذين قدموا معه من البحرين. وقد وظف كل هذه القوى بمهارة لخدمة مشروعه، رغم ما بينها من اختلافات، واستولى على البصرة وأخذ يتوسع فيما حولها ، كما استولى على عبادان وواسط، وهزم الجيوش والحملات العسكرية العباسية، واستمرت اندفاعته دون ردع فعلي حتى سنة 258هـ . وفي جو الشعور بالعجز وتزايد الخطر أصاب الفزع الخليفة المعتمد، الذي كان منهمكا في اللذات كما أشرنا، فاستدعا أخاه طلحة سنة 257هـ وكلفه بإدارة شئون الخلافة، خاصة ما تعلق بالحرب ضد صاحب الزنج وما مثله من خطر جارف. وكان طلحة ، أبو أحمد [302]، رجل الموفق، غير أنه لم يتمكن من القضاء على الخطر إلا سنة 270هـ، وانتهت حركة صاحب الزنج وتم قتله في تلك السنة.

2) يحيى بن زيـــد بن عمـــر ، علوي **حسيني**:

وهو يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه)، ظهر دوره سنة 250هـ/864م . ولقد عزا المؤرخون بداية تحركه إلى معاناته من أزمــة مالية وتعرضه للإهانـــة فتحول إلى الثورة. لقد اتجه إلى الكوفـة ، معقل الولاء للعلويين منذ العهد الراشدي، واستقطب جمعا كبيرا من الأعراب، وضوت إليه جماعات من أهل الكوفة، فوصل خبره إلى أصحاب السلطان. لم يكن أمامه أي سبب أو دافع للتراجع، فاستولى على ما في بيت مال الكوفة ، وهزم قوة للسلطة اعترضته ، ثم خرج إلى سواد الكوفة، أي ظهيرها الريفي ومنطقتها، وانضمت إليه جماعة من العلويين الزيديين – وليس من الإثني عشرية الإمامية - وجماعات أخرى من الأعراب، وكثر جمعــه ، وتمددت منطقة سيطرته حتى وصلت إلى قرب واسط ، بل إن العامة في بغداد (الطبقة الشعبية) ، وهي الأكثرية العددية ، قد أيدته. بيد أن يحيى بن زيد بن عمر هذا لم يكن مؤهلا لقيادة الحركة التي بدأ بتـفعيلها، فلم تكن له خبرات أو قدرات قيادية عسكرية أو فكرية علمية أو اجتماعية، ولم تكن له من مكونات الجاذبية الشخصية (الكارزمية) أكثر من كونه علوي النسب ، كما لم يكن من بين أنصاره من يعوض شيئا من هذه النواقص، لا في الجانب العسكري ولا غيره. وهكذا حلت به

---

301 أبن الأثير ، ***الكامل في التاريخ*** ، مجلد 7 ، ص 205 – 207 ؛ الطبري، ***تاريخ الطبري*** ، مجلد 9 (القاهرة: - دار المعارف)، 410.

302 ويكنى أيضا بـ " الموفق ".

وبجمعه الهزيمة في أول مواجهــة مع عساكر السلطان، وقتل هو نفسه في المعركة في نفس السنة التي بدأ فيها تحركه [303] .

4) الحســن بن زيــد ، علوي زيدي حسني :

وهو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رحمـه اللــه ، بدأ ظهوره في شهر رمضان سنة 250هـ أيضا . لم يكن الحسن بن زيد هو صاحب المبادرة ، بل جاءت المبادرة من قبل أمراء وزعماء مناطق واسعة في الشرق الإسلامي، خراسان وطبرستان، ومدينة الري بالذات ، وكذلك من زعماء شعب الديلم في الشمال الغربي من إيران الحالية. لقد كانوا مستائين حانقين متذمرين من ظلم وفساد الولاة الذين عينهم أصحاب السلطان في بغداد، وقد استثيروا في تلك السنة بشكل خاص عندما تعرضوا لاضطهاد صارخ حمل زعماءهم على الاجتماع والتشاور والاتفاق على الثورة المسلحة وطرد الولاة الذين عينتهم بغداد. وعندما توصلوا إلى هذا القرار بحثوا عن شخصية سياسية قياديــة يمكن أن تحظى بالقبول العام، فاتجهوا إلى الحسن بن زيد، وعرضوا أن يبايعوه، فقبل بيعتهم وتحرك يقود ثورتهم. ثم زحف الحسن بن زيد على رأس قوات التحالف الذي بايعه وتمكن من الاستيلاء على مدينة آمـل بعد معركة قصيرة. وعلى أثر ذلك زادت أعداد المنضمين إليه ، وضوى "... إليه كل طالب نهب ... من الصعاليك والخوزية وغيرهم، وأقام في آمل أياما حتى جبى الخراج من أهلها ... ثم نهض بمن معه نحو سارية ..." فحققت قواته انتصارا آخر على القوات الموالية لسلطة بغداد، وبذلك تمهد له السبيل للاستيلاء على إقليم طبرستان كله. وواصل الحسن بن زيد رحلة الصعود السريع فوجه حملة للاستيلا على مدينة الري ، كبرى مدن خراسان ، وأوكل قيادتها إلى أحد أقاربه من العلويين الزيديين ، واسمه الحسن بن زيد أيضا، وتم له ذلك بعد صراعات طويلة ، وامتدت سيطرته وسلطته إلى حدود همدان ، القريبة من حدود شمال العراق الحالية . وفي آخر هذه السنة (250هـ) ظهر بالري أحمد بن عيسى بن علي بن حسين الصغير بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله، كما ظهر إدريس بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن موسى بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، فصلى أحمد بن عيسى بأهل الري صلاة العيد، ودعا للرضا من آل محمد ، وهو شــعار كانت ترفعه الحركة السرية المشتركة بين العلويين والعباسيين أيام سعيهم لإزاحة حكم بني أمية قبل مئـة وعشرين سنة من الأحداث التي نتناولها هنا. وظهور هاتين الشخصيتين من الفرعين الحسني والحسيني من أبناء علي بن أبي طالب يشير إلى أن العلويين رأوا في حركة الحسن بن زيد سنة 250هـ ما شجعهم ، أو شجع بعضهم – على الأقل - على الالتفاف حوله ومساندة حركته، ولكن لم يظهر أحد يمثل الإثني عشرية، لا من السلالة العلوية، ولا من الشـــيعة العاديين من غير العلويين. وقد استمر الحسن بن زيد ودولته العلوية الزيدية التي سيطرت على مساحات واسعة من الشرق الإسلامي، حتى ســنة 261هـ ، عندما اصطدم بمغامر أكثر منه قدرة حلت به الهزيمة الساحقة على باب سارية التي كان - الحسن بن زيد نفسه -- قد استولى عليها في بداية صعوده . وقد كتب يعقوب بن الليث الصفار إلى السلطان في بغداد أنه قتل من جيش الحسن بن زيد وحلفائه مقتلة عظيمة ، وأســر سبعين من العلويين. وهكذا نجد الحسن بن زيد ينسحب إلى المناطق الجبلية الوعرة سنة 261هـ ، تاركا طبرستان، وبذلك ذوت دولته وغابت من صفحات التاريخ تدريجيا

---

[303] الطبري ، مجلد 5 (طبعة بيروت)، ص 360 – 362 .

بعد إحدى عشــرة ســنة من بدايــة ظهورها. وفي ســنة 270هـ ، في رجب أو شــعبان منها توفي الحســن بن زيد نفسه [304].

5) الحسين بن محمد بن حمــزة : وهو علوي حسيني :

واسمه كما ورد كاملا في المصادر : الحسين بن محمد بن حمزة بن عبدالله بن الحسين بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله . ، خرج بالكوفة سنة 251هـ ، بمعنى أنه أعلن عدم اعترافه بالخليفة وبالسلطة القائمة وثورته ضدها. وكان قد خرج من الكوفة إلى سوادها (ريفها) ومعه ستمئة رجل. وجاءته القوات التي بعث بها المستعين فقضت على حركته في مهدها [305].

6) يــعــقــوب بن الليــث الــصــفــار :

يعقوب بن الليث لم يكن شيعيا ولا علويا ؛ كان مجرد مغامر كبير واسع الطموح، كبير القدرات والجرأة. وقد بدأ تحركه سنة 248هـ ، بعد سنة واحدة من حادثة قتل الخليفة المتوكل. وكان أول نشاط له سجلته وحفظته لنا كتب التاريخ أنه تحرك من سجستان (وكانت جزءا من أراضي أفغانستان الحالية) فوصل إلى هرات ، وهي الآن قرب الحدود الأيرانية على الجانب الأفغاني [306]. وفي سنة 255هـ زحف على كرمان (جنوب غرب إيران) وانتزعها من طوق المغلس ، بعد معركة حسمتها المناورات الحربية البارعة. وكان السلطان[307] قد ولى كليهما عليها، في آن واحد، بهدف ضرب أحدهما بالآخر. وبذلك صارت سجستان وكرمان ولاية ليعقوب، ليس عن اختيار الخلافة أو من يمثلها، ولكن نظرا لضعف الخلافة، وظهور صاحب الزنج وحركته، وضمن الظروف التي سادت بعد قتل المتوكل. وفي السنة نفسها زحف يعقوب بن الليث على إقليم فارس، وانتزعه من علي بن الحسين بن قريش الذي وقع في الأسر بعد معركة استخدم فيها يعقوب كل خبراته في قيادة المعارك. وفي محاولة مفضوحة لتسكين أصحاب السلطة في دار الخلافة بعث يعقوب هدية تتكون من دواب، وبزاة (صقور صيد)، ومسك، وذلك لإيصال رسالة خادعة بأنه مطيع وخاضع للسلطة المركزية [308]. وبعد سنتين نجد يعقوب بن الليث يتوجه إلى إقليم فارس, وذلك في وقت اشتد فيه خطر صاحب الزنج في جنوب العراق. ويبدو أن الخلافة أصابها الفزع من هذه الحركة التي كانت تهديدا واضحا لما تبقى لها، فبعثت إليه رسلا، من الخليفة المعتمد ومن الموفق كليهما، بخطابات تعلن توليته على بلخ وطخارستان إلى ما يلي ذلك من كرمان وسجستان والسند وغيرها، مع تخصيص الأموال اللازمة لذلك ، مع مبالغ سنوية؛ وهذا يعني الاعتراف بولايته على جميع الأقاليم الشرقية لأراضي الخلافة حتى حدود الصين، تقريبا . وقد قبل يعقوب هذا العطاء وانصرف . وبعد ذلك بعث أصناما (تماثيل أثرية) إلى دار الخلافة على سبيل الإهداء وإظهار الولاء، وقال إنه أخذها من كابل [309]. وبعد سنتين أخريين استولى على نيسابور، ثم بعث رسلا إلى "السلطان" في ذي القعدة سنة 259هـ يقول فيها

---

[304] ***المصدر نفســه*** ، ص 364 – 365 و 383 – 384 و 419 و 427 و 439 – 440 و 478 و 494 و 497 – 501 .

[305] ***المصدر نفسه*** ، ص 395 ؛ وبالنسبة لوفاة الحسن بن زيد ورد خبرها في ص 589 من نفس المصدر .

[306] ***المصدر نفسه*** ، ص 353.

[307] كلمة "السلطان" تعبير اصطلاحي استخدمه الطبري مدلوله الدقيق : " من بيدهم السلطة الفعلية " حتى لا ينسب الفعل إلى خليفة لا يملك من أمر نفسه شــيئا بله أن تكون بيده السلطة الأعلى وله الأمر المطاع في الدولة العباسية في تلك الفترة .

[308] ***المصدر نفسه*** ، ص 247 – 249 .

[309] ***المصدر نفسه*** ، ص 480 .

إن الشـــراة [310] ، والمخالفين غلبوا عليها، فهو لذلك خلصها من أيديهم وأعادها إلى سلطة الدولة [311] . وقد مر معنا فيما سبق أن يعقوب بن الليث ألحق هزيمة منكرة بالحسن بن زيد العلوي. وعاد يعقوب للظهور في أقليم فارس ثم في رامهرمز (261هـ - 262هـ) ، مقتربا من جنوب العراق، بينما كانت معارك القوات العباسية مع صاحب الزنج وأتباعه على أشدها، فحاولت الخلافة اتقاءه بالملاينة والـمبادرة الودية ، فأفرجت عن المحبوسين لديها من أتباعه ، فأرسل مبعوثين من عنده إلى السلطان، فجلس أبو أحمد ، الموفق طلحة بن المتوكل، لاستقبالهم، وأعلن أن أمير المؤمنين أمر بتولية يعقوب بن الليث خراسان وطبرستان وجرجان والري وفارس ، كما أمر بأن يتولى الشرطة بمدينة السلام (بغداد). وقد اشترطت الخلافة أن يسير يعقوب إلى باب السلطان، أي أن يحضر شخصيا ليتلقى كتاب التعيين وما يصاحبه من الإجراءات الرسمية من الخلع والأوسمة. وهنا لم يبق مجال للخداع، فلم يستجب يعقوب ، بل ارتحل من عسكر مكرم، وتقدم إلى مدينة واسط ، ثم زحف بقواته من واسط إلى دير العاقول، ومنها إلى حيث تتمركز قوات الخلافة في مواجهته. وكان الموفق ، أبو أحمد هو الذي قاد القوات العباسية، وأخذ موقعه في قلب قواته، فشن يعقوب هجوما كاسحا عصف بميمنة قوات الخلافة ، لكن الموفق نجح في الصمود، وفي لملمة ما تبعثر من جنوده، وشن هجوما مضادا هـدد تشكيلات يعقوب وقـواتــه، حتى لقد تمرد على يعقوب بعض أتباعه فـقاتلوه، وربما كان ذلك مســعى منهم للحصول على عفو من الخلافة . وعلى أثر هذا الانتصار المدوي أصدرت الخلافة "بيانا حكوميا" يلخص ما قام به يعقوب، وما اتهمته به، وقد نشــر الطبري نص ذلك البيان حرفيا ؛ وقد كان الطبري من سكان بغداد، معاصرا للحدث . ولم تطل حياة يعقوب بعد ذلك، إذ توفي سنة 265 هـ، فخلفه أخوه عمرو بن الليث، وتعاملت معه الخلافة باللين بعد أن أعلن طاعته، بينما كانت المعارك ضد صاحب الزنج وأتباعه ما زالت مستمرة [312].

الــحــركـــات الشـــيـعـــة

خــلافــات وصـراعــات مـبـكـرة :

كانت الكوفة القاعدة الأولى لمعاداة الحكم الأموي، كما كانت القاعدة الأساسية الموالية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنـه، ثم لابنه الحسن في خلافته القصيرة، وفيها ظهرت حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي. وبعد الانفجار الصاخب الذي أطلقه قتل الخليفة المتوكل سنة 247هـ أخذت التطورات تتوالي ، وكان من أبرز ظواهرها انطلاق الأنشطة السرية لجماعات شيعية سرية في جنوب العراق، تبين فيما بعد أن بعضها من الإسماعيلة، المنسوبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وبعضها من القرامطة المنسوبين إلى حمدان بن الأشعث الذي عرف بلقب القرماطي، أو القرمطي، وغير ذلك من التسميات، ولكن لم يظهر أي تحرك للإثني عشرية الذين نبحث عنهم من خلال هذه الجولة الواسعة. وما لبثت هذه المجموعات الشيعية السرية أن أزاحت الأقنعة وظهرت في العلن. وقد اســترعى وجودها العلني انتباه المؤرخين خلال احتدام المعارك بين الجيوش العباسـية وقوات صاحب الزنج.

---

310 **"الشـراة"** تعني **الخوارج** في مصطلح ذلك العصر ، وأصلها اللغوي واستعمالها عند الخوارج انفسهم : الأشخاص الذين باعوا أنفسهم لله للدفاع عن دينه وشريعته .

311 الطبري، ***تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)***، مجلد 5 ، (طبع بيروت) ، ص 497- 498 .

312 ***المصدر نفسه*** ، ص 504 – 523 .

وقد نقل عن زعيم القرامطة، حمدان بن الأشعث أنه اتصل بزعيم حركة الزنج بغية التحالف معه ، لكن المحاولة أخفقت بسبب تعارض أهداف الرجلين. وقد أوردت بعض المصادر نصا لكتاب قيل إن داعية القرامطة قد جاء به، وكان مما ورد فيه : شهادات " بأن لا إله إلا الله، وأن آدم ونوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد [عليهم الصلاة والسلام] كل منهم رسول الله ؛ غير أن النص لم يقف عند هذا الحد ، بل تجاوزه بإضافة : "أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله [313] ." ويلاحظ على هذا النص أنه لم يتضمن اسم إسماعيل بن جعفر الصادق، ولا اسم ابنه محمد بن إسماعيل بن جعفر، مما يعني أن حركته لم تكن جزءا من الحركة الإسماعيلية [314]، ولا من الإمامية الإثني عشرية. وهذا الافتراض يفتح احتمالا بأن الحركة كانت من أتباع الجماعات الشيعية الباطنية الحنفية التي جعلت اسم محمد بن الحنفية (محمد بن علي بن أبي طالب) شعارا لها. ولقد أورد المقريزي روايات عما نسب إلى قرامطة جنوب العراق من ممارسات غير أن مضمون تلك الروايات لا يبدو مقنعا، وقد ناقشت ذلك في كتاب سابق صدر لي عام 2001م. [315]

تعدد الـحركات الشيعية في مرحلة التكوين :

ويظهر أن حركات شيعية متعددة كانت في طور التكوين في القرن الثالث الهجري وما بعده ، وقد تسابقت وتنازعت بغية الاستئثار بأكبر عدد من الأتباع والأنصار، ولم يكن لأي منها فكر واضح متكامل ومستقر في تلك المرحلة المبكرة، وما وصل إلينا من نصوص أو شعارات نسبت إليها يبدو ضبابيا يفتقر إلى الوضوح ، مما يحمل على الترجيح بأنها مثلت بدايات لمحاولات فردية متعددة من جانب المتسابقين بغية بناء كتلة وقاعدة تبدأ في التحرك عندما تواتيها الفرصة. ولقد قيل – فيما بعد - إن تعدد الفرق الشيعية من الغلاة زاد عن مـئـــة فرقة لا تدخل فيها فرقتا الزيدية والإثني عشرية [316] . وكان من الفرق التي ذكرها أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، الملقب بشـيخ الطائفة، والمتوفى سنة 460هـ : الناووســية، والفطحية ، والواقفة ، والمحمدية ، والكيسانية ، وغيرها [317] ، وكل ذلك كان في مرحلة التشتت والتنافس المبكرة، بعد مصرع المتوكل .

صـراعـات مـبـكـرة مـضـمـخـة بـالـدمـاء :

وفي جنوب العراق كان حمدان بن الأشعث – الذي أشرنا إليه قبل قليل - يراسل الإمام الشيعي الذي كان يفترض أنه يقيم في سلمية بالقرب من حماه في شمال سوريا. وبعد أن وصلت أخبار بأن إمام سلمية قد مات وخلفه ابنه في منصبه. ولما كاتب الإبن حمدان لاحظ هذا شيئا من التغيير في أسلوب المخاطبة عما اعتاد أن يقرأه في الرسائل التي كانت ترده من قبل، الأمر بعث الارتياب في نفسه، سيما وهو يعرف أنه كان من الوسائل التي اتبعت للتخفي من متابعة السلطات الحاكمة أن يسمى أربعة أشخاص – كل منهم على حدة – بأنه زعيم الحركة السرية ، الإمام ، أو الحجة، أو غير ذلك من الاصطلاحات، وأن سرقة مركز الزعيم والقائد أو الإمام - في مثل تلك الظروف - تبدو عملية سهلة

---

313 الطبري ، ***تاريخ الطبري***، أو ***تاريخ الرسل والملوك*** (القاهرة : دار المعارف بمصر، 1966)، مجلد 10 ، ص 25- 26 ؛ المقريزي، ***إتعاظ الحنفا بأخبار الأيمة الفاطميين الخلفا*** ، مجلد 1 ، ص 153 – 154 . وقد كان الطبري معاصرا للأحداث ويعيش في بغداد.

314 وربما تكون الحركة الإسماعليلية قد ظهرت بعد ذلك بقليل ، أو لعلها كانت في طور التكوين.

315 عبدالله أبو عزة ، ***الخليج العربي في العصر الإسـلامي، دراسـة تاريخيـة وحضارية*** (الكويت – دبي : مكتبة الفلاح، 2001)، ص142 - 144.

316 محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، ***أصل الشيعة وأصولها*** ، ص 119 .

317 محمد بن الحسن الطوسي، ***كتاب الغيبة*** ، ص 18و21و23و81 و 192 و 195- 198 .

جدا، ويصعب اكتشافها أو إثباتها لمن يعنيهم الأمر من الأتباع. وحيث ازداد ارتيابه وراودته الشكوك فقد كلف عبدان بن الربيط – الذي كان كبير الدعاة - كلفه بالسفر إلى الشام للتعرف على حقيقة الوضع. وفي سلمية عرف عبدان أن الشخص الذي كان يراسلهم قد توفي ، ولذا فقد سأل عبدان ابنه عن الحجة وعن الإمام الذي يدعو إليه ، فأجاب الإبن : لم يكن إمام غير أبي ، وأنا أقوم مقامه. وعندما عاد عبدان إلى الكوفة وأخبر حمدان بما رأى وسمع قرر حمدان قطع الاتصال بإمام سلمية الجديد . بيد أن بعض الدعاة في مناطق أخرى استمروا في ولائهم لإمام سلمية، وكان منهم داعي الطالقان. وقد جاء داعي الطالقان إلى الكوفة وقابل عبدان لكن هذا بين له ألا تراجع عن قطع العلاقة بسلمية. ولم يقتنع داعي الطالقان، فترك عبدان واتجه إلى زكرويه بن مهرويه ، وهو واحد من الدعاة الآخرين ؛ وبعد حوار وتشاور بين الرجلين اتفقا على التخلص من عبدان بالقتل لكي تعود المياه إلى مجاريها، لأن عبدان كان أشهر وأقدر الدعاة ، وهو الذي عين دعاة النواحي، وكان أكثرهم موالين له. وهكذا تم قتل عبدان سنة 286هـ/899م. وبمجرد أن شاع نبأ مقتل عبدان نشط أتباعه من الدعاة يطاردون زكرويه بن مهرويه للانتقام منه، بيد أنه تمكن من الهرب والاختباء إلى أن خفتت المطاردة بعد سنتين [318] وما لبث حمدان نفسه أن اختفى، سواء بالاغتيال أو الوفاة ، فخلا الجو لزكرويه وأتباعه .

الحركة القرمطيــة بقيادة زكـرويــه :

وعندما وجد زكرويه نفسه في مركز القيادة قرر العمل على جبهتين في آن واحد، أولها جبهة الكوفة وسوادها، أي المناطق التابعة لها، وثانيهما بادية السماوة الصحراوية – بين العراق وبلاد الشام – توطئة للتوسع. وهكذا تمكن من مد نشاطه إلى كافة المناطق الشامية . وعندما قوبلت تحركاته وأتباعه وهجماتهم في منطقة الكوفة بصلابة موقف الخلافة العباسية (فترة خلافة المعتضد وابنه المكتفي 279-295هـ)، حول تركيز نشاطه إلى بلاد الشام دون غيرها في تلك المرحلة، نظرا لبعدها النسبي عن مركز الخلافة. وقد اعتمد بشكل كبير على ولديه يحيى وحسين اللذين نجحا في استغواء كثيرين من أعراب قبيلة بني كلب التي كانت تقطن بادية الســماوة، وهي من أكبر القبائل العربية وأوسعها انتشــارا. وكانت أولى مفاجآت زكرويه أنه تمكن من فرض الحصار على مدينة دمشق حتى لقد وصلت حاميتها والمدافعين عنها إلى حافة الانهيار. غير أن نجدة جاءت من مصر وأوقعت الهزيمة بالقرامطة وقتلت قائدهم يحيى بن زكرويه الذي لقبه أتباعه بلقب "الشيخ". بيد أن القرامطة تمكنوا من لملمة ما تبعثر وتبقى من قوتهم بعدما تولى حسين بن زكرويه القيادة بدل أخيه يحيى ، وسمى نفسه ***المهدي أمير المؤمنين***، وتلقب أيضا بصاحب الشامة، واستأنف الغارات على المدن الشامية، ولم يلبث غير قليل حتى تمكن من الاستيلاء على حمص وحماه وبعلبك ومعرة النعمان، وقتل أعدادا كبيرة من أهاليها، ثم زحف على ســلمية فقاومه أهلها ، فأعطاهم الأمان حتى فتحوا لـه الأبواب ، ولم يكد يدخلها بقواته حتى تجاهل الأمان الذي أصدره، وانهمك رجاله في حملة إبادة شاملة بدأها بالعلويين فلم يبق منهم أحدا. وتضيف المصادر أنه قتل الصبيان في المكاتب [أي الكتاتيب]، ثم خرج منها وليس بها عين تطرف [319]."

---

318 المقريزي ، ***إتعاظ الحنفا بأخبار الأيمة الفاطميين الخلفا*** ، المجلد الأول ، ص 167- 169 ؛ وقارن مع ما كتبه الدكتور مصطفى غالب، وهو داعية إسماعيلي حديث، في كتابه ***القرامطة بين المد والجزر*** ، 197 – 301 و 319 – 326 .

319 عز الدين علي بن الأثير ، ***الكامل في التاريخ*** ، مجلد 7 ، ص 523 – 524 ؛ وقارن مع د. مصطفى غالب، ***القرامطة بين المد والجزر***، ص 374 ، الذي أكد نفس المعلومات بالنسبة لما جرى في سلمية. وسلمية ما زالت أهم مراكز الإسماعيلية في عصرنا، وأعتقد ، إن لم

ويخرج بنا عن موضوعنا أن نواصل تتبع مراحل الصراع في تلك الفترة ، ولذا فإننا نقتصر على القول بأن الخليفة المكتفي لم يتضعضع، وواصل إرسال القوات وقاد بعضها بنفسه ، وقاد بعضها الآخر وزير الحربية (كاتب الجيش)، محمد بن سليمان، إلى أن تم القضاء على قوة زكرويه وأبنائه والموالين لهم في بلاد الشام سنة 294هـ/906م، كما تم أسر قادتهم وسيقوا مكبلين إلى بغداد. وبعد هذه الهزيمة الساحقة اضطر زكرويه إلى تحويل نشاطه إلى مهاجمة قوافل الحاج في صحراء شبه الجزيرة العربية. غير أن القوات العباسية تابعتهم في تلك الميادين أيضا حتى تم القضاء عليهم وقتل زكرويه بن مهرويه نفسه في آخر المعارك الضارية، وانطوت تلك الصفحة من تاريخ القرامطة .

الكوفة تنشر دعاة التشيع :

في أوائل سنة 268هـ أرسل شيعة الكوفة – من أتباع الفرقة الإسماعيلية - داعية إلى اليمن هو أبو القاسم، الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي، الذي صار يلقب فيما بعد بـ "منصور اليمن". وقد صاحبه في رحلته إلى اليمن أبو الحسن علي بن الفضل، وهو يماني من جيشان، جاء لأداء فريضة الحج سنة 260هـ ، وجرى الربط بينه وبين ابن حوشب ليتعاونا في نشر الدعوة الإسماعيلية في اليمن [320]. وبعد أن وصلا اليمن سنة 268هـ نشطا في تحركهما الدعوي سريا، وظلت الدعوة سرية طوال سنتين ثم أماطت الستار عن تحركاتها، ونجحت في السيطرة على البلاد، وأرسل ابن حوشب الدعاة إلى مختلف نواحي اليمن ، كما أرسل دعاة إلى البحرين واليمامة والهند ومصر والمغرب، وجهات أخرى كثيرة. وقد استطاع أن يتغلب على حركة الانشقاق التي قام بها علي بن الفضل وقضى عليها، وعلى علي بن الفضل نفسه .

ومن الكوفة أيضا خرج إلى اليمن أبو عبدالله الشيعي، وهو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، مبعوثا إلى أبي القاسم بن حوشب، توطئة لإرساله إلى المغرب. وقد توجه إلى مكة أولا، ثم صاحب إحدى قوافل الحج اليمانية العائدة إلى اليمن، وظل عند أبي القاسم بن حوشب حتى موسم الحج التالي فتوجه إلى مكة مع الحجيج في مسعى للوصول إلى المغرب بصحبة الحجاج المغاربة. وفي الحج التقى بجماعة من المغاربة، كثيرون منهم من قبيلة كتامة الأمازيغية. وقد نجح في كسب ثقتهم فسافر بصحبتهم إلى بلادهم دون أن يظهر نيته وقصده. وكان وصوله إلى بلاد كتامة سنة 280هـ. ويخرج بنا عن موضوعنا أن نتتبع تفاصيل تحركاته ، ويكفينا القول بأنه نجح في إحكام سيطرته على بلاد المغرب، وقضى على مملكة بني الأغلب ، ومهد السبيل لقدوم "المهدي"، إمام الشيعة الإسماعيلية [321]. وكان من الأعمال التمهيدية التي ساعدت على قيام أول إمام شيعي فاطمي في المغرب إعلان ونشر أحاديث منسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثل : "... إن للمهدي هجرة تنبو عن الأوطان في زمان محنة وافتتان، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان، قوم مشتق اسمهم من الكتمان." وتكملة للخطاب الدعوي يقول لهم أبو عبدالله الشيعي : " فأنتم هم، كتامة، وبخروجكم من هذا الفج سمي فج الأخيار [322]. وبجانب ذلك ظهرت قصائد تنحو نفس المنحى، وكان مما نشر وتداولته الألسن في صورة مخاطبة لملك بني الأغلب الذي كان مقر حكمه مدينة القيروان :

تخني الذاكرة، أن الدكتور مصطفى غالب من أهل سلمية ، وقد توفي حوالي سنة 1976 .

320 القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي ، ***إفتتاح الدعوة*** (بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1426-2005)، ص 6 – 13 . وقد كان أبو حنيفة هذا لصيقا بالخليفة الفاطمي معد، الملقب بـ المعز لدين الله، وممن اعتمد عليهم في دعوته ودعايته.

321 ***المصدر نفسه*** ، ص 29 – 97 .

322 ***المصدر نفسه*** ، ص 36 – 45 .

"ألا يا أمــين الله وابن أميـنـه   وعاشر سادات الملوك الأغالــب [323]

وجـدت كـتابا قـد تـقادم عهده   روايــة أشــياخ كــرام مــناســب

روايـة وهب عن سطيح ودنيل[324]   مشايخ عـلم صادق غـير كاذب

تتابع رايات من الشرق سبعــة   إلى الغرب سود خافقات الذوائب

. . .

ولاة بني العباس عشرون واليا   تدين لهم بالرغم أرض المـغارب

وفي الست والتسعين تهبط راية   من الغرب في جمع كثيف المواكب

يمزق أرض البربرية جمعـهم   بخيل كأمثال القطا المتســـارب

وتطلع شمس الله من غرب أرضه   فلا توبة ترجى هنـاك لـتــائـب

ويظـهر من أبناء فاطمة امـرؤ   تقي نقي العرض جـم الـمـواهـب

سمي نبي الله وابن صـفيــه   وأكرم مولود وأشـــرف طالـب

فيملأ أرض الله عدلا ورحمة[325]   لأيام صدق طيبات المكاســب"

ومن قصيدة أخرى مما جرى تداولـــه من شعر دعائي :

"إستمع الحق ودع عنك اللعب   وهاك قولا صادقا غير كذب

إذا أرى الكوكب تطويل الذنب   فذاك حدث ظاهر قد اقترب

في الست والتسعين يأتيك العجب   بعد كمال المائتين في رجب

. . .

تنقلب الدولة فيما تنقلب   مهدية في نص أســفار الكتب

عن دانيال وســـطيح في العــرب [326] "

المهدي وإقامة الدولة الفاطميـــة :

---

[323] كان إبراهيم بن الأغلب بن عقال التميمي أول وال من الأغالبة عينه هارون الرشيد لولاية أفريقيا سنة 186هـ ، وتوارث منصب الولاية اولاده وأحفاده من بعده. فلما ضعفت الدولة العباسية وذهبت سلطة خلفائها استقل الأغالبة وصاروا ملوكا في مركز الولاية، مدينة القيروان التي بناها عقبة بن نافع.

[324] الإشارة هنا إلى وهب بن منبه الذي شاع عنه علم الغيب ومعرفة الكتب الإسرائيلية القديمة، ثم إلى دانيال ، وكتاب دانيال الذي يوصف بأنه كتاب أخبار المستقبل إلى يوم القيامة ، مثل كتاب الجـفر الذي نسب امتلاكه لجعفر الصادق .

[325] إذن ، مهدي الفاطميين أيضا يدعى له أنه يملأ الأرض عدلا ورحمة كما ملئت ظلما وجورا ، وليس فقط مهدي الإثني عشــرية .

[326] ***المصدر نفســه*** ، ص 45 – 48 و 50 . وواضح هنا استعمال أسماء الكتب التي اعتبرت مخزن علم الغيب بالأحداث المقبلة حتى يوم القيامة ، وذلك كان من الاعتقادات الشائعة والعميقة في الثقافــة الشعبية في مشرق أرض الإسلام ومغربها.

ويخرج المهدي [327] من موضع لا نعرفه، ولا تخبرنا به المصادر – ربما كان في سوريا – فمر بمصر، ثم طرابلس الغرب، ومضى إلى أن وصل إلى إلى وجهته، حيث يستقبله أبو عبدالله الشيعي، ويعلنه أنه المهدي الذي كانوا ينتظرونه. وتطول قصة المهدي وتأسيس الدولة الفاطمية، وكل ذلك خارج موضوعنا، لكن يهمنا أن نعرف ويعرف القارئ أن من أول ما فعله المهدي – بعد تسلمه السلطة الحقيقية وسيطرته على أدوات القوة – أنه قتل أبا عبدالله الشيعي، وقتل معه أخاه . وأبو عبدالله هو الذي امضى حياته يحضر ويبني حتى يصل المهدي وتقام دولته التي "تملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا"، ثم لقي هذا الجزاء.

ومهدي آخر في البحرين:

البحرين في ذلك الزمان كانت تشمل المنطقة الشرقية من المملكة السعودية الآن امتدادا من قطر إلى سفوان (أو صفوان) الواقعة على الحدود العراقية الكويتية، كما كانت تشمل مجموعة الجزر التي تتشكل منها مملكة البحرين الحالية، وكان مركزها الأحساء ، أو هجر، كما كانت تسمى أيضا، ومن بلداتها المشهورة القطيف. وفي سنة 281هـ/894م وصل إلى البحرين – من اليمن - رجل يدعى يحيى بن المهدي، وقصد القطيف وأعلن أنه رسول المهدي ، وقرأ على الشيعة كتابا كان يحمله، فاستجاب له الناس. وعلى أثر ذلك أخذ يوجه مبعوثيه إلى سائر قرى البحرين [328]. وقبل أن يمضي وقت طويل وصل إلى البحرين أيضا الحسن بن بهرام الجنابي، الملقب بأبي سعيد ، إذ قدم مبعوثا من الكوفة [329]، وأغرى الأعراب وجند جماعات منهم، ونجح في استقطاب الشيعة ، وقتل يحيى بن المهدي، ويعرف أيضا بيحيى الطمامي، واستولى على القطيف ، وقتل كل من قاومه [330]. فلما استقرت سلطته بدأ حربه ضد الخلافة العباسية، وتمكن من إلحاق هزيمة كبيرة بجيش عباسي جنوب البصرة، وأسر قائده العباس بن عمرو الغنوي، في صيف سنة 287هـ/900م ، وهكذا قامت دولة قرامطة البحرين . ولما قتل أبو سعيد الجنابي غيلة سنة 301هـ/ 913م تتابع أولاده في الحكم من بعده . وبعد سنوات رفعت شخصية أبي سعيد إلى مستوى القداسة، وصار هو ***المهدي المنتظرة عودته بالنسبة للقرامطة***، حيث أبقى أبناؤه وأتباعه حصانا مسرجا عند قبره جاهزا للركوب ليمتطيه عند عودته. وكان الحصان يبدل في فترات محددة ليلا ونهارا حتى لا يبقى المكان من غير حصان جاهز [331]. وقد استمرت دولة القرامطة لاعبا رئيسيا في منطقة المشرق العربي كله حتى انهيارها وزوالها سنة 470هـ/1078م ، أي أن حياتها استمرت مئتي سنة تقريبا. وتتبع تاريخ القرامطة هنا يخرج بنا عن موضوعنا [332].

---

[327] **المهدي** لقب للإمام الغائب الإثني عشري ، لكن فرقا شيعية أخرى استخدمت لزعيمها **لقب المهدي** في مرحلة السرية، ومنهم مهدي المغرب هذا ، وعندما قامت دولة قرامطة البحرين كان لها **مهديها** الخاص ، وهناك غير هؤلاء ممن تسلحوا بلقب **المهدي** ، حتي في السودان.

[328] ثابت بن سنان بن قـرة ، ***تاريخ أخبار القرامطة*** ، نشره الدكتور سهيل زكار ضمن كتاب ***أخبار القرامطة*** (دمشق : دارس حسان للطباعة والنشر، الطبعة الثانية 1982) ، ص – 12 – 13 .

[329] رواية ثابت بن سنان تقول إن أبا سعيد، الحسن بن بهرام الجنابي، كان في البحرين عند مجئ يحيى بن المهدي، وأنه كان يبيع الفراء، وقد استجاب لدعوة يحي بن المهدي ثم اختلف معه وقتله وسيطر على الدعوة . وقد استبعدت صحة هذه الرواية ، إذ أنها لا تتفق مع تتابع أحداث الصراع الداخلي بين الحركات الشيعية الباطنية كما رأينا من قتل عبدان ، ثم تصفية حمدان، وإبادة الهاشمين في سلمية، وانشقاق علي بن الفضل في اليمن ثم القضاء عليه، وإقدام المهدي الفاطمي – بعد وصوله المغرب – على قتل أبي عبدالله الشيعي الذي مهد له الأمور وأزال كل العقبات حتى جاء إلى المغرب وتسلمها منه بعد أن كان خائفا يترقب عندما وصلها، فلم يلبث إلا قليلا حتى قتله.

[330] أنظر القاضي عبدالجبار الهمذاني ، ***تثبيت دلائل النبوة*** ، مجلد 2 ، ص 378 – 379 ؛ وانظر عبدالله أبو عزة ، ***الخليج العربي في العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وحضارية*** ، ص 204 – 206 .

[331] ناصر خسرو ، ***سفر نامه*** ، ترجمة يحيى الخشاب ، ص 142- 143 ؛ أبو العلاء المعري ، ***رسالة الغفران*** ، ص 303 – 304 .

[332] لقد تتبعت تاريخ دولة قرامطة البحرين بشئ من التفصيل في أكثر من مئة صفحة ضمن كتابي : ***الخليج العربي في العصر الإسلامي*** ..

إستنتاجات وتســـــاؤلات :

لم نستهدف بحديثنا عن التطورات التي شهدها النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وما بعده تقديم معلومات تاريخية موجزة بل كان غرضنا أن ندقق النظر، نعرف ما حدث ، نعرف ما كان يظن أنه سـيحدث ، لكنه لم يحدث ، لماذا ؟ لـماذا لم يظهر للإثني عشرية أي تحرك ؟

لقد ذكر لنا شيخ الطائفة الطوسي ، المتوفى سنة 460 هـ ، أن الإمام الغائب كان له سفراء يتصل الناس بهم، وينقلون له استفتاءات الشيعة ، وأورد نصوصا زعم أنها من توقيعاته وردوده على الاستفتاءات، وأن من السفراء أشخاصا محمودين، وأناسا مذمومين، وشغلت رواياته هذه صفحات كثيرة من كتابه[333] . وكان من أمثلة الاستفتاءات التي وجهت "للإمام الغائب" : أن رجلا كان يؤم الناس في الصلاة وحدثت عليه حادثـة ، كيف يعمل من خلفه ؟ فقال : يؤخر ويقدم بعضهم ويتم صلاتهم ..."، وفي استفتاء آخر سئل عجل الله فرجه: "... عن المرأة يموت زوجها هل يجوز أن تخرج في جنازته أم لا ؟ التوقيع : تخرج في جنازته. وهل يجوز لها وهي في عدتها أن تزور قبر زوجها أم لا ؟ التوقيع: تزور قبر زوجها ولا تبيت [بعيدة] عن بيتها [334] ." وقد رويت استفتاءات كثيرة من هذا القبيل في أمور عادية جدا وصغيرة. وغير خاف أن هذه الحكايات مجرد ادعاءات قصد بها إقناع الناس بوجود الإمام الغائب، ثم إثبات وجود الإماميــة ، وهي ادعاءات لا تشكل أي إثبات.

ولقد كان مما لفت نظري وأنا أقارن بين ***كتاب الغيبة*** الذي ألفه النعماني، المتوفي سنة 360هـ، وبين ***كتاب الغيبة*** الذي الفه شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة 460هـ أن أجد نموا كبيرا في حجم "الأحاديث" والروايات التي قدمها لنا الطوسي بالمقارنة بـ "الأحاديث" والروايات التي قدمها لنا محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب، النعماني الذي عاش وتوفي قبله – قبل الطوسي- بمئـة سنة. وقد كان النعماني معاصرا لمحمد بن يعقوب الكليني ومن تلامذته، ونقل كثيرا من رواياته عنه مباشرة.

وإذا كنا في موقع المقارنة، بين الشيعة الإمامية الإثني عشرية وغيرهم، فقد وجدنا أن دعاة الإسماعيليين أقاموا الدولة الفاطمية سنة 296هـ، وما لبثت أن مدت سيطرتها إلى مصر وجعلت القاهرة قاعدتها وعاصمتها سنة 338هـ ، وفي السنة التالية ضمت سوريا تحت عباءتها. كلك أنشأ الإسماعيليون دولة في اليمن. وقد ظلت الدولة الفاطمية قائمة حتى سنة 567هـ. أما القرامطة فقد غطى نشاطهم العسكري ما بين عمان الواقعة على بحر العرب والمحيط الهندي من ناحية، وصعيد مصر من ناحية أخرى، حيث غزوا مصر مرتين على الأقل، وحاصروا القاهرة بينما كانت الدولة الفاطمية في ذروة قوتها تحت حكم المـعز وقائد جيوشه جوهر الصقلي. أما البويهيون الديلم الذين بدؤوا مرتزقة ثم عملوا لأنفسهم فأقاموا دولة، ثم اتسعت سيطرتهم فصارت لهم ثلاث ممالك، ضمت إيران والعراق وبلاد الجبال – منطقة شمال العراق وشمال إيران- وكانوا يتمذهبون بالتشيع ، وقد وضعوا الخلافة العباسية تحت سيطرتهم، واستمروا أكثر من مئـة سنة (334هـ - 447هـ). كما تمكن

دراســـة تاريخيـــة وحضاريـــة الصادر سنة 2001م ، ص 204 – 313 ، من بدء قيامها إلى سقوطها واندثارها.

333 الطوسي، ***كتاب الغـــيــبـــة*** ، ص 345 - 417..

334 ***المصدر نفسه*** ، ص 375- 376 ، ومعنى **"حدثت عليه حادثة"** أن يكون وقعت عليه نجاسة افقدته أحد شروط الطهارة لأداء الصلاة.

بنو مزيد، وهم فرع من قبيلة بين أسد المضرية النجدية، من إقامة إمارة لهم في العرق، وبنوا مدينة الحلة فجعلوها عاصمة لها، وصاروا قوة إقليمية يحسب حسابها، حيث تحالفوا مع سلاطين السلاجقة أحيانا، وحاربوهم أحيانا أخرى، كما تصاهروا معهم. كذلك تذبذب موقفهم مع الخلافة العباسية التي استعادت بعض هيبتها بعد ضعف السلاجقة، وصار الخلفاء يحكمون العراق فعلا، بجانب ما كان لهم من المكانة الدينية، وذلك في المئة سنة الأخير من عمر الخلافة العباسية، وهي التي سميتها فترة صحوة الموت . وفي هذه الفترة حالفهم المزيديون أحيانا وخالفوهم أحيانا أخرى. وغير هؤلاء وأولئك ظهر العقيليون وأقاموا لهم دولة في شمال العراق، كما ظهر بنو تغلب، فصارت لهم دولة في الموصل، وانضافت إليها دولة كانت قاعدتها وعاصمتها مدينة حلب. ولقد كان البويهيون والمزيديون والتغلبيون والعقيليون يعدون من الشيعة، لكنهم لم يكن لهم اهتمام بالقضية الدينية ؛ كان كل همهم الحكم والسلطان والمال. وعندما وجدوا الخلافة العباسية خاضعة لبني بويه ثم للسلاجقة – السلاجقة كانوا سنيين على المذهب الحنفي – فقد استنكفوا عن أن يكون ولاؤهم للعباسيين الضعاف الأذلاء.

وعندما رجعنا من رحلتنا التي استهدفت البحث عن الإثني عشرية دون أن نجدهم، وقارنا وضعهم بهذه الجماعات والقوى الشيعية الأخرى التي ، كان تشيع أكثرها إسميا وسياسيا، عجبنا من التناقض بين ما صورته لنا الأحاديث والروايات الإثني عشرية ، وبين حقيقة هذه الطائفة التي عرفت نفسها باسم الإمامية ، الإثني عشرية، وضخمت من حجمها ومكانتها وارتفاعها وعمقها بشكل خيالي، ثم تبين لنا أنها ليست أكثر من عدد محدود من المشايخ المنظرين، المنشغلين بتكديس الأحاديث المنسوبة للأئمة. وكان منهم كثيرون ممن جعلوا همهم الأول أموال الزكوات والأخماس والصدقات، وقد سمحوا لأنفسهم بالانغماس في مخالطة من سموهم الطغاة الكافرين والاستفادة منهم تحت غطاء التقية ، والغيبة وانتظار الغائب الذي سيملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا، ليظل لهم النصيب الأكبر من الزكوات والصدقات التي يدفعها لهم المؤمنون البسطاء، خاصة وأن دعوى الغيبة وانتظار الغائب تعفيهم من الانخراط في النشاط السياسي لإقامة دولة إثني عشرية – كما أقام الإسماعليون الدولة الفاطمية - وتيسر لهم التفرغ لجمع الأموال، واكتساب زعامة دينية يمارسونها بسلام، دون التصادم مع الحكام الفاسدين الطغاة، باسم التقية، وتحت ستار انتظار الغائب. وعندما سقط الطغيان العباسي في منتصف القرن الثالث الهجرى عجزوا عن عمل شئ مثل غيرهم ، وعللوا عجزهم بانتظار الغائب، المهدي المنتظر. وقد ظلوا متمترسين بحكاية المهدي المنتظر بعد اجتياح المغول للمشرق الإسلامي كله، بما في ذلك العراق وبلاد الشام. وفي كل هذه القرون لم يظهر للإثني عشرية أي دور، غير انشغالهم، في هذه الفترة بالذات، بتأسيس نظريتهم الطائفية وجماعتهم وفكرهم، وإضافة روايات جديدة تضخم حجم العداوة مع غيرهم من المسلمين؛ وكل ذلك لم يكن موجودا قبل منتصف القرن الثالث الهجري، لأن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يكن يحمل أو يتبني العقائد والأفكار والروايات الإثني عشرية الخاصة التي أخذت تنسب إليه في العقود الأخيرة من القرن الثالث الهجري. ومثل علي كان الحسن والحسين، وعلي بن الحسين، والباقر والصادق رضي الله عنهم، واستمرارا إلى وفاة الحسن العسكري . وفي إطار عملية التأسيس هذه – تأسيس المذهب - التي بدأت بعد منتصف القرن الثالث الهجري ، أخذ صناع النظرية الإثني عشرية يهاجمون منافسيهم من الأفراد العلويين أو الحركات التي ادعت العلوية، وانهمكوا في صياغة الروايات والتنظيرات التي تعلي من شأنهم وهم مختبئون بتعلة التزام عقيدة التقية، وانتظار الإمام الغائب، وبالدعاء له " عجل الله فرجه". لقد حاولوا تبرير سلبيتهم بالقول : إن إمامهم الثاني عشر غاب، وهو الذي قدر له أن يعود قبل يوم القيامة، ليمحو الظلم ويزيل الطغاة ويملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا

– حسب ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحسبما ذكر علي بن أبي طالب وبقية الإئمة الأحد عشر من بعده، وذلك هو ما صار من الضرورات العقيدية المصاحبة للانتظار، وأن على "جميع المؤمنين" أن يلتزموا بالتقية؛ وفي هذا السياق نسب إلى محمد الباقر، وإلى ابنه جعفر الصادق القول : "التقية ديني ودين آبائي". وفي هذا السياق أيضا انزلق ***صناع النظرية الإثني عشرية*** إلى ذكر موعد العودة ، عودة الإمام الغائب المنتظر، في "حديث" صاغوه ونسبوه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجعلوه يقول : ***إن غيبة الإمام الثاني عشر ستمتد ستة أيام، أو ستة شهور، أو ست سنوات .*** وكان تحديد هذا الموعد بشكل متسرع زلة لسان ، أو زلة قلم ممن صاغ هذه الرواية ، زلة غير محسوبة أوقعت الشيعة الإثني عشرية في ورطة تعذر عليهم الانفكاك منها ، وكلفتهم ثمنا باهظا، وما زالت. وقد حاول قادتهم في مجال الدعاية السياسية التخلص من هذا المأزق عن طريق تجاهل التوقيت الذي حدد في الرواية الأولى، فاستخدموا في رواية تالية عبارة "أن الإمام المنتظر" سيغيب "سبتا" من الدهر ، والسبت ثلاثون سنة، كما نجد تفسيره عند الكليني منسوبا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [335].

المذهب الإثنا عشري ظهر في القرن الثالث وما بعده:

لقد ظهر المذهب الإثنا عشري ، وظهرت ونمت الأفكار والمعتقدات الإضافية التي تميزه ، وتركزت بشكل تدريجي، في فترة الدعاية السياسية هذه ، التي تلت قتل الخليفة العباسي العاشر، الملقب بـ "المتوكل" واستمرت في النمو والتضخم قرونا بعد ذلك . ولم يكن المذهب والطائفة موجودين قبل تلك التطورات، ولذلك غابا من كتب التاريخ. وهذا هو الاستنتاج الذي يقود إليه أي بحث موضوعي متقيد بالمنهج العلمي في الدراسة وتحليل المادة التي تقدمها لنا مختلف المصادر . والمرجح أن النظرية أخذت تتبلور وتأخذ شكلها الرئيسي ثم تكتمل أثناء حكم الدولة البويهية ، 334هـ - 447هـ ، حيث حظي الإثنا عشرية بحرية كاملة بالغوا في استغلالها وتوظيفها باستفزاز غيرهم من المسلمين ، فزاد عدد التفجرات الطائفية في بغداد بشكل ملفت [336].

هذا التصريح، أو البيان الذي سجله المؤلف الحالي – عبدالله أبو عزة – وأعلنه في هذه السطور القليلة، ربما يشكل مفاجأة لكثيرين من القراء ، وقد يشكل صدمة لكثيرين آخرين، وسيثير سؤالا كبيرا :

ما هي أدلتك أيها المؤلف ؟ والإجابة هي :

أولا : من أهم الأدلة هذا الغياب ، غياب الطائفة ، و غياب كتلتها السياسية والاجتماعية والثقافية ،

335 الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 271 .

336 عن الحكم البويهي وسيطرة البويهيين على العراق وإذلالهم للخلفاء أنظر كتابي : ***إنهيار الحضارة العربية الإسلامية وسبيل النهوض،*** ص 257- 269 ، ففيه تلخيص وتكثيف للمعلومات المتعلقة بذلك الفصل من تاريخنا . ومن أراد تفاصيل أوسع فسيجدها عند ابن الأثير ، ***الكامل في التاريخ*** ، مجلد 8 ، ص 448 إلى ص 709 ، نهاية المجلد، ويواصل المتابعة في المجلد التاسع، ص1 - 614 .

المفترضة أو المتوهمة ، خلال فترة الفراغ التي تلت قتل المتوكل، واستمرت بقية القرن الثالث وطوال القرون الرابع والخامس والسادس على الأقل ؛ بينما تحركت على المسرح قوى متعددة، أفرادا وجماعات، وقوى صغيرة لم تكن موجودة أو مذكورة ، أو معروفة من قبل، وكانت حركات كل هذه القوى ظاهرة وصاخبة، مليئة بالمآسي والدماء والانتصارات والهزائم، وقد امتد مسرحها الواسع من حدود الصين في الشرق إلى شواطئ الأطلسي في أقصى أقاليم المغرب الإسلامي كما ذكرنا من قبل ، وأقامت دولا وإمبراطوريات، وقد تحدثنا عن ذلك قبل قليل. **هذا هو الدليل الأول.**

ثانيا : ما قيل عن "غيبة الإمام الثاني عشر" المفترضة في أدبيات إخواننا الإثني عشرية، وما أوردناه في مواضع كثيرة من الفصول السابقة، وما ارتبط بالغيبة من "عقيدة التقية" و "عقيدة البداء"، بحيث فرض على الإمامية ، وبرر لهم إخفاء هويتهم ، سواء في السلوك أو في الحديث، أي إخفاء الهوية الشيعية الأثني عشرية بحجة المحافظة على الحياة . وقد تعدى الهدف ضرورة المحافظة على الحياة، وانتقل إلى الدفاع عن حالة السكون والسلبية، ومهاجمة العناصر التي نشطت وتحركت ، والسخرية منها ، ومحاولة سلبها كل تعاطف من قبل جماهير المسلمين . وقد انشغل منظرو الإثني عشرية خلال كل تلك القرون بعملية تأسيس المذهب ، ومحاولة تحقيق انتصاره دعائيا بنشر مقولات تتجاهل الحقائق، وتذيع وتنشر عكسها ، وبجانب ذلك تبرر غياب المذهب وأتباعه عن ساحة العمل التغييري في فترة الفراغ، وفقدان العباسيين للسلطة وامتدادا إلى سقوط الخلافة العباسية وزوالها من العراق، وحتى قيام الدولة الصفوية أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، بل والتعاون مع الحكام الظلمة الفاسدين، وتولي الوظائف الرئيسية عندهم، والحصول على المنافع، بل وتولي المناصب لدى المغول عندما احتلوا العراق ، كما فعل علي بن موسى بن طاووس المتوفى سنة 664هـ ، الذي تولى نقابة الطالبيين من قبل هولاكو ، وتولاها أولاده من بعده في ظل الحكم المغولي. وكان ابن طاووس قد رفض تولي النقابة بتكليف من الخليفة المستنصر العباسي [337]، علما بأن العباسيين المتأخرين كانوا لا يمتنعون عن تعيين الشيعة في المناصب الكبيرة، حتى منصب الوزير ، أي "رئيس الوزراء" بمصطلح عصرنا الحديث، الذي كانت في يديه جميع السلطات الفعلية في الدولة، لا في يد الخليفة ؛ وقد كان في منصب رئيس الوزراء عند دخول المغول بغداد سنة 656هـ رجل شيعي، وهو الملقب مؤيد الدين محمد ابن العلقمي [338] . إن مقولة غيبة الإمام كانت أداة تغطية لعدم قدرة المنظرين على عمل أي شئ غير التنظير لأن الجماعة والطائفة لم يكن لها أي ثقل اجتماعي يعتد به في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وما بعده ، فيما عدا المنظرين أنفسهم . ومما يؤكد ذلك أن هذا التبرير للتقية قد أعلن وكتب ونشر بينما السلطة والقوة القمعية المعادية المتمثلة بالعباسيين قد زالت، بل وحلت محلها قوة شيعية بين سنتي (334هـ - 447هـ) مجسدة في البويهيين، كما أشرنا قبل قليل، وإن كان هم هؤلاء السلطة والمال وليس العقيدة والطائفية المذهبية. لقد كان المميز الحاسم للحكم البويهي – بالنسبة للنقطة التي نبحثها هنا – هو عدم توجيه الاضطهاد إلى الشيعة. وجاء السلاجقة بعد البويهيين فكانوا مثلهم في عدم الاهتمام بالقضايا الدينية، والتركيز على السلطة والمال. ومع ذلك فلدينا بعض الأمثلة من

---

[337] أنظر مقدمة كتابه ***كشف المحجة لثمرة المهجة*** ، ص 8 .

[338] أنظر ابن كثير ، ***البداية والنهاية*** ، ج 13 ، ص 170- 181.

تقديم البويهيين تشجيعا ودعما للشيعة ، مثل ما فعل الوزير البويهي – أي رئيس الوزراء – ابو نصر سابور بن أردشير ، وزير الملك بهاء الدولة البويهي ، إذ أنشأ لهم مكتبة وصفت بأنها "كانت من دور العلم المهمة بناها الوزير الجليل في بغداد [339] ."

الدولة الصفـويــة:

وعندما قامت الدولة الصفوية ، أوائل القرن السادس عشر الميلادي، لم تقم في قطر به أغلبية شيعية ، إثنا عشرية أو غيرها، وإنما قامت في قطر أغلبية سكانه من السنة ، وإنما فرض التشيع بالسيف والدماء. ولسنا نبتعد عن الحقيقة إن قلنا إن الذي أقام الدولة الشيعية الإثني عشرية في إيران شخص واحد، ولد سـنيا، ولأسرة سنية صوفية عريقة، ثم من أصول كرديـة. والصفوي منسوب إلى الطريقة الصوفية "الصفوية" المشتق اسمها من اسم مؤسسها الشيخ صفي الدين (650هـ - 735هـ/ 12252 – 1334م). وكان الشيخ صفي الدين من تلاميذ ومريدي الشيخ زاهد الكيلاني/الجيلاني[340] رئيس الطريقة الجيلانية الصوفية السنية التي أسسها الشيخ عبدالقادر الجيلاني (الكيلاني) في القرن السادس الهجري. وعلى ذلك فإن الطريقة الصفوية كانت فرعا من تفرعات الطريقة الكيلانية. وإسماعيل الصفوي يمثل الجيل الخامس من أبناء وأحفاد الشيخ صفي الدين.
ويخرج بنا عن موضوعنا أن نتتبع سيرة الشاه إسماعيل. لقد عاشت أسرته في الفترة المضطربة التي تلت اجتياح المغول لبغداد سنة 656هـ/1258م. ، وما تلا ذلك من تطورات شهدت تفكك الدولة المغولية وتغلب القبائل التركمانية على العراق وشمال إيران وشرق الأناضول وما جاورها من منطقة القوقاز. وقد تحالف جده جـنـيـد مع أوزون حسن (حسن الطويل) رئيس قبيلة (آق قيونلي)، أي الخروف الأبيض التركمانية وتزوج اخته، وكانت إحدى دوافع التحالف وجود عدو مشترك يتمثل في قبيلة الخروف الأسود (قارا قيونلي) . وفي إحدى غزواته ضد المناطق المسيحية القوقازية اضطر جنيد إلى العبور ضمن أراضي إمارة شروان شاه فتصدى له شروان شاه ، فدارت معركة قتل فيها جـنيد قبل أن يصل إلى هدف غزوته ، كما قتل ابنه حيدر (والد إسماعيل) عندما حاول – في فترة تالية - الثأر لمقتل والده، ثم قتل أخوه سـلطان علي بن بن حيدر بن جنيد، بعد أن كبر وحاول الثأر لوالده وجده سـنــة 899هـ/1494م. وعند ذلك صار إسماعيل هو الوريث لمنصب رئيس الطريقة الصفوية بينما كان عمره سبع سنوات، وكانت طريقة صوفية مجاهدة؛ وهكذا صار عند أتباع الطريقة من القبائل التركمانية شخصا مقدسا. وحرصا على حياته حمله أتباع الطريقة وهربوا به إلى مدينة جيلان، على ساحل بحر قزوين، التي كانت تحت حكم رئيس شيعي. وفي جيلان، وهو في سن السابعة وقع تحت تأثير معلمه الشيعي الإثني عشري حتى سنة 905 هـ ، فكانت هذه السنوات الست كافية لتنشئته إثني عشـريا من غير أن يدري أو يعي ذلك التغيير الذي تعرض له، حيث بدأ يمارس سلطاته ، مستعينا بالقوى التركمانية القبلية في شرق الأناضول . وفي الوقت نفسه صار في مواجهة الدولة العثمانية التي كانت حريصة على فرض سلطتها على تلك القبائل، باعتبارها من رعاياها ، وإخضاعها لأنظمة الحكم العثماني الصارمة آنذاك. وهذا ما دفع تلك القبائل للانضمام إلى جانب إسماعيل لكي تبقى لها

---

339 أنظر ***كتاب الأمالي*** ، للطوســـي ، المقدمــة ، ص 21 .

340 تنطق " الجيم " أو "الكاف " في (الجيلاني/الكيلاني) كما تنطق القاف في اليمن والعراق، وأماكن أخرى كثيرة. وفي اللغة الفارسية يضاف خط مائل فوق الكاف (كـ) فيصبح الخط المائل مزدوجا.

حرية الحياة القبلية بما يتخللها من فوضى وتقلبات غير مقبولة في ظل السلطة العثمانية ، لكنها كانت أيسر في ظل التحالف مع الشاه إسماعيل. وعندما أراد الشاه إسماعيل أن يبنى مجتمعا شيعيا على أنقاض المجتمع ذي الأغلبية السنية استخدم كل أنواع العنف، مستندا إلى القوى التركمانية التي يشكل أحفادها الآن أغلبية سكان أذربيجان التي ظهرت بعد انهيار الاتحاد السوفياتي. ولم يكن لدى الشاه علماء من الشيعة الإثني عشرية لنشر تعاليم المذهب فلجأ إلى استقدام فقهاء وعلماء شيعة من البحرين، ومن العراق، ومن جبل عامل في جنوب لبنان، أي أن عملية تحويل إيران إلى دولة ذات اغلبية شيعية استندت إلى القوة الحربية التركمانية، وإلى مشايخ جعفرية من خارج إيران [341]. ودلالة هذه اللمحة السريعة عن قيام الدولة الصفوية هي : أنه بعد مضي ما يقرب من سبعة قرون على ظهور قصة الإمام الغائب لم تكن هناك كتلة بشرية شيعية إثنا عشرية تستند إليها إقامة الدولة الصفوية في إيران، بل إن العملية كلها استندت على فرد تحول وهو في سن الطفولة، ومن غير أن يدري، تحول من السنية إلى الإثني عشرية، وتبعته القبائل التركمانية باعتباره شخصا مقدسا، وساندته. **وهذا هو الدليل الثاني .**

ثالثا : ما تقدمه لنا المصادر الإثني عشرية من مشاهد الصراعات المفترضة بين أبناء وأحفاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، حول الأحقية بمنصب الإمامة، في شريط طويل متصل . ولا مراء في أن قصص هذه النزاعات قد ظهرت في القرن الثالث الهجري وما بعده، وما شهده من تدافع بين الشخصيات العلوية المتنافسة على الزعامة ، حيث صار كل فريق يختار له اسما من أحفاد علي بن أبي طالب لينتسب إليه، وينسب إليه الأحقية بمنصب الإمامة، ويجمع حوله من يتمكن من إقناعهم واستقطابهم ليشكل منهم فرقة، أو مذهبا تحت اسم ذلك الحفيد من فروع الأسرة العلوية. وفي هذا الشريط الطويل تعرض علينا مشاهد من صراعات مفترضة بين أفراد الشريحة العليا من أبناء "الأئمة" ، ومعهم أنصارهم، أو من يوظفون أسماءهم، لا يعترفون بوجود سلسلة الأئمة الإثني عشر، ولا يعترفون بالأحاديث والإعلانات المتعلقة بأسماء أولئك الأئمة وحقهم في المنصب ، ولم يسمعوا بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي اختارهم وعينهم حججا وأوصياء نزلت كتب تعيينهم من السماء. ومما قالته وتقوله لنا المصادر الإثنا عشرية في هذا السياق أن فريقا من شيعة أمير المؤمنين لم يعترف بوفاته، واعتقد باستمرار وجوده وعودته إلى الظهور [342]. وتقول لنا هذه المصادر إن فرقة أخرى من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام اعتقدت بإمامة محمد ابنه [343] من بعده أو بعد وفاة الحسين ؛ كما تقول لنا -- بين أشياء أخرى – إن محمدا هذا قد نازع علي بن الحسين رضي الله عنهما، وهو الملقب بزين العابدين، السجاد، الإمام الرابع في القائمة "الرسمية " المعترف بها ، نازعه في الإمامة، وأنهما تناظرا، وأن زين العابدين اقترح عليه – أثناء المناظرة - أن يحاججه إلى الحجر الأسود، وأن علي زين العابدين طلب من الحجر أن ينطق، وأن الحجر تحرك ونطق "فقال : يا محمد، سلم الإمامة لعلي بن الحسين" ، فتراجع محمد عن الخصومة ، وسلم المنصب إلى علي بن الحسين [344] ." كما تروي لنا هذه المصادر أخبار

---

[341] معلوماتي عن نشأة الدولة الصفوية جاءت من مصدرين : بعض العلماء من ذوي الأصول السنية الإيرانية الذين اضطر آباؤهم وأجدادهم إلى الهجرة تحت وطأة موجات الإضطهاد المتلاحقة ضد السنة في إيران، حيث استقروا في بعض دول الخليج على ساحله العربي؛ أما المصدر الآخر فهو بعض المراجع الغربية التي استطاع مؤلفوها دراسة الوثائق المحفوظة في مبنى ضريح الشيخ صفي الدين في مدينة أردبيل : أنظر
David Morgan, ***Medieval Persia***, 1040-1797 (London and New York: Longman), pp. 107 – 111, 120 – 123.

[342] شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ،***كتاب الغيبة*** ، ص 192.

[343] وهو محمد بن علي بن أبي طالب الملقب بـ "ابن الحنفية" نسبة إلى قبيلة أمه ، بني حنيفة .

[344] ***المصدر نفسه*** ،***كتاب الغيبة*** ، ص 18 – 19 و ص 192 – 198 .

تنازع حدث بشأن إمامة جعفر الصادق رضي الله عنه، فمن ذلك القول بأن عمه – علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - حاول قتلـه ، وحمل عليه بالشفرة ليذبحه ، وذلك في سياق التنازع على الإمامة [345]. أما الذين تعصبوا لجعفر الصادق - في فترة التنظير المتأخرة - فقد قالوا عنه إنه "حي لم يمت، وأنـه المـهدي [346] ". وفي سياق النزاع حول ما يفترض أنه جرى بعد جعفر الصادق ذهب فريق من الزعامات الشيعة المتنافسة إلى القول بأن الإمامة انتقلت لابنه الأكبر، عبدالله بن جعفر الذي كان يلقب بـ "الأفطح"، وقال فريق آخر إن الإمامة انتقلت إلى إسماعيل بن جعفر، وأتباع هؤلاء هم الذين يسمون "الإسماعـيلية". ولما كان إسماعيل قد توفي في حياة والده جعفر الصادق فقد قيل إن الإمامة انتقلت إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. أما فريق الإثني عشرية فقد ذهب إلى أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه موسى بن جعفر، الإمام السابع الملقب بالكاظم ، وكل هذا الجدل جرى بعد أكثر من مـئة سنة من غياب جعفر رضي الله عنه . ثم ظهرت روايات بعد ذلك تقول إن موسى بن جعفر هو المهدي المنتظر.

وفي تاريخ الإثني عشرية يمر معنا اسم فريق منهم نـعتـوهم بـ "المحمدية " ، وهم "الذين قالوا بإمامة محمد بن علي العسكري"، وبذلك جعلوه الإمام الحادي عشر، بدل أخيه الحسن بن علي المتوفى سنة 260هـ [347] . وتمضي هذه الخلافات والتنازعات بين "الأئمة الذين اختارهم وعينهم الله " -- حسب المشهد الذي رسمه لنا المنظرون - وبين مدعي الإمامة من إخوانهم وأعمامهم، وأنصار هؤلاء وأولئك ، حتى ما بعد ولادة واختفاء الإمام الثاني عشر المفترضة، "عجل الله فرجه"، حيث أعـلن عـمـه جعفر بن علي، أن أخاه الحسن العسكري لم يخلف ولدا ، وأن منصب الإمامة آل إليه ، أي إلى جعفر. ومما روته لنا المصادر الإثنا عشرية بسند طويل ينتهي إلى أبي خالد الكابلي حيث قال إنه سأل محمد الباقر رضي الله عنه عن اسم الإمام الغائب فأجابه بأنـه لا يحدث أحدا عن ذلك ، وبالتالي لا يستطيع أن يحدثه. وجاء في إجابة الباقر : "ولقد سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه حرصوا على أن يقطعوه بضعـة بضعـة [348] ." وقد نقل أبو جعفر الطوسي نفس الرواية عن النعماني، ونفس النص : "... يا أبا خالد، سـألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه لحرصوا على أن يقطعوه بضعة بضعـة [349]." وفاطمة المشار إليها هي فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، والشخص المهدد بالتقطيع إربا هو الإمام الـغـائب، عجل الله فرجه.

إن هذا الصراع لا يمكن أن يكون قد حدث في عصر الأئمة بعد استشهاد الحسين مباشرة، ولم يحدث بين أبناء الإئمة وأحفادهم بل حدث بين المنظرين الذين حاول كل منهم أن ينشئ لها جماعة تدين له بالولاء تحت اسم واحد من أبناء وأحفاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ولو حدث مثل هذا الصراع بالفعل ، بين محمد بن علي (ابن الحنفية)، وبيـن علي بن الحسين (زين العابدين) ومن بعدهما إذن لـفـقدت الأسرية العلوية احترامها واحترام الناس لها في وقت مبكر.

---

[345] ***المصدر نفسـه*** ، ص 197 .

[346] ***المصدر نفـسـه*** ، ص 21 .

[347] ***المصدر نفسه*** ، ص 198- 206 .

[348] الـنعماني ، ***الـغـيـبـة*** ، ص 300 .

[349] الطوســي ، ***كـتـاب الـغيبـــة*** ، ص 333 ، وقد توفي النعماني سنة 360هـ بينما توفي الطوسي سنة 460هـ ، وقد نقل الطوسي عن النعماني الكثير من رواياته ، بيد أن الطوسي أرفع منزلة بين محدثي وفقهاء الإثني عشرية، فهو واحد من بين أبرز ثلاثة : الكليني، وابن بابويه القمي، والطوسي نفسه. وقد ألف الطوسي اثنين من الكتب الأربع التي يقولون إنها تضم خلاصة الحديث والعلم عند الإثني عشرية، وهي كتاب ***الكافي*** ، للكليني، وكتاب ***تهذيب الأحكام***، وكتاب ***الاستبصار*** للطوســي، وكتاب ***من لا يحضره الفقيه*** لابن بابويه القمي.

ماذا تعني هذه النزاعات ؟ وما الذي يمكن أن يستنتجه الباحث منـها ؟؟؟

إنها تعنـي بكل بساطة ووضوح : أن أحدا من هؤلاء الأبناء، أبناء علـي بن أبي طالب وأحفاده وأنصارهم الصادقين المخلصين ، لم يعلم بالأحاديث والوصايا المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى علي وأحفاده "الأئمـة" واحدا بعد الآخر، بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي اختارهم وحدد أسمـاءهم، وأن رسول الله صلوات الله عليه أعلنهم، وأن عليا رضي الله عنه بين ذلك لأولاده، ثم بينها الأئمة واحدا بعد الآخر، لإبنائهم وأنصارهم، لأن هذه الأحاديث والروايات جرت صياغتها بعد عصرهم، حوالي منتصف القرن الثالث الهجري وما بعده. وهي تمثل التنافس والصراع بين المنظرين الساعين للاستئثار بالزكوات والصدقات والزعامة. **وهذا هو الدليل الثالث .**

رابـــعـــا : أما الدليل الرابع فيتمثل في ثمانية وثائق من النصوص الشيعية القديمـة التي سبق بعضها عصر الكليني وتلامذته المباشرين ومن جاء بعدهم، وهي تكشف لنا عدم صحة الإدعاءات الإثني عشرية بشأن الإمامة والوصية، وما دخل في هذا المعنى، ونورد نصوص هذه الوثائق فيما يلي:

الوثيقة رقم (1) :

ومصدرها كتاب نهج البلاغـة، حيث وردت تحت عنوان : "كتابه [علي رضي الله عنه] إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين" :

"... وكان بدء أمرنا أن التقينا والقوم من أهل الشام ، والظاهر أن ربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، لا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله صلى الله عليه وآله ، ولا يستزيدوننا. الأمر واحد، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمـان ، ونحن منه براء [350]..."

إذن، في هذه الوثيقة القصيرة يعلن علي بن أبي طالب عدم وجود أي خلاف عقيدي بينه وبين المتمردين عليه من أهل الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان. نقطة الخلاف الوحيدة هي اتهام معاوية لعلي بقتل عثمان، أو بحماية قتلته. ليس هناك ذكر للوصية، أو غدير خم، أو التعيين الذي نزل من السماء، أو الخمسة النورانيين، أو غير ذلك من القصص والادعاءات التي مررنا بها في الفصول السابقة. وهذا يعني أن هذه العقائد الإضافية ، التي فرقت بين السنة والشيعة بعد قرون، اخترعت وصيغت خلال موجات الدعاية السياسية وصياغة النظرية وتأسيس الطائفة في القرن الثالث الهجري وما بعده .

الوثيقة رقم (2):

---

[350] الشريف الرضي (جامع) ، *نـهـج الـبـلاغـة* ، شرح الإمام محمد عبده (بيروت : دار المعرفة، 1426هـ/2005م) ص 421 .

وكان مما أورده الكليني من أقوال أمير المؤمنين علي بني أبي طالب رضي الله عنـه :

"... فهلم أيها الناس إلى التعاون على طاعة الله عز وجل، والقيام بعدله والوفاء بعهده، والإنصاف له في جميع حقه، فإنه ليـس العباد إلى شـئ أحـوج منهم إلى التناصح في ذلك وحسـن التعاون عليه ... ثم ***ليس امرؤ وإن عظمت في الحق منزلته***، وجسمت في الحق فضيلته، ***بمستغن عن أن يعان على مـا حمله الله عز وجل من حقه، ولا لامرئ*** مع ذلك ***خسأت به الأمور واقتحمته العيون، بدون ما أن يعين على ذلك ويعان عليه ..."***

"... إن من حق من عظم جلال الله في نفسه وجل موضعه في قلبه، ***أن يصـغر عنـده*** ، لعظم ذلك [عن] كل ما سواه ... وإن من أسخف حالات الولاة ***عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفخـــر*** ، ويوضع أمرهم على الكبر. ***وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أني أحب الإطراء واستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك. ولو كنت أحب أن يقال لتركته انحطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء. وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء. فلا تثنوا علي بجميل لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من البقية في حقوق لم أفرغ من أدائها، وفرائض لا بد من إمضائها. فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي ، ولا التماس إعظام لنفسي لما لا يصلح لي،*** فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه. ***فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق ما أخطئ ، ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني،*** فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره [351]..."

هنا في هذا النص نجد أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يعلن أنه بحاجة إلى معاونتهم، وأن العون يمكن أن يأتي حتى من شخص بسيط ضعيف (خسأت به الأمور واقتحمته العيون). وهو يستنكر على الولاة ***حب الفخر*** ويعلن كرهه أن يظن فيه ***حب الإطراء واستماع الثناء ... فلا تثنوا علي بجميل*** بينما هو لم يفرغ من تأدية ما عليه من واجبات. ***فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ... ولا تخالطوني بالمصانعة (النفاق)*** ويحضهم على أن ***يقولوا كلمة الحق ولو كانت مرة، وأن يستمروا في ذلك، لأنه ليس منزها عن الخطأ (= ليس معصوما).***

الوثيقة رقم (3):

أصحاب علي يسألونه عن رأيه في أبي بكر وعمر، فيرد بوضوح :

دخل جماعة من أنصار علي رضي الله عنه عليه ليسألوه عن رأيه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وكان علي آنذاك مغموما حزينا ، لأن معاوية بن أبي سفيان تمكن من أن ينتزع منه مصر من خلال عملية عسكرية قادها عمرو بن العاص، وقتل فيها والي مصر محمد بن أبي بكر الصديق ، ولذا كان رد أمير المؤمنين عليهم غاضبا :

---

[351] الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 838 -839 .

"***وهل فرغتم لهذا*** ، وهذه مصر قد افتتحت ، وشيعتي بها قد قتلت ؟ أنا مخرج إليكم كتابا أخبركم فيه عما سألتم، وأسألكم أن تحفظوا من حقي ما ضيعتم ، فاقرأوه على شيعتي، وكونوا على الحق أعوانا . وهذه نسخة الكتاب :

" من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين، السلام عليكم ! فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم نذيرا للعالمين، وأمينا على التنزيل، وشهيدا على هذه الأمة ... [ومضى أمير المؤمنين في الحديث عما قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستغرق حديثه هذا عشرين سطرا ، ثم قال :] " فلما استكمل رسول الله [صلى الله عليه وسلم] مدته من الدنيا توفاه الله إليه سعيدا حميدا، فيا لها مصيبة خصت الأقربين وعمت جميع المسلمين ... فلما مضى لسبيله صلى الله عليه وسلم تنازع المسلمون الأمر بعده ، فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر على بالي ***أن العرب تعدل هذا الأمر*** [الخلافة] ***بعد محمد صلى الله عليه وسلم عن أهل بيته ، ولا أنهم منحوه عني من بعده*** ، فما راعني إلا انثيال الناس على أبي بكر، وإجفالهم إليه ليبايعوه ، فأمسكت يدي ، ورأيت أني أحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ممن تولى الأمر من بعده. فلبثت بذاك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين الله وملة محمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم عليه السلام. ***فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيهم ثلما وهدما يكون مصيبة أعظم علي من فوات ولاية أموركم التي إنما هي متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب ، وكما ينقشع السحاب.*** فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ، ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق ، وكانت كلمة الله هي العليا ، ولو كره الكافرون.

فتولى أبو بكر تلك الأمور ،***فيسر وسدد ، وقارب واقتصد ، فصحبته مناصحا ، وأطعته فيما أطاع الله جاهدا.*** وما طمعت أن لو حدث به حدث أن يرد إلي الأمر الذي نازعته فيه طمع مستيقن ، ولا يئست منه يأس من لا يرجوه. ولولا خاصة ما كان بينه وبين عمر لظننت أنه لا يدفعها عني. فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه ، فسمعنا وأطعنا وناصحنا. ***وتولى عمر الأمر ، وكان مرضي السيرة ، ميمون النقيبة*** ، حتى إذا احتضر قلت في نفسي لن يعدلها عني ، فجعلني سادس ستة ، فما كانوا لولاية أحد أشد كراهية منهم لولايتي عليهم؛ فكانوا يسمعوني عند وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أحاج أبا بكر وأقول : يا معشر قريش ، ***إنا أهل بيت أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا من يقرأ القرآن ويعرف السنة ويدين دين الحق.*** فخشي القوم إن أنا وليت عليهم أن لا يكون لهم في الأمر نصيب ما بقوا ، فأجمعوا إجماعا واحدا ، فصرفوا الولاية إلى عثمان وأخرجوني منها رجاء أن ينالوها ويتداولوها ، إذ يئسوا أن ينالوا من قبلي. ثم قالوا : هلم فبايع ، وإلا جاهدناك ، فبايعت مستكرها [352]..."

إن هذا النص الذي حفظه لنا إبراهيم بن محمد الثقفي، الذي توفي قبل محمد بن يعقوب الكليني بخمس وأربعين سنة، وكان حيا وفي سن الرجولة أثناء حياة اثنين من الأئمة، وهما العاشر والحادي

---

[352] أبو إسحق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي المتوفى سنة 283 هـ ، ***الغارات*** ، المجلد الأول ، تحقيق السيد جلال الدين المحدث (طهران : سلسلة انتشارات آنجمن آثار ملي، 114 ، جاب دوم) ، ص 304 - 308 ، وانظر ص 302 – 304 حيث بداية الرسالة. وإبراهيم بن محمد الثقفي من مؤلفي الشيعة المشهورين والأقدمين، ولد سنة 200هـ أو قبلها بقليل، وتوي سنة 283هـ.

عشر، هذا النص يقدم لنا معلومات في غاية الأهميـة لجلاء النقطـة التي نبحثها ، أعني تشكل المذهب الإثني عشري بعد منتصف القرن الثالث الهجري . وهذه المعلومات توضح لنا ما يلي:

1) لم يذكر علي رضي الله عنه أي كلمة عن حكاية ***غدير خـم*** ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاه إمرة المؤمنين، ولم يذكر شيئا عن تعيين الله للأئمـة، أو غير ذلك من الادعاءات الإثني عشـــرية التي مررنا بها ونحن نعبر فصول هذه الدراسة، وهذا يعني أنها لا تمثل الحقيقة، ولم تكن عرفت أو أعلنت، ولم يعلم بها الناس، وأنها عندما ظهرت في القرن الثالث كانت من مواد الدعاية السياسية بين المتسابقين ،نحو الزعامة والمال بعد فقدان العباسيين للسلطة. وكان المشايخ الإثنا عشرية قد تفرغوا للتنظير، أي صياغة نظريتهم وإحكام صيغتها بالتدريج، جيلا بعد جيل، وتجنبوا الدخول في الصراع العملي، متذرعين بالتقية، وبانتظار عودة الإمام الغائب المكلف بحمل السيف، بينما الأئمة الذين سبقوه منعوا من حمل السيف وألزموا بالتقية. وفي عبارات أمير المؤمنين علي ضمن قوله : "يا معشر قريش، ***إنا أهل بيت أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا من يقرأ القرآن، ويعرف السنـة، ويدين دين الحق."*** هنا حدد علي رضي الله عنه المؤهلات التي امتلكها – من وجهة نظره – والتي تؤهله وتؤهل غيره لمنصب الخلافة ، وهي : (1) الانتماء إلى عائلة رسول الله (2) معرفة القرآن ومعرفة السنة (3) يدين دين الحق، وهو الإسلام،

أما الروايات الإثني عشرية عن الولاية والوصية وغدير خم، وبيت أم سلمة، وبيت فاطمة، والمباهلة ، والتعيين من السماء، فلم يكن يعرفها ، ولو أنه عرف شيئا منها أو سمعه أو اعتقده لقدمه على أنه أقوى حججه، خاصة وأن تلك المقولات لو كانت صحيحة لعلمها الصحابة كلهم – كما ورد في الروايات الشيعية نفسها – ولما كان في مقدور الـمخاطبين أن ينكروها لو صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلنها على ملأ من الصحابة، وقد كان كثير من الصحابة ما زالوا أحياء عندما أعلن لهم أمير المؤمنين بيانه ردا على سؤال بعض أتباعه عن أبي بكر وعمـر .

2) إن عبارات مثل "***انثيال الناس على أبي بكر***" ليبايعوه ، و "***اجفالهم إليه ليبايعوه***" يدل على أن مبايعة أبي بكر لم يكن فيها ضغوط لا على علي، ولا على غيره، وأن الأغلبية الساحقة من الصحابة بايعت الخليفة الأول عن رضا ، وبحرية كاملة، وباندفاع واضح تصفه كلمتا : "إنثيال" و "إجفال"، كما تعني أنه لم تكن هناك مؤامرة، كما زعمت الروايات المزورة، ولم يكن هناك تهديد أو إكراه، ، ولم يكن هناك شراء أصوات،

3) إن علي بن أبي طالب لم يـر في خلافة أبي بكر تضييعا للإسلام، أو ردا للناس عن الإسلام كما قال المتعصبون الغلاة وكتبوا ، بل رآه مدافعا عن الإســلام، باذلا جهده في التسديد والمقاربة، وأن عليا نفسه تعاون معه وقدم له المشورة. وبناء على ذلك ســارع علي إلى مبايعة أبي بكر والتعاون معه لــدرء الأخطار عن الأمـة بمجرد ظهور حركة الردة ،

4) وصف علي رضي الله عنه طريقة أبي بكر في الحكم وصفا إيجابيا: "***فيسر وسدد، وقارب واقتصد***"، أي اجتهد للوصول إلى القرار والفعل الصواب، فصحبته مناصحا ...

5) وتولى عمر الأمر ، "***فكان مرضي السيرة، ميمون النقيبـة***". وهذا الثناء الذي صدر عن أمير المؤمنين علي في حق عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما - وقد صدر بعد وفاة عمر وعثمان بسنوات ، وبعد حرب صفين (37-38هـ) - يدحض ويبطل كل الحكايات والروايات التي برر الإثنا عشرية بها لأنفسهم، وما زالوا ، شـتم وإهانة أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب ، والادعاء بأن عمر صفع فاطمة رضي الله عنا فكسر قرطها، ورفسها برجله فأسقطها أرضا فسقط جنينها، وأنها أمسكت بتلابيبه وشدته وهددته، إلى أخر هذه الترهات وأمثالها ...، وما زال الكثيرون من إخواننا الشيعة الإثني عشرية، ومن قياداتهم الفكرية ، يرددون هذه الأقوال المزورة بهدف زيادة الأحقاد ضد غيرهم من المسلمين ، وتسخينها باستمرار [353] ،

6) تحدث أمير المؤمنين علي عن نظرته لمنصب الخلافة بعبارات واضحة: " فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلما وهدمـا ***يكون أعظم مصيبة علي من فوات ولاية أموركم التي إنما هي متاع أيام قلائل، ثم يزول منها كما يزول السراب، وكما ينقشع السحاب ..."***

وبهذه العبارات يتبين لنا أن أمير المؤمنين علي لم ير في الخلافة أنها اختيار من الله وتكليف له ولأحد عشر من أبنائه وأحفاده، ولم ير فيها واجبا لتعريف الله للناس أو تعريف الناس بالله، ولم ير أن الإمام حجة الله على خلقه. ولو عرف علي هذه المقولات وآمن بها لما وصف "***ولاية أموركم"*** بأنها " إنما هي ***متاع أيام قلائل ثم يزول منها كما يزول السراب، وكما ينقشع السحاب."*** ولقد كان من الخير أن من صاغ هذا التزوير ، وحذف الجزء الأخير من النص لم يفطن لأهمية هذا المقطع الأخير: "***إنما هي متاع أيام قلائل*** ..." ، لتظل هذه الكلمات الخمس شاهدا على نظرة أمير المؤمنين علي إلى الخلافة، وعلى عدم صدق الروايات التي شددت على أن الخلافة والإمامة اختيار وتعيين من لدن رب العالمين.

الوثيقة رقم (4):

علي بن أبي طالب يمدح عمر بن الخطاب ثانية ، قال علـي:

" لله بلاء فـلان [عمر بن الخطاب] ، فقد قوم الأود، وداوى العمـد ، خلف الفـتنـة ، وأقـام السنـة ، وذهب نقي الثـوب ، قليل العيب ، أصاب خـيرها ، وسـبق شـرها ، أدى إلـى اللـه طاعتـه ، واتـقـاه بحـقـه ، رحل وتركهـم في طريق متشـعبـة ، لا يهتـدي فيها الضال ، ولا يستيـقـن المـهـتـدي [354] ."

الوثيقة رقم (5):

علي ينهى عن السب والشتائم أن توجه لأهل الشام :

" ومن كلام له [علي] عليه السلام وقد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين :

---

[353] أنظر السيد محمد باقر الصدر ، ***فدك في التاريخ*** ، ص 37 – 68 و 105؛ محمد باقر الصدر ، ***أهل البيت .. تنوع أدوار ووحدة هدف***، ص 21 و 26 – 27 و 31 و 45 و 58 – 62 و 99 و 101.

[354] الشريف الرضي (جامع) ، ***نـهـج البلاغـة*** ، شرح الإمام محمد عبده (بيروت : دار المعرفـة، 2005/1426)، ص 329، قطعة رقم 226 .

إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر ، وقلتم مكان سبكم إياهم : اللهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به [355] ."

هذا نهي واضح عن سب من كانوا يحاربونه في أشد فترات المواجهة وسفك الدماء، أيام حرب صفين. وأكثر من ذلك نرى أن عليا رضي الله عنه يوجه أنصاره (شيعته) إلى الدعاء لأنفسهم ولخصومهم المحاربين. وليس هناك وجه للمقارنة، أو المساواة بين معاوية وأنصاره من ناحية، وبين أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما. فكيف يسمح العقلاء من إخواننا الإثني عشرية لأنفسهم بسب أبي بكر وعمر، وكيف يسمح فقهاؤهم بإشاعة الاعتقاد بأن ذلك مطلوب، وأنه يدخل في نطاق الأعمال التعبدية !

الوثيقة رقم (6):

علي بن أبي طالب يصف مواقيت الصلاة، وكيفية الوضوء كما يمارسه السنة :

في رسالة توجيهية أرسلها أمير المؤمنين علي إلى والي مصر من قبله ، محمد بن أبي بكر الصديق:

"...ثم الوضوء، فإنه من تمام الصلاة : إغسل كفيك ثلاث مرات، وتمضمض ثلاث مرات، واستنشق ثلاث مرات، واغسل وجهك ثلاث مرات، ثم يدك اليمنى ثلاث مرات إلى المرفق، ثم يدك الشمال ثلاث مرات إلى المرفق، ثم امسح رأسك ، ثم اغسل رجلك اليمنى ثلاث مرات، ثم اغسل رجلك اليسرى ثلاث مرات، فإني رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم هكذا كان يتوضأ. قال النبي صلى الله عليه وسلم: الوضوء نصف الإيمان . إنظر صلاة الظهر فصلها لوقتها، لا تعجل بها عن الوقت لفراغ، ولا تؤخرها عن الوقت لشغل، فإن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن وقت الصلاة، فقال صلى الله عليه وسلم : أتاني جبريل فأراني وقت الصلاة، فصلى الظهر حين زالت الشمس، ثم العصر وهي بيضاء نقية، ثم صلى المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ، ثم صلى الصبح فأغلس به والنجوم مشتبكة. كان النبي صلى الله عليه وسلم كذا يصلي قبلك؛ فإن استطعت – ولا قوة إلا بالله – أن تلتزم السنة المعروفة، وتسلك الطريق الواضح الذي أخذوا فافعل، لعلك تقدم عليهم غدا [356] ." وقد وصلنا هذا الوصف ضمن واحد من أقدم الكتب الشيعية التي وصلتنا؛ وقد توفي مؤلفه سنة 283هـ ، أي قبل وفاة الكليني بخمس وأربعين سنة. والمضمضة والاستنشاق، وتثليث الغسل، وغسل الرجلين، كل ذلك لم يرد في المصادر الإثني عشرية التي اقتبسنا منها عند حديثنا عن مظاهر الاتفاق في ممارسة العبادات وما تعلق بها. ومعنى نص ابراهيم الثقفي أن الممارسة في عهده كانت ،عند الجميع، ما يفعله السنة ولم يكن أنصار علي رضي الله عنه يختلفون معهم.

أمثلة من تحريف النصوص :

---

[355] ***المصدر نفسه*** ، 305 ، قطعة رقم (204)

[356] أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، المتوفى 283هـ ، ***الغارات*** ، بتحقيق السيد جلال الدين المحدث (طهران : سلسلة انتشارات آنجمن آثار ملي رقم 14 ، صدر سنة 1395 هجري قمري) ، ص 244- 245 ، والثقفي له ذكر عال بين أقدم مؤلفي الشيعة.
وقد أورد الطوسي في ***كتاب الأمالي*** نصا لرسالة علي (ر) إلى محمد بن أبي بكر، ومن ضمنها ذكر الوضوء ومواقيت الصلاة، ص 53 -55 ، والرسالة بطولها ص 48-55 . وقد نقل الطوسي هذه الرواية عن شيخه العكبري، وكان في سند العكبري إبراهيم بن محمد الثقفي ، صاحب كتاب ***الغارات*** ، بيد أن النص الذي أورده الطوسي أصابه شئ من التعدي، أو التحريف ، كما سنرى.

لقد تعرض نص الوثيقة رقم (3)، ونص الوثيقة رقم (4) للتحريف كما سنبين فيما يلي:

الوثيقة رقم (7):

1) بالنسبة لـ "رسالة علي (ر) إلى أصحابه" ، نجد أن الشريف الرضي قد أورد ***القسم الأول فقط*** من نص إبراهيم الثقفي الكوفي الذي نقلناه ضمن البند "رابعا :" في الصفحة السابقة، وحذف ذلك الجزء الذي يتضمن ثناء على أبي بكر وعمر. النص كما أورده الشريف الرضي قطع بمجرد الوصول إلى عبارة ***"كما يزول السراب، وينقشع السحاب"***، ثم جيئ بنص آخر لاعلاقة له بالموضوع [357] . والظاهر أن الغرض من ذلك هو إخفاء مدح علي لأبي بكر وعمر، رضي الله عن ثلاثتهم أجمعين. لماذا ؟ لأن بقاء النص الكامل لمؤلف قديم ولد سنة 200هـ أو قبلها ببضع سنوات وتوفي سنة 283هـ ، بجانب كونه شيعيا اثني عشريا اشتهر بالتحمس والتشدد في مواجهة السنة، كل ذلك ينقض ويدحض كل الروايات التي جرى تأليفها في أواخر القرن الثالث وما بعده من القرون. لقد صار ذيوع روايات الثقفي – التي استشهدنا بها هنا - خطرا على أكداس الروايات المكذوبة. ومن أجل ذلك بذلت جهود لتجهيلها، أو إسقاطها والتعتيم عليها، أو تحريفها. بل إن المجلسي، وهو المتأخرين زمنيا (توفي 1110هـ) حاول أن يشكك في بعض مضامين رسالة علي عليه السلام ، وذلك بقوله إن الثقفي نقلها عن روايات أهل السنة [358]. غير أن هذا التشكيك ، واتهام إبراهيم الثقفي بالتقصير لنقله من الروايات السنية، أخطأ الهدف ؛ ففي عهد الثقفي كانت تلك الروايات التي نقلها هي المتداولة بين المسلمين ، السنة والشيعة سواء، ولم تكن هناك روايات أخرى، لأن تلك الروايات الأخرى صنعت بعد عصر الثقفي بأكثر من مئة أو مئتي سنة، صناعة ضمن سيل الدعاية السياسية، وكانت في أكثر الأحوال غير متقنة التزوير . ذلك أن "شيعة علي" رضي الله عنه كان تشيعهم سياسيا وليس عقيديا .

2) وتحريف آخر لنفس النص الذي أورده إبراهيم الثقفي :

الوثيقة رقم (8):

" ... فولي أبو بكر ***فقارب واقتصد ، فصحبته مناصحا ، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدا*** ، حتى إذا احتضر قلت في نفسي لن يعدل بهذا الأمر عني. ولولا خاصة ما بينه وبين عمر ، ***أمرا كانا رضياه*** ، لظننت أنه لا يعدله عني ... فبايع عمر دون المشورة ، ***فكان مرضي السيرة من الناس عندهم*** ، حتى إذا احتضر قلت في نفسي ليس يعدل بهذا الأمر عني ***للذي قد رآئ مني في المواطن ، وسمع من الرسول*** (ص) ، فجعلني سادس ستة ، وأمر صهيبا أن يصلي بالناس ، ودعا أبا طلحة زيد بن سعد الأنصاري فقال لـه : كن في خمسين رجلا من

---

[357] ***المصدر نفسه*** ، ص 424-425 ، قطعة رقم (302)

[358] والمجلسي هو مؤلف ***بحار الأنوار*** ، الذي توفي عند نهاية العقد الأول من القرن الثاني عشر للهجرة. أنظر حاشية رقم (5) في صفحة 244 واستمرارها في ص 245 من كتاب ***الغارات*** ، حيث ينقل عن المجلسي التشكيك الذي أشرنا إليه، بجانب تشكيك آخر من جانب محقق كتاب ***الغارات***، وهو الدكتور جلال الدين المحدث. وقد بني المحدث تشكيكه على أساس أن رواية الثقفي مخالفة لرواية الطوسي ، علما بأن وفاة الثقفي سبقت وفاة الطوسي بما يزيد على مئة وسبعين سنة ! وانظر الحاشية رقم (5) من ص 307 من كتاب ***الغارات***.

قومك ، فاقتل من أبى أن يرضى من هؤلاء الستة . " فالعجب من اختلاف القوم إذ زعموا أن أبي بكر[كذا] استخلفه النبي (ص)، فلو كان هذا حقا لم يخف على الأنصار، فبايعه الناس على الشورى. ثم جعلها أبو بكر لعمر برأيه خاصة ، ثم جعلها عمر برأيه شورى بين ستة. فهذا العجب من اختلافهم ، والدليل على ما لا أحب أن أذكر قول هؤلاء الرهط الذين قبض رسول الله (ص) وهو عنهم راض. فكيف يأمر بقتل قوم رضي الله عنهم ورسوله ... ولم يكونوا لولاية أحد أكره منهم لولايتي [359]..."

والتحريف في هذا النص يظهر في العبارات المكتوبة بخط مائل : "***أمرا كانا رضياه***"، وهذه زيادة لم ترد في نص الثقفي. والعبارة توحي بوجود تآمر بينهما. "***فكان مرضي السيرة من الناس عندهم***" فعبارة من الناس عندهم تنفي أنه كان مرضي السيرة من الناس، بشكل عام ودون تحفظ ، بل تحصر الرضا في "مجموعة صغيرة" من "أتباع" أبي بكر وعمر، أو لعله أراد أن يقول : "عند السنة" فكان الضمير في "عند ***هم***" يعني السنة. أما التحريف الثالث فهو : ***للذي قد رأى مني في المواقف، وسمع من الرسول (ص).*** فهذه العبارة ليست موجودة في نص إبراهيم الثقفي، وقد أضافها ابن طاوس المتوفي سنة 664هـ ، أي بعد إبراهيم الثقفي بثلاث مئة وإحدى وثمانين سنة. والهدف من هذه الإضافات التي أدخلها ابن طاوس على نص الثقفي هو تأكيد الروايات المزورة عن تولية الرسول الإمامة لعلي، وحكاية غدير خم، وبيت أم سلمة، وحكاية الملاعنة، وغير ذلك مما مر معنا من ادعاءات باطلة في الفصول السابقة، خاصة الثالث والرابع والخامس منها. وهذا مثل صارخ على الجهود المنحرفة والمجنونة التي بذلها المتطرفون مستهدفين إثارة وتركيم الأحقاد عبر السنين لجعلها وسيلة لتماسك المذهب الإثني عشري ، وتهييج الحماسة والروح الهجومية العدوانية في نفوس أتباعه. وكتابات ابن طاووس تنضح بحقد وتحريض ظاهرين ومبالغ فيهما إلى أقصى حد ، ولا يضاهيها في ذلك سوى كتابات العكبري، الملقب بالشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان؛ وكل هذا يبعث على أشد الأسف !! ومما يزيد الأسف أن بعضا من علية مثقفي إخواننا الإثني عشرية ما زالوا يفعلون ذلك ، سواء في القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين، كما أشرنا في غير هذا الموضع. وكنا قد أوردنا – في الفصل الرابع – أمثلة من تحريف نصوص بعض الآيات القرآنية عن طريق إدخال كلمات في النص ليست فيه أصلا، لعل القارئ يلقي عليها نظرة من جديد [360] .

---

[359] إبن طاووس الحسني الحسيني ، ***كشف المحجة لثمرة المهجة*** ، ص 183 .

[360] أنظر الفصل الرابع فيما سبق ، ص 65 – 68 .

الـفـصـل الـسابـع

مـراجـعـة وحـوار وتـعـلـيـق

مـقـدمـــــة

في الفصول الســتــة السابقة حرص هذا المؤلف على توضيح هدف كتابنا هذا الذي يمثل خطوة أولى في الحوار، وعلى أن يسلط الضوء على المشكلات التي تـقـف حائلا بين السنة والشيعة ، ما كان منها هامشيا، وما كان في القلب مركزيا وخطيرا. وكان أهم ما توسل به من أدوات للوصول إلى هذا الهدف عرض واسـتعـراض مقولات إخواننا الشيعة من مصادرهم الأصلية والأهم ، ومن خلال نصوصهم ، مع تجنب التدخل والتعليق وإصدار الأحكام . لم يكن القراء الشيعة هم المقصودين بهذا الاستعراض، بل القراء من السنة، لكي يعرفوا الصحيح وغير الصحيح فيما ينسب إلى إخوانهم الشيعة. ومع ذلك فإن كثيرين من أخواننا الشيعة لم يجدوا الوقت أو الفرصة للاطلاع على المصادر الأصلية من تراثهم الإثني عشري. وقد ظللت حريصا طوال ما مضى من مسيرة هذا البحث – حتى الصفحات قبل الأخيرة من الفصل السادس - على توضيح عدم ارتباطي بالمقولات المستعرضة، لا بالتعاطف ولا بالتأييد والتبني، كما حاولت تجنب استخدام أي تعبير يشي بالمعارضة . أما وقد وصلنا إلى المرحلة الأخيرة من مشروعنا البحثي الحواري فإن هذا المؤلف يشعر أن من واجبه أن يـنـتـقل بقرائه إلى مواجهة الحقائق كما رآها من منطلق عقيدته الإسلامية ، وإسلامية منهجه وتوجهه، ومن خلال جهده البحثي، لا من منطلق سني أو شيعي. وهذه المواجهة – وقد فضلت استعمال هذا التعبير القوي : ***المواجهة*** ، عن قصد وتصميم ، بغية تحريض القراء على أن يأخذوا الإشكالات التي سبق أن استعرضناها مأخذ الجد، وأن يعطوها كل ما تستحقه من انتباه وتركيز وتحليل ، وما ينبغي أن يتبع كل ذلك من عمل فعال مؤثر وواضح وقوي وصريح. والمواجهة التي نوشك أن نلج بابها في هذه المرحلة الأخيرة من مسيرتنا هذه ***إنما هي مواجـهـة مـع المشـكـلـة*** **وليست مواجهة مـعكم يا إخواننا وأخواتنا الشيعة ، فأخوتنا لكم ومعكم هي أخوة الإسلام الشاملة التي نحرص عليها أشد الحرص ، ولا يساورنا الشك في أن الكثيرين منكم يشاركوننا الحرص عليها .**

و**غني** عن الـتـنـويـه أننا لسنا في جلسة حوار على مائدة مستطيلة أو مستديرة، وإنما نتحاور عن بعد بالكلمة المكتوبة المطبوعة والمنشورة. ومعنى ذلك أن الاستجابــة والدخول في الحوار سيكون بالفكر والتأمل والتحليل ، وصولا إلى الرؤية التي ستكتب وتنشر إن شاء الله. وهذا الحوار ليس مرتبطا بشخص واحد، أو كتاب واحد أو اثنين أو ثلاثة، وإنما هو حوار يراد له أن يستمر ، ويكون مفتوحا من حيث الأشخاص والإنتاج والمدى الزمني، إلى أن يشعر الجميع أننا وصلنا إلى رؤية موحدة مقبولة ومعترف بها ولو بالحد الأدنى، من غير اشتراط أو افتراض بأننا سنصل إلى توحيد كل المفردات الأساسية لعقيدة أهل السنة والشيعة الإثني عشرية. وأقل ما يمكن أن نتوصل إليه هو أن ننجح في البقاء ضمن دائرة الحوار، وضمن شروطها، وأن نحمي أنفسنا جميعا من الانزلاق إلى الخصومة والصراع، أو حتى إلى مقدمات الخصومة، وهي الجدال والمناظرة.

وفي هذا المقام أود أن أقول لإخواني وأخواتي الشـــيعـة :

مع احترامي الكامل لحقكم في أن تكون لكم رؤيتكم المستقلة، وحقكم في التعبير عنهما بوضوح كامل، وبالطريقة التي ترونها فإنني سوف أكون صريحا أيضا في التعبير عما أومن بصوابه وما أومن بخطئه ، وأملك حق التعبير عن نفسي كما تملكون، ويملك كل مسلم. وفي حوارنا لا ينبغي لأي منا أن يظن أن ما يؤمن به هو الحق المطلق ؛ فالحق المطلق عند الله وحده، وهو الذي يقرر ويقبل . وهنا يلزمنا أن نستحضر ونستصحب معنا قول الله سبحانه وتعالى:

((قل من يرزقكم من السماوات والأرض، قل اللـــه، وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مـبين. قل لا تسألون عما أجرمنا، ولا نسأل عما تعملون. قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم.)) [سورة سبأ، آية 24 - 26].

هكذا علم الله سبحانه وتعالى رسوله صلوات الله عليه وسلامه، وعلمنا بالتبعية، الحوار مع غير المسلمين. ونحن المسلمين أولى بأن نلتزم بهذا التوجيه الإلهي، عندما نتحاور فيما بيننا. والنقطة التي تستحق الإضاءة والتنويه بشكل خاص هنا هي : ((... ***وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين.***)) وذلك يعني أن على كل طرف أن يضع أمامه احتمالا بأن يكون الحق مع الطرف الآخر، وهذا المتطلب هو شرط الحوار، على مائدة الحوار، وليس بالضرورة في غير مواقف الحوار. ومن غير تحقق ذلك لا يكون حــوار ، بل تكون مناظرة أو مبارزة أو شجار، أو صراع دموي.

أما النقطة الأخيرة التي أردت تركيز الضوء عليها هنا في هذه المقدمة، فهي أن الإسلام ليس دين أهل السنة وحدهم، ولا هو دين طوائف الشيعة، أو مذهب الإثني عشرية، دون غيرهم. وعندما تتناولون مفردات ومتطلبات الإيمان وغيرها لا نســتطيع أن نقول لكم : ما شأنكم حتى تتدخلوا في ديننا وعقائدنا وخياراتنا ! وهذا ينطبق عليكم أيضا ، إذ لا تستطيعون أن تقولوا لنا : لا تتدخلوا ... الخ. الإسلام عقيدة مشتركة بين المؤمنين به ومن يعلنون ولاءهم له والتزامهم به ويمارسونه عمليا، ولا يستطيع أحد أن يدعي أن له الحرية في إدخال تغييرات عليها ومع ذلك يحاول منع الطرف الآخر، أو الاطراف الأخرى، من الاعتراض أو النقد، أو التعديل والإصلاح بطريقة مختلفة. وفي ضوء ذلك أرجو أن تتسع صدوركم للحديث الصريح الذي يجلو المواقف بأعلى درجات الوضوح، دون أي لبس. إن الحديث الذي تخالطه المجاملة سيطمس جزءا أو ظلا من الحقيقة على الأقل. ولذا فإنني سأبتعد عن المجاملة تماما ، توقيا للبس والوقوع في شرك الضبابية. وهذا الذي سأقوله في الصفحات القادمة هو حصيلة ما قمت به من قراءة ودراسة، والأهم من ذلك ما قمت به من تأمل طويل في كل قضية من قضايا الخلاف، وما تعلق بها من نصوص. ولست أبالغ إن قلت إن عملية التأمل والتفكر في كل قضية استغرق من الوقت عشرة أمثال ما استـغرقته الكتابة عنها . **انتهت المقدمــــة.**

الإمــامــة والأئــمــــة :

هذا هو الموضوع الرئيسي في الخلاف بين السنة والشيعة، وما عداه إما متفرع منه، أو هو مما يمكن اعتباره هامشيا.

إن ما ورد في الفصل الثالث (ص 35 وما بعدها) عن الأئمة، تعريفهم، ووظيفتهم ، واختيارهم ومصادر علمهم، وحصرهم في اثني عشر إماما، واعتبار معرفتهم وموالاتهم والبراءة من عدوهم شرط لمعرفة الله ، ثم غيبـة الإمام الثاني عشر، وما ارتبط به من روايات، كل ذلك لا يمكن أن يـمر، أو أن نـمر به، دون مراجعة أو مناقشة، لإن مثل هذا الإهمال – إن حدث – سيكون تضييعا لعقيدة المسلمين لن يفلت مضيعوها ومن يهمل توضيحها من عقاب الله ، وهو تضييع لهدفنا الأساسي من هذا المشروع البحثي الحواري.

دعونا نأخذ بعض الأحاديث التي استعرضناها في مطلع الفصل الثالث ، وهي منسوبة إلى جعفر الصادق، وإلى والده محمد الباقر [361] رضي الله عنهما، مثالا : "***إن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حتى يعرف***" ، بينما أريد من الحديث الثاني ***شرح كيفية معرفة الله عز وجل*** : إن عبارات "الحديثين" مباشرة وواضحة تماما . ثم نقرأ حديثين للباقر: " نحن حجة الله، ونحن باب الله ، ونحن لسان الله ... ونحن عين الله، ونحن ولاة أمر الله في عباده ..." وحديث آخر منسوب للباقر : " بنا عبد الله، وبنا عرف الله، وبنا وحد الله تبارك وتعالى ...[362] "

مضمون الحديث الأول أن الله يريد أن يعرفه الناس، وأن يعرف نفسه للناس. ولتحقيق هذه الإرادة خلق الإمام ووظفه وحدد مهمته تعريف الناس بالله . ثم يأتي الحديث المنسوب إلى الباقر : " بنا عبد الله، وبنا عرف الله ، وبنا وحد الله تبارك وتعالى ..." وحديث آخر منسوب للباقر أيضا : " نحن حجة الله، ونحن باب الله .... الخ .

إن في نصوص هذه الأحاديث معان واضحة تظهر وكأن وجود الأئمة شرط لازم لكي يعرف الناس الله، ولكي يعرف الله نفسه لعباده. ثم يأتي الحديث المنسوب إلى الباقر : بنا عبد الله، وبنا عرف الله ... الخ. ، وكأنه تأكيد لهذه الحاجة حتى بعد أن سدت وقضيت، والذي قضاها هم الأئمة : بنا عبد الله، وبنا عرف الله ، ثم إن مضمون هذه التقريرات يمكن أن يفهم منها المن والتفاخر، أو حتى إسـداء شئ مهم إلى الله سبحانه وتعالى.

ألم يتوقع من صاغوا هذه الأحاديث أن يقوم مسلم عادي معترضا فيقول : "***إن الله لا يحتاج إلى معرفين، ولم ينتظر*** "الأئمـة" أو غيرهم حتى يـعرفوه . الله سبحانه وتعالى عرف نفسه بنفسه في كتابه الكريم، منذ البداية، في سورة الفاتحة أم الكتاب، وما تلاها. فالمسلم يقرأ الفاتحة في صلاته سبع عشرة مرة في ركعات الفرض، وأربع عشرة مرة في غير الفرض من السنة المؤكدة ، أي إحدى وثلاثين مرة في اليوم ، في الصلاة فقط. والفاتحة تبدأ بتعريف الله سبحانه وتعالى بأنه رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأن العبادة له وحده، وأن طلب العون منه قبل أي أحد آخر ..." ، فإذا انتقلنا إلى سورة البقرة نجدها تبدأ بتعريف أهم مصدر إلهي للتعريف بالله ، وهو القرآن الكريم الصادر عن الله سبحانه وتعالى، وفي نفس السورة نقرأ كثيرا من عبارات التعريف بالله جل جلاله، مثل ((يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون. الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ...)) ، وأكثر ما يتداول الناس من سورة البقرة آية الكرسي : ((الله لا إله إلا هو ، الحي القوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السماوات وما وفي الأرض، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما

---

361 أنظر ص 35- 36 فيما سبق من هذا الكتاب، في مطلع الفصل الثالث .

362 الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 83 .

خلفهم، ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السماوات والأرض، ولا يئوده حفظهما، وهو العلي العظيم .)) [البقرة/255]. فإذا انتقلنا إلى السورة الثالثة، آل عمران، نقرأ في مطلعها : ((أ ل م ، الله لا إلـه إلا هو الحي القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق، مصدقا لما بين يديه، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان.)) ونقرأ في السورة نفسها : ((قل اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير، إنك على كل شئ قدير)) [آل عمران/26-27]. وفي آخر سورة الحشر نقرأ ((هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمان الرحيم. هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون. هو الله الخالـق البارئ الـمصور له الأسـماء الحسـنى ؛ يسـبح له ما في السـماوات والأرض وهو الـعزيز الحكيم .)) [الحشر/22-24]. وعندما نقرأ سورة الإخلاص نجدها تعرفنا، وتعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلنا: ((قـل : هو الله أحـد. الله الصمـد. لم يلد، ولم يـولد، ولم يكن له كـفوا أحـد.)) ولا مراء في أن هذه مجرد أمثلة قليلة جدا من تعريف الله لنفسه، بحقيقته وصفاته وأعماله وآلائه ومعجزاته من خلال كتابه العـزيز. والذين يعرفون القرآن ويمارسون تلاوته بانتظام يدركون أن جـل ما ورد في القرآن الكريم إنما هو تعريف بالله سبحانه وتعالى بأبلغ وأجلى صورة .

فكيـف يزعم مدع بعد كل هذا أن "هناك حاجة رئيسية للأئمة ليقوموا بتعريف الله لعباده " !! بأي أسلوب آخر، وبأي كلام وبأي عبارات غير ما ورد في القرآن الكريم يمكن للأئمة أن يعرفوا المسلمين بالله ؟ وكيف يجرؤ مسلم بالادعاء بأنه أسدى إلى الله معروفا ، وأنه لولاه لما عرف الله ولا عبد ولا وحـد !!

وعندما مررنا بالروايات المنسوبة للأئمة ، واقتبسنا كثيرا منها في الفصل الثالث، وجدناها تعرف الله جل شأنه بأنه منحاز لهم، يفضلهم على البشر جميعا، وأنه خلقهم أرواحا قبل أن يخلق أي شئ في الكون، وكتب أسماءهم على قوائم العرش، وجعلهم أبوابه وأنه أعطاهم الفئ والأنفال وورثهم إياها بعد وفاة رسول الله، وأعطاهم السلطة المطلقة والعصمة وعلم الأولين والآخرين ، وحقا حصريا في تحديد وتفسير معاني النصوص القرآنية، ومتطلبا بالطاعة والخضوع والاتبـاع من جانب المسلمين جميعا، ومن كل فرد منهم على حدة، دون فسحة للمراجعة والمناقشة ، وأنه جعل آدم عليه السلام يتوسل بهم، وأنه قبل توسل آدم وتاب عليه. وقد قيل هذا كله على الرغم مما نقرؤه في كتاب الله تعالى : ((إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين)).

ثم ماذا ؟ ثم مقولات وروايات متعســفة ومتجاوزة لكل معقول في تأكيدها أن الأئمة يعلمون الغيب ماض وحاضر ومستقبل، ويعرفون جميع لغات البشر والحيوانات والطير، ويعرفون ما يختلج في نفوس الناس وعقولهم، بجانب سلطتهم ، أعني الأئمة ، في إدخال أي فرد من الناس إلى الجنـة أو النار، وغيبة أحدهم وامتداد حياته أكثر من ألف ومائتي سنة، وفرض انتظار عودته ليفتح القسطنطينية وينقذ العالم، ويصلي خلفه عيسى بن مريم، وينتقم من قبيلة قريش في مكـة فيبيـدها عن آخرها بقتل 1500 فرد منهم تنهيهم جميعا ومعهم كثير من عبيدهم... إلى آخـر هـذه المقولات التي نستسمحكم يا إخواننا وأخواتنا الإثني عشرية بوصفها بـ "الأسطورية" ونعتذر لكم عن استخدام هذه الكلمة ، لأنني لم أجد لفظة أخرى تعبر عن المعنى المقصود بصدق غيرها .

ثم إن **الأئـمـة** – حسب اعتقادكم يا إخواننا وأخواتنا - توفاهم الله جميعا بين سنتي 40 للهجرة و 260 للهجرة [363]. ثم غاب الأخـر – حسب قولكم - ومضى على غيابه ما يقرب من ألف ومائتي

[363] أنظر تواريخ ولادتهم ووفياتهم مفصلة، واحدا بعد الآخر في ص 44 فيما سبق من هذا الكتاب، ضمن قائمة أسماء الأئـمـة .

سنة ، وبذلك يفترض – حسب المقولة الشيعية – أن مصدر الهداية الوحيد، أي الأئمة، خلال هذه الاثني عشر قرنا كان مفقودا ، وسيظل مفقودا إلى يوم القيامة، أو إلى أن يتجرأ بعض النابهين المصلحين منكم – وهم كثيرون - أو يمتلكوا الجرأة لإعلان الحقيقة. فهل عاش المسلمون كل هذه القرون بغير معرفة بالله ، وهداية من الله، لأن "***الوسطاء المعرفين***" توفاهم الله ، ثم غاب آخرهم، الثاني عشر، ألفا ومائتي سنة وما زال غيابه وموعد عودته مفتوحا، "عجل الله فرجه" ؟ ؟

وسؤال آخر لا بد أن يحوك في النفوس، ثم يضغط ليخرج بصرخة : ما الهدف من تأخير عودة الإمام الغائب إلى ما قبل يوم القيامة ؟ وهل تقبل عقولنا الادعاء بأن الله سبحانه ترك المسلمين والبشرية كلها مرتعا للانحراف والظلم كل هذه الفترة، وحتى يعود الغائب ويقيم العدل قبل يوم الحساب ، ولمدة تسع عشرة سنة ؟ وكيف توصل المنظرون إلى أن هذا الخيار هو ما اختاره الله للبشرية، وهو الرحمان الرحيم الهادي إلى سواء السبيل ؟

إنني أعتقد أن هذه الأحاديث المزعومة وأمثالها، مما ننزه الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق، وكل مسلم صالح تقي، عن التلفظ بهما وبأمثالهما ، إنما هي جزء صغير من سيل، أو سيول، الدعاية السياسية من أمثالها ، وكلها لا تمت إلى عقائد الإسلام بأية صلة . والسقوط في مستنقع الدعاية السياسية لم يكن نهجا خاصا بالشيعة أو بالإثني عشرية وحدهم، بل مارسه بعض من السنة أيضا، وبعض المحسوبين على السنة، خاصة بنو أمية وبنو العباس وأنصارهم، قبل ما يزيد على ألف سنة؛ لكن الدعاية السياسية المنسوبة إلى السنة انتهت بعد ذهاب الأمويين والعباسيين، والمتبقي الآن هو التكفير المتبادل على مستوى البسطاء والجهلة من عامة الناس، بجانب أولئك المسرفين في التعصب، ومن عجزوا أو تكاسلوا، أو لم يرغبوا في التحرر من التعصب الأعمى ، وبجانبه إصرار على توجيه السباب إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . ولذا فإننا بحاجة ، أنتم ونحن ، للتخلص من مخلفات وذكريات الدعاية السياسية ، خاصة تلك التي اختارت التهويل المسرف، والقفز عن الحقائق وتجاهلتها واستهانت بها، وسبحت وسط ضباب وغيوم الأساطير والخرافات. لقد اكتفينا بالتعليق على هذه الأحاديث القليلة، إذ لا يتسع المجال للتعليق على كل الأحاديث والادعاءات التي أوردناها في الفصل الثالث، أو أن نعلق على المئات بل الآلاف منها ، مما تزخر به المصادر الإثني عشرية، مما اقتبسناه في الفصول السابقة ومما تركناه لضيق المجال. ويكفينا أن لكم عقولا تستطيعون أن تدركوا بها الصحيح من السقيم، وندعو الله لأنفسنا ولكم بالهداية. إنني أدرك أن بعض إخواننا الشيعة قد يستعظمون أن أصف شيئا من الأحاديث المنسوبة إلى الباقر والصادق رضي الله عنهما، أو إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بأن نسبتها إلى هؤلاء الأعلام غير صحيحة، وأنها جزء من الدعاية السياسية، لكن جعفر الصادق نفسه – رضي الله عنه - قال : "***ما أكثر ما يكذب الناس على علي.***" وقد نقل الكليني عن جعفر الصادق كذلك أنه قال : **"عجبا لأقوام يدعون على أمير المؤمنين عليه السلام ما لم يتكلم به قط [364]..."** ولم يقف الأمر ضمن دائرة الأحاديث فقط، بل تعداه إلى **تأليف الكتب المشحونة باللغو والتخرصات والأباطيل التي نسبها المزورون "إلى جماعة من شيوخ أهل الحق [365]..."** أي أن الذين مارسوا الدعاية السياسية زوروا كتبا ونسبوها إلى شيوخ الشيعة وعلمائهم البارزين ، كما روى الشيخ المفيد العكبري. وفضلا عن ذلك فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام [الإمام الخامس في القائمة] أنه ***ذكر الغلاة، ووصفهم بأنهم : "قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا ، فليس أولئك منا ولسنا منهم [366] ."*** كذلك فقد روي عن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو محمد الأكبر الملقب بابن الحنفية، أنه قال : "***أهل بيتين من العرب يتخذهما الناس أندادا من دون الله، نحن وبني عمنا هؤلاء ؛ يعني بني أمية*** ورواية أخرى في نفس الصفحة : ***نحن أهل بيتين من قريش نتخذ من دون الله أندادا، نحن وبنو أمية . [367] ."*** وهذه العبارات لا تتضمن ذما واستنكارا للمغالين من أنصار العلويين والأمويين فحسب، بل أنها تعتبرهم كفارا إذ بلغ بهم الغلو اتخاذ العلويين والأمويين أندادا من دون الله.

---

364 محمد بن يعقوب الكليني ، ***أصول الكافي*** ، ص 450 ، الحديث رقم 10 من باب التقية ، وانظر كذلك ص 80 من ***أصول الكافي***. وقد أشار العكبري – الشيخ المفيد – إلى التزوير ونسبة الكتب المزورة إلى الأئمة ، وذلك في رسالة المسائل السروية من كتاب ***مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة*** ، ص 37 – 38 .، والعكبري كان رئيس الطائفة الإثني عشرية في عصره ، وقد توفي في بغداد ، أوائل القرن الخامس الهجري، سنة 413 هـ ، في عصر البويهيين .

365 العكبري ، رسالة المسائل السروية ، ضمن كتاب ***مسار الشيعة*** ، ص 37 - 38 .

366 أبو الفضل علي بن الحسن الطبرسي, ***مشكاة الأنوار في غرر الأخبار*** (قم المقدسة : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، 1423 هـ. ق.)، المجلد الأول ، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ص 145 .

367 محمد بن سعد ، ***الطبقات الكبرى*** ، المجلد 5 ، ص 94 ؛ وقد توفي محمد بن الحنفية سنة 81هـ ، بينما توفي ابن سعد سنة 250هـ.

ولقد تناول كاتب شيعي لبناني حديث موضوع الكذب والوضع في تاريخ المسلمين، عند السنة وعند الشيعة سواء ، فكان مما ذكره أن الأمويين أسرفوا في التهجم على أهل البيت وأنصارهم، فلما زال الكابوس الأموي أخذ الشيعة يردون بكشف "زيف تلك المرويات" الأموية التي انتشرت في كل مكان. ***ولم يتردد "ضعفاء الإيمان من الشيعة " في وضع "بعض المرويات ليقابلوا الباطل بباطل مثله ، وأن يستغل الزنادقة والمندسون بين صفوف الشيعة هذا الجو ليضعوا فيه ما يشاءون ..."***[368] والسيد هاشم الحسني لم يقف عند "ضعفاء الإيمان من الشيعة" بل تجاوز ذلك وذكر "الزنادقة والمندسين في صفوف الشيعة".

من هم الغلاة ؟

من خلال أساليب الجدل التي يتقنها أخواننا الشيعة ويحرصون على تدريسها لمنتسبيهم، ومع استحضار عقيدة التقية في تعاملهم مع الآخر غير الشيعي، أو العدو، فإنهم يتملصون من المواجهة، ومن الإجابة عندما يسألون عن كثير من المقولات المغالية في الأئمة، أو التي تسرف في الشتائم والعداء والاتهامات والإزراء ببعض الصحابة، خاصة بالنسبة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، يسارع الإثنا عشرية بإحالة ذلك على المتطرفين والغالين والمندسين. وبهذا التملص يبرءون أنفسهم وشيوخهم، ويحيلون التهمة إلى مجاهيل. لكن الحقيقة أن الغلو يظهر فيما دونه أكبر محدثي الشيعة وفقهائهم على الإطلاق في مؤلفاتهم ، سواء بالرواية عن أسماء وهمية، أو مجاهيل ، مثل : "عن رجل من أهل فارس"، أو "عن جماعة من أصحابنا"، أو عن أحد الصحابة المشهورين، مثل جابر بن عبدالله، أو أبي سعيد الخدري، أو عبدالله بن عمر. ثم يقولون ضمنا، أو صراحة أن كبار رموز السنة يقولون ذلك.

ومثل هذا الغلو نجده في روايات ومؤلفات أكبر وأشهر أربعة من محدثي إخواننا الإثني عشرية : محمد بن يعقوب الكليني، ومحمد بن علي بن بابويه القمي، ومحمد بن الحسن الطوسي، ومحمد بن محمد بن النعمان العكبري؛ وفي العصر الحديث نقرأ مثل هذا الغلو في كتابات السيد محمد باقر الصدر رحمه الله. وقد اقتبسنا كثيرا من مقولات الغلو من مؤلفات كل هذه الشخصيات الخمسة، للأسف الشديد.

وهنا – في هذه الدراسة - ومن خلال الروايات الدعائية التي استعرضنا بعضها، وأشرنا إلى غيرها مما يعد بالمئات، بل بالآلاف - منسوبة إلى رسول الله أحيانا، وإلى علي بن أبي طالب، أو الباقر أو الصادق وغيرهم من أحفاده - لا نجدها تستهدف إعلاء شأن "شعب مختار"، ولا حتى قبيلة أو عائلة ، إنها تتحدث عن شريحة صغيرة من عائلة، بل إنها تنتزع كل شخص من مجموعة إخوانه أبناء أبيه لتكون من مجموع الأسماء المنزوعة الشريحة الصغيرة التي أشرنا إليها : الحسن والحسين انتزعتهما الروايات من أبناء علي الإثني عشر، واعتبرتهما وحدهما من أهل البيت دون بقية إخوانهما وأخواتهما. موسى الكاظم انتزعته من بين أبناء جعفر الصادق وجعلته من أهل البيت واستبعدت إخوانه الآخرين وأخواته، واستمرت تنتزع الواحد بعد الآخر من بين إخوته حتى وصلت إلى الحسن العسكري ، الذي وضع في خانة الإثني عشر المقدسين فوق البشر جميعا، بينما استبعد أخوه جعفر ووضع في خانة المارقين. إنني لا أوافق من يصفون هذا النهج بالعنصرية ، لكنني أود أن يفهم

---

[368] هاشم معروف الحسني، ***الموضوعات في الآثار والأخبار ، عرض ودراسة*** (بيروت : دار التعارف للمطبوعات، 1987/1407) ، ص 112 - 113.

القراء الحقيقة ويعوها بأنفسهم، ويتصرفوا على أساس هذا الوعي ، وأن يطلقوا الأسماء التي يرونها مناسبة وصحيحة إن وجدوا ضرورة لذلك أو وجدوا فيه نفعا .

أما الزعم بأن الله هو الذي اختار الأئمة، وأن أسماءهم مكتوبة على قوائم العرش، وأن الله خلق أرواحهم من نوره دون سائر البشر، وأنه خلق أبدانهم من طينة مخصوصة أسكن فيها أرواحهم، وأنه خلق أجساد أتباعهم من طينة خاصة دون الطينة الأولى، كل ذلك إنما هو مجرد امتداد واستمرار لنهج الدعاية السياسية. وهنا نجد هذه الدعاية تسرف في احتقار بقية المسلمين، بل وبقية البشر جميعا. لقد تغلب الدعائيون الإثنا عشرية على الدعائيين الأمويين بدرجة كبيرة ؛ ذلك أن أقصى ما وصل إليه مزورو المقولات الدعائية الأموية أنهم زعموا أن الله أهدى لمعاوية بن أبي سفيان قلما من الذهب الأبريز ليكتب به آية الكرسي، كما زعموا أن الله أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أن يستكتبه ويأتمنه على وحيه [369] ، وأنه قدمه على أبي بكر وعمر [370]. رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حربا على العنصرية، وكذلك كان علي كرم الله وجهه والصادقون من أبنائه وأحفاده. لقد كان نبراسهم ومصدر أرشادهم قول اللــه تعالى في سورة الحجرات، الآية رقم 13 : ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم...)) ، وقوله تعالى في سورة التوبة [آية 24] ((قل إن كان أباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها، أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ...)) . ومن هنا كان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه." ، وقوله لأقاربه : "لا يأتني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم."

والحديث الذي رواه الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري (***الإختصاص***، 211-212) منسوبا إلى جعفر الصادق رضي الله عنه، وما فيه من قصة ***صحيفة فاطمة*** ، وما نقله النعماني عن الوصية التي نزلت مكتوبة من السماء تضم اثني عشر خطابا (رسالة) مختومة، لكل إمام كتاب، فضه وقرأه، كل ذلك إنما جرت صياغته وترويجه في الفترة التي انشغل خلالها منظرو الإمامية بالدعاية السياسية الساذجة في النصف الثاني من القرن الثالث، وما بعده ، وذلك ما ننزه الإئمة عنه، على الرغم من أنه مدون في أهم المصادر الشيعية الإثني عشرية الأكثر احتراما وتقديرا عند أخواننا الإمامية . وهذا مما نأسف له، لكنه لا ينبغي أن يمنعنا من قول الحقيقة كما نؤمن بها ، وذلك ما نعتبره واجبنا، ومن حقنا، كما نعتبره حقكم علينا في ضوء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم." وهنا وجدت لزاما علي أن أنوه وأؤكد ثانية وثالثة، أنني لا أخص إخواننا الإثني عشرية وحدهم بممارســة الدعاية السياسية، فقد كنت تناولت موضوع "الدعاية السياسية في عهد معاوية" ضد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وضد أنصاره، مثل ما فعلت بالنسبة للدعاية السياسية العباسية كذلك، خاصة ما حدث منها في عهد الخليفة العباسي الثاني ، عبدالله بن محمد، الملقب بأبي جعفر المنصور. لكن الخطأ الذي وقع فيه إخواننا الإثنا عشرية هو أنهم نسبوا الدعاية السياسية المعادية لهم – من جانب الأمويين والعباسيين – إلى أهل السنة، وما زالوا ينسبونها حتى الآن ، في حين أن جهود كل من الأمويين والعباسيين كانت لصالح الأسرة والعشيرة فحسب. هذا فضلا عن أن الأمويين والعباسيين هم أبناء عمومة العلويين،

---

[369] إبن عساكر ، ***تاريخ دمشـــق*** ، مجلد 21 ، جزء 62 ، ص 50- 51 ؛ وانظر : عبدالله أبو عزة ، ***إنهيار الحضارة العربية الإسلامية وسبيل النهوض***، ص 87 , وعن الدعاية السياسية الأموية أنظر الصفحات 79 – 88 من نفس كتاب ***إنهيار الحضارة ...***

[370] ***معجم الطبراني*** ، جزء 8 ، ص 106 – 107 ؛ إبن عساكر، ***تاريخ دمشق***، مجلد 21، ج 62 ، ص 160 . (توضيح : تاريخ ابن عساكر يقع في ثمانين جزءا . وفي هذه الطبعة الكاملة – وهي الأولى – صدر في أربعين مجلدا ، حيث جمع كل جزئين في جلد واحد.)

حيث يلتقي العلويون والأمويون في جدهم المشترك : ***عبد مناف*** بن قصي، وهو والد هاشم وأمية. أما العباسيون فيلتقون مع العلويين في عبدالمطلب، إذ أن أبا طالب ، والعباس ، هما ابنا عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب [371]...

الصفات الخارقة المنسوبة للأئمة:

لعل القصة التي قدمها لنا شيخ الطائفة ، محمد بن الحسن الطوسي في أماليه عن مولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في جوف الكعبة [372] أغرب ما يمكن أن نتصوره، أو أن يقدم على قوله أو روايته مسلم، أو حتى إنسان سوي. والعجب هنا مزدوح ، فهو مما نسب إلى علي عليه السلام، ثم العجب من فعل الشيخ الطوسي، وهو شيخ الطائفة الإثني عشرية في عصره، وهو واحد من بين الثلاثة الفقهاء الأبرز من بين محدثي وفقهاء الإثني عشرية (الكليني، وابن بابوية، والطوسي)، ومع كل هذه المكانة يملي على تلاميذه ومريديه ، في درس الجمعة الأسبوعي، هذه القصة التي تفضح كلماتها ما فيها من تناقض وتؤتصادم مع أبسط مقتضيات التفكير العاقل : علي يتحدث بعد ثلاثة أيام من ولادته، ويضحك ويهتز لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول السلام عليك يا رسول الله ورحمته وبركاته، ثم يتنحنح ويقرأ صدر سورة المؤمنون، إلى نهاية الآية الثانية عشرة من السورة.
والغريب : أن مزور هذه الحكاية الأسطورة نسي أن عليا عليه السلام ولد قبل البعثة النبوية بعشر سنوات، في السنة الثلاثين بعد عام الفيل، كما تخبرنا كل المصادر الشيعية وغير الشيعية، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن قد كلف بالرسالة، ولم يكن يدعى رسول الله عند ولادة علي، بل كلف بالرسالة بعد ذلك بعشر سنوات، وأن سورة "المؤمنون" لم تكن قد أنزلت على رسول الله، ولم يكن محمد بن عبدالله يعرفها قبل نزولها . ومن التزويق المضحك : أن عليا تنحنح قبل أن يقرأ " بسم الله الرحمن الرحيم. قد أفلح المؤمنون ..." كما يفعل العجائز من القراء قبل أن يبدءوا بالتلاوة **!!** [373].
لقد أخبرنا القرآن الكريم أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام هو الذي تكلم في المهد، وليس علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

التفاخر المنسوب إلى علي رضي الله عنه:

لقد كان من بين ما نسبه الكليني إلى جعفر الصادق رضي الله عنه رواية بأن "أمير المؤمنين عليه السلام ***باب الله الذي لا يؤتى إلا منه ، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وبذلك جرت الإئمة عليهم السلام واحدا بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بهم، والحجة البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى ..."*** ، ثم نسب لعلي رضي الله عنه أنه قال عن نفسه :

" أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم. ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح بمثل ما أقرت لمحمد صلى الله عليه وسلم، ولقد حملت على مثل حمولة محمد، وهي حمولة الرب، وإن محمدا صلى الله عليه يدعى فيكسى ويستنطق، وأدعى فأكسى وأستنطق فأنطق على حد منطقه [374]. ولقد أعطيت خصالا لم يعطهن أحد قبلي : علمت علم المنايا والبلايا، والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب

---

[371] أنظر محمد بن إسحاق ، ***السيرة النبوية*** ، ص 17 ؛ محمد بن يزيد المبرد ، ***نسب عدنان وقحطان*** ، ص 10- 11.
[372] الطوسي ، ***كتاب الأمالي*** ، ص 981 - 982 ، درس يوم الجمعة رقم (42) بتاريخ 24 من ذي القعدة سنة 457 للهجرة.
[373] أنظر ص 42 – 44 فيما سبق من هذا الكتاب، ضمن الفصل الثالث .

عنى ما غاب عني. أبشر بإذن الله وأؤدي عن اللـه عز وجل، كل ذلك مكنني الله فيه بإذنــه ... أنا قسـيم اللـــه بين الجنــة والنار ، لا يدخلها داخل إلا على حد قسمي ، وأنا الـفــاروق الأكــبر، وأنا الإمام لمن بعدي، والمؤدي عمن كان قبلي، لا يتـقـدمني إلا أحـمد عليـه الصلاة والسلام ... [375]".

وكان مما نسب إلى أمير المؤمنين علي أيضا:

" أنا قسيم النار، أقول هذا ولـيـي دعـيــه ، وهـذا عـدوي خـذيـه [376] ."

ومما نسب إلى أمير المؤمنين علي من تفاخر أيضا :

عنعنة ... عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : " قلت: أربع أنزل الله تصديقي بها في كتابه، قلت : المرء مخبوء تحت لسانه، فإذا تكلم ظهر ، فأنزل الله تعالى : ((ولتعرفنهم في لحن القول)) [سورة محمد، /30]، قلت : فمن جهل شيئا عاداه ، فأنزل الله تعالى : ((بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه.)) [يونس/39]، وقلت : قدر – أو ... قيمة كل امرء ما يحسن، فأنزل الله في قصة طالوت : ((إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم)) [البقرة/247]، وقلت : القتل يقل القتل، فأنزل الله : ((ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب)) [البقرة/179] [377]

هذا التفاخر المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يكن من شيمة أمير المؤمنين، بل كان مما يمقته ؛ فكيف يغفل عن قول الله تعالى : ((ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ...)) ؟ وهذه العبارات المنسوبة إليه تظهر فيها مشاعر المزاحمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك ما ننزه عنه أمير المؤمنين علــي ؛ هي لغة الغارقين في الدعاية العاطفية. ثم إن هذا التصوير المنكر الذي يجعل الباري تعالى اسمه يوظف حاجبا على بابه يتحكم في وصول الناس إليه ، وفي إدخال الناس إما إلى الجنة أو إلى النار، ولا يسمح بالجنة إلا إلى جماعته وأنصاره ، كما يفعل بعض السياسيين الفاسدين من أصحاب المناصب العالية؛ ثم ادعاء هذه المزاحمة وهذا التسابق مع نزول القرآن ، وأنه سبق القرآن بالمقولات ذات المعاني الصائبة وأن القرآن جاء فيما بعد يصدق مقولاته !! كيف نصدق أن أمير المؤمنين عليه السلام يمكن أن يقول كل هذا ؟

وتأكيدا لصحة رؤيتنا هذه فإننا نستعرض نصا من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام أوردها محمد بن يعقوب الكليني نفسه ، وهي تكذب كل هذا التفاخر الذي نسب إلى علي رضي الله عنه :

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخاطب جمعا من أنصاره :

" أما بعد ، فقد جعل اللـــه لي عليكم حقا بولاية أمركم ... ولكم علي من الحق مثل الذي لي

عليكم ... فهلم أيها الناس إلى التعاون على طاعة الله عز وجل ... فإنه ليس العباد إلى شئ أحوج منهم إلى التناصح في ذلك وحسن التعاون عليه ... ثم ليس امرؤ وإن عظمت في الحق منزلته ... بمستغن عن أن يعان على ما حمله الله عز وجل من حقه، ولا لامرئ مع ذلك خسأت به الأمور، واقتحمته العيون بدون ما أن يعين على ذلك أو يعان عليه ... إن من حق

---

[375] الكليني ، ***أصول الكافي***، ص 112 – 113 ؛ وانظر الفصل الثالث فيما سبق، ص 41 – 44 .

[376] محمد ابن الحسن الطوسي، ***كتاب الأمالــي*** ، مجلس يوم الجمعة رقم (30) بتاريخ جمادى الثاني سنة 457 هـ، ص 897.

[377] الطوسي ،***كـتـاب الأمـالـي*** ، ص 730 – 731 .

من عظم جلال الله في نفسه، وجل موضعه في قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك عن كل ما سواه ... وقد كرهت أن يكون قد جال في ظنكم أنني أحب الإطراء واستماع الثناء، ولست بحمد الله

كذلك. ولو كنت أحب أن يقال لتركته انحطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء ... فلا تثنوا علي بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من البقية في حقوق لم أفرغ من أدائها، وفرائض لا بد من إمضائها. فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة[378] ، ولا تخالطوني بالمصانعة ، ولا تظنوا بي استثقالا[379] في حق قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي لما لا يصلح لي ، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه. فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل ، فإني لست في نفسي بفوق ما أخطئ[380]، وما آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني ، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره[381] ..."

هذا هو علي بن أبي طالب الحقيقي، بتواضعه ، وكرهه الثناء ، وأن يصانع بالنفاق، وهو الذي يعلن حاجته إلى النصيحة، وأنه ليس بعيدا عن أن يخطئ ، ولا يأمن ذلك من نفسه إلا أن يحميه الله من ذلك ، وأن أي فرد مسلم مهما كان بسيطا أو مستصغرا، يمكن أن يقدم عونا لأمير المؤمنين.
وبهذا القول لم يبق هناك أي مجال لتصديق ادعاء من ادعى من الرواة أن عليا والأئمة من بعده كانوا معصومين من الخطأ . وبجانب ذلك فإن هذا الذي قاله أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ينفي كل ما قيل بحق الأئمة الباقين من أولاده، من ادعاء علم الغيب، وما كان وسيكون إلى يوم القيامة، ومعرفة كل لغات العالم، ولغات الطيور والحيوانات. كل ذلك لم يعرفه الأئمة الحقيقيون ولم يتفوهوا به ، وإنما قاله وألفه أولئك الذين جاءوا من بعدهم – في القرن الثالث الهجري وما تلاه -- وانغمسوا في الصراع السياسي والدعايات السياسية تحت رايات مذهبية تفيض منها مشاعر التعصب المذموم، وفي إطار موجات من الحماسة المذهبية المسرفة ، المدفوعة بالرغبة الجامحة في الانتقام الأعمى، أو في الإفساد والإضلال .

القرآن الكريم :

القرآن الكريم إحدى مفردات الإيمان الأساسية، هذا ما يعلنه السنة وما يعلنه الشيعة ، وهو ما أعلنه القرآن الكريم عندما حدد منذ البداية مفردات الإيمان. غير أن الموقف من القرآن ورؤية الفريقين إلى حقيقته لا تظل متوازية متناسقة بهذا الوضوح، بل يغشاها بعض الغبش والغيوم، وتحت الغبش والغيوم يكتشف من يريد البحث عن الحقيقة أن هناك انشعابا بحيث يصير الموقف الواحد موقفين، والمسار مسارين. والمشكلة تنطوي على خطورة لا تسمح بتجاهلها من جانب الحريصين على إزالة أسباب التباعد والفرقة والشكوك .

فمما مر معنا من النصوص خلال الفصل الرابع، عند حديثنا عن تعامل إخواننا مع القرآن الكريم ، نجد المشكلة تتجسد في أربع نقاط :

---

378 البادرة : الحدة ، والإسراع بالغضب ، حسب المعجم الوسيط، ومختار الصحاح.

380 وهذا النص ينسف كل الروايات التي نسبت العصمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وإلى بقية الأئمة رضي الله عنهم .

381 الكليني ، *أصول الكافي* ، ص 838 – 839 .

أولا : نقل وتبني أحاديث تنفي عن القرآن الذي تضمه المصاحف المتداولة صفة الاكتمال وتدعي أن فيه نقصا كبيرا، وذلك مثل القول بأنه : "لم يجمع القرآن كله إلا الأئمـة، وأنه محيت من القرآن أسماء الأئمة [382] ،

ثانيا : إدخال تغيير في نصوص الآيات، مثل إدخال أسماء وعبارات ليست موجودة في المصاحف التي بأيدي المسلمين مع التأكيد بأن هذه الصورة - التي تخالف ما في المصاحف المتداولة - هي التي نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم [383]،

ثالثا : إذا نسب النص القرآني شيئا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سارعت الأحاديث الإثنا عشرية إلى إلحاق الإئمة برسول الله ودمجهم في مدلول الحكم، على اعتبار أنهم ورثوه،

رابعا : وقد اختار "الدعاة المتحمسون" كل الآيات التي تصف المؤمنين وجزاءهم ومآلهم فأتوا بروايات تحمل الادعاء بأن تلك الآيات نزلت في علي، أو الحسن والحسين ، أو في فاطمة، رضي الله عنهم أجمعين، أو نزلت في الأئمة بشكل جمعي وحصري. وبالمثل فإنهم يعمدون إلى الآيات التي تتكلم عن الكفار أو العصاة، وعن عقابهم ومصيرهم يوم القيامة ويدعون أنها نزلت في بعض الصحابة، وفي كل من لم يتبع الأئمـة ، ويؤمن بهم مثل إيمان إخواننا الإثني عشرية ؛ كل ذلك مع عدم وجود أي دليل على التخصيص ما خلا ادعائهم.

أهـل الـبـيـت :

من الواضح أن أهل البيت في مفهوم إخواننا الشيعة الإثني عشرية يختلف عن مفهوم بقية المسلمين. لقد حصر صناع النظرية الإثني عشرية أهل البيت في خمسة أشخاص : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فاطمـة رضي الله عنـها، الحسن والحسين رضي الله عنهما. ومن المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي بينما كان سن الحسن سبع سنوات ، وسن الحسين ست سنوات . ولم يتردد المنظرون من إخواننا في إعلان استبعاد زوجات رسول الله صلى الله عليه من مدلول عبارة ***أهل البيت***، مع أن الأصل في الاستعمال اللغوي والاجتماعي العادي أن أهل بيت الرجل هم زوجته – أو زوجاته - وأولاده كما أشرنا في الفصل التمهيدي ، فضلا عن أن الآية التي تحدثت عن أهل البيت جعلت أمهات المؤمنين في صلب أهل البيت، على الرغم من كل الجدل العابث وغير المنطقي حول الموضوع . أما عملية الاستبعاد الثانية فاستهدفت أولاد علي الآخرين من زوجاته الأخريات، وعلى رأسهم محمد بن علي، المشهور بابن الحنفية، لأن أمه كانت من بني حنيفة، واستبعاد أحفاده منهم. وقد صاحب محمد ابن الحنفية والده وخاض معه كل المعارك ، وكان يتقدم الصفوف ويحمل الراية أحيانا، بينما يؤخر الحسن والحسين ضنا بهما عن مواجهة الخطر. فإذا وصلت الروايات الإثني عشرية إلى الجيل التالي وما بعده حرصت

---

[382] أنظر ص 64 – 65 فيما سبق، ضمن الفصل الرابع من كتابنا هذا.

[383] أنظر الصفحات 65 – 67 فيما سبق.

على ضغط حجم امتداد ***آل البيت*** فحصرته في تسعة أشخاص آخرين هم بقية الأئمة الاثني عشر المفترضين في القائمة الإثني عشرية، مع استبعاد كل من لم يقع عليه اسم الإمامة من الامتدادات االأخرى المتشعبة في كل الاتجاهات، بالنسبة لفروع الإسرة العلوية ، الإخوان والأعمام وبني العمومة. وهؤلاء التسعة المضافون بل الثمانية[384]، لم يكونوا قد ولدوا عند نزول الآيات القرآنية المستخدمة في الجدل ، بل حدثت ولادة أولهم بعد سنوات وعقود من السنوات طويلة منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطاع نزول الوحي. أما الامتداد الأفقي المتجه إلى الأمام فقط، إلى المستقبل، بالنسبة لنسل الحسين بن علي رضي الله عنه ، فقد قطع امتداد آل البيت إليه بسد قوي ؛ وذلك السد هو الإمام الغائب ، الذي يصر أخواننا الإثنا عشرية على أن حياته ما زالت ممتدة منذ سنة 255 هـ/ 869م ، وستستمر إلى ما قبيل يوم القيامة. وقد حولوا هذا الافتراض إلى مكون رئيسي من مكونات العقيدة يزاحم عقيدتنا المشتركة في "أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله."

ولقد أشرنا في الفصل الثاني (ص 23- 38) إلى الأدوات التي استخدمت لإشاعة وتثبيت هذه المقولات وهذا التصور لمدلول أهل البيت، ولن نحاول تكرارها هنا، بل سنكتفي بطرح بعض الملاحظات التي تكشف تناقض هذه الادعاءات مع الحقيقة .

إنني أنزه الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه عما نسب إليه من أحاديث بشأن الخمسة النورانيين الذين حصر مدلول أهل البيت فيهم، وأولها الحديث الذي نسبه إليه محمد بن يعقوب الكليني، وأعتبر أن هذه النسبة ليست أكثر من محاولة لتوظيف اسم ومكانة الإمام الصادق لإعطاء الادعاءات صدقية غير موجودة فيها في واقع الحال.

بـيـت أم سـلـمـة:

أما الأحاديث والقصص التي نسبت لأم سلمة رضي الله عنها وما افترض أنه حدث في بيتها فإنها تحمل في طياتها أدلة نقضها ودحضها. لا بد لأي عاقل يمر بمثل هذه المقولات أن يتساءل : إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أراد أن يحدد ويعلن أن الأشخاص الذين يشملهم مدلول أهل البيت هم فقط علي وفاطمة والحسنين، بالإضافة إلى النبي نفسه ، فلماذا يستدعيهم إلى بيت أم سلمة ؟ هل أراد إعلان هذا "المرسوم" أو "البيان" إلى أم سلمة وحدها مع إعلامها بأنها مستبعدة من أهل البيت ، حسب معظم الروايات ؟

ألم يكن الأولى والأنسب – بدرجة كبيرة – أن يكون إعلان البيان في مسجد رسول الله أمام جمهور المسلمين من المهاجرين والأنصار، بعد دعوة عامة بنداء "الصلاة جامعة" كما جرت العادة ؟

ثم . ما هذا التصور الساذج في رسم ألوان الحديث : أخذ الكساء، وقال لهم : أدخلوا تحت الكساء ، ليجعل عملية الحصر تحت غطاء مادي من القماش. أما أم سـلمة التي التي زعم الرواة أن ذلك كله جرى في بيتها فتستبعد بعبارة قاسية ، حسب إحدى الروايات : " قومي ، تنحي عن أهل بيتي " !!

آيــة الــتـطـهـير :

384 يكونون ثمانية إذا استبعدنا من سـمي بالإمام الغائب الذي لم يولد ولم يغب ولن يعود .

لقد وردت الآية ضمن سياق طويل استغرق ثماني آيات من سورة الأحزاب (الآيات 28 – 35) وكانت الإشارة إلى التطهير هامشية، ولم يكن التطهير هو موضوع ذلك السياق القرآني. لقد بدأ الخطاب القرآني موجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا.)) وهذه الآية رقم 28 تحدد الموضوع الرئيسي للسياق المكون من ثماني آيات . لقد كان الموضوع حالة احتقان في علاقة الرسول ببعض زوجاته، فخاطبه الله ووجهه لقول ما ورد في الآية رقم 29. ثم يأتي خطاب من الله العلي الأعلى موجها مباشرة إلى نساء النبي بدءا بالآية رقم 30 واستمرارا إلى نهاية الآية رقم 35 . والدليل أن هذا الخطاب كان موجها من الله تعالى لنساء النبي هو : ((ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما.)) فكلمة "***نـؤتـها***" وعبارة : "***أعتدنا لها***" تشير إلى المتكلم، فهي ليست من كلام الرسول صلوات الله عليه وتسليمه. ويجمل بنا أن نستحضر النص الكامل لتحقيق وضوح أكبر، مع الاعتذار عن التكرار :

((يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا.(28) وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما.(29) يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين، وكان ذلك على الله يسيرا.(30) ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما.(31) يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ، إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض، وقلن قولا معروفا.(32) وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.(33) واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة؛ إن الله كان لطيفا خبيرا.(34) إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عـظـيمـا.(35).

والنص بكامله يظهر بكل وضوح أن زوجات الرسول من صميم أهل البيت ، جزء ، ولكـنهن لسن كل أهل البيت . ولقد كان الخطاب الإلهي المباشر في هذا السياق الكامل بدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم باعتباره رأس أهل البيت ومركزهم، وكان علي رضي الله عنه قد تربى في بيت رسول الله منذ الصغر ، وفاطمة بنت رسول الله ، وولداها حفيداه. وهذا الجمع الذي ضم ذكورا وإناثا لا يستخدم ضمير التأنيث الجمعي للدلالة عليه ، كما جادل بعض المسرفين في عصبيتهم المذهبية لاستبعاد زوجات النبي من مفهوم أهل البيت بحجة أن النص لم يستخدم فيه ضمير التأنيث الجمعي . ومما يدعو للعجب والدهشـــة في آن واحد أن يقال: إن الخطاب الإلهي خرج عن مخاطبة نساء النبي "الغريبات والمستبعدات من أهل البيت" وانتقل لمخاطبة أهل البيت ، في جزء صغير من آية واحدة هـي الآية رقم ثلاث وثلاثين (33)، ثم عاد ليخاطب نساء النبي في الآية التالية مباشرة (رقم 34)، باستخدام واو العطف : ((**و**اذكرن ما يتلى في بيوتكن ...)) بينما بداية الآية 33 خاطبت أمهات المؤمنين أيضا مبتدئة بواو العطف : ((**و**قرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، ***إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.***)) فهل ترك الخطاب نساء النبي جانبا في هذا المقطع الأخير من الآية – المكتوب بخط مائل - وتوجـه لمخاطبة آل البيت

الآخرين لكي يترك أمهات المؤمنين خارج البيت ؟ بالعشر كلمات الأخيرة من من نفس الآية، وهي المكتوبة بخط مائل – ثم عاد ليخاطبهن ، وليستأنف الحديث معهن بواو العطف مباشرة في الآية التالية: ((واذكرن ما يتلى في بيوتكن ...")) ، عطفا على من سبق ، ليعود لخطاب نساء النبي المستبعدات !! تالله إن هذا لإسراف كبير وجرأة زائدة في الادعاء دون دليل غير الادعاء نفسه ! وهذا الادعاء يتكرر في روايات كثير ة لا تغني كثرتها شيئا ، إذ كلها ادعاءات من نفس النوع .

آيــة المـبـاهلــة، والملاعـنـة :

في السنة التاسعة للهجرة بدأت وفود القبائل وزعامات المناطق تتوجه إلى المدينة لتقيم علاقات ود وسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع المجتمع الإسلامي الناشئ ، وذلك بعد أن تم فتح مكة في السنة السابقة وما تبعه من استسلام الطائف، حيث صار الكيان الإسلامي الصاعد القوة الأولى في شبه الجزيرة العربية ؛ وفي ضوء ذلك سمي العام التاسع من الهجرة بـ ***"عام الوفود"*** . وكان من ضمن الوفود التي أمت المدينة "وفد نصارى نجران." لقد ضم الوفد عددا من زعماء منطقة نجران، وكان الدافع إلى قصدهم المدينة أن يأمنوا جانب هذه القوة الإسلامية الناشئة التي باتت تسيطر على معظم شبه الجزيرة العربية، ويقيموا نوعا من العلاقات السلمية معها، مثل غيرهم من القوى الأخرى التي جاء زعماؤها إلى المدينة. وفي هذه الظروف لم يكن منتظرا أن يقال إن الوفد جاء لمجادلة رسول الله في المسائل العقائدية، بل جاء ينشد العلاقات السلمية، بما فيها قبول مبدأ الجزية وما يتبعه من علاقات الحماية والتعاون، وذلك ما تم بالفعل. وآية المباهلة خطاب عام لا علاقة لنزوله بمسيحيي نجران، وليس خاصا بحالتهم. لكن روايات شيعية ربطت آية المباهلة بوفد نصارى نجران ، وزعم مؤلفوها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطحب عليا والحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم لتمثيل : أبناءنا وأبناءكم , ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم في الآية الكريمة : ((قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل ...)). في سنة تسع كان سن الحسن ست سنوات، وكان سن الحسين خمس سنوات ، رضي الله عنهما، فهل قدم رسول الله طفلين وأمهما وعليا فقط ليمثلوا الجانب الإسلامي أمام زعماء القبائل التي جاءت من نجران ومعهم أسقف المنطقة ؟ وهل يعقل أن يكون الرسول قد أهمل صحابته كلهم، أو تجاهلهم وازدراهم، واكتفى بأن أخذ الطفلين وابنته، وليس معه إلا رجل واحد، ليقابل ذلك الوفد القادم من نجران ؟

ننصح إخواننا بقراءة الخطاب الطويل التي مثلته سورة آل عمران، وكيف بدأ الموضوع الذي وردت فيه آية المباهلة بالحديث عن اصطفاء الله سبحانه : ((إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين)) وكيف تابع النص نذر أم مريم قبل أن تولد مريم ، وما واجهه الأنبياء من خصومات وجدل من الرافضين لعقيدة الإيمان بالله وما يتبعها. إن هذا النص الطويل الذي بدأ بالحديث عن اصطفاء آدم ونوح وآل أبراهيم وآل عمران ... إنما وصف وتابع مواجهات متكررة تعرض لها الأنبياء واحدا بعد واحد ، حيث رفض معارضوهم دعوة الإيمان؛ وهي تبين لنا بجلاء أن إقحام موضوع المباهلة على حادثة مجيئ الوفد النجراني إلى المدينة كان مصطنعا بغرض حشد مزيد من الأدلة الواهية على انحصار أهل البيت في خمسة أشخاص، واستبعاد أية منافسة أخرى. وكان الدليل الوحيد – الذي قدمه إخواننا الشيعة – هو مجرد الادعاء بأن الآية نزلت بمناسبة قدوم وفد مسيحيي نجران سنة تسع للهجرة ، عام الوفود .

الـفـيء والـــغـنــائـــم :

ولقد كان مما ألحق بموضوع أهل البيت مسألة الفئ والغنائم، وقد أوردنا شواهد من مقولات إخواننا الإثني عشرية ، ولسنا بحاجة هنا إلى حشد المزيد من الشواهد أو إعادة ذكر نصوصها هنا، وسنكتفي بالتنبيه إلى ما في الحكايات التي استعرضناها في الفصل الثاني من ضعف وتهافت وسذاجة مدهشة حركت ذلك العقل الذي صاغها على النحو الذي وردت فيه . لم ينحصر الحديث في موضوع الفئ الذي حصل عليه المسلمون دون حرب، بل تخطاه إلى خمس الغنائم بشكل عام، ثم إلى أي دخل تحصل عليه الدولة سواء من غنائم ا لحرب أو مما تفرضه وتجبيه من الناس. وكان التركيز في كل الأحاديث على أن الأنفال تنتهي إلى الأئمة، وأن خمس الغنائم للأئمـة، حتى وصلنا إلى "الحديث" المنسوب إلى محمد الباقر، رضي الله عنه : "... ***ما كان للرسول فهو لنا ولشيعتنا، حللناه وطيبناه لهم. والله لا يضرب على شئ من السهام في شرق الأرض ولا غربها مال إلا كان حراما ســحتا على من نال منه شيئا ما خلانا وشيعتنا."***

وكانت فاتحة الموضوع عن فـدك ، فكان مما قيل إن المسلمين استولوا عليها دون قتال، فصارت فيئا لا يتصرف بها مثل الغنائم؛ فالغنائم تقسم خمسة أقسام، توزع أربعة منها على المجاهدين، ويبقى الخامس لله وللرسول ..." وقد تضاربت الروايات عن فدك، إذ شذت رواية فورد فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شد عليه سلاحه، ودعا عليا ففعل مثله، وخرجا وحدهما ليلا فاستوليا على فدك بعد أن قتل علي من المدافعين عنها ثمانية عشر رجلا فاستسلموا. وبذلك صارت لرسول الله وعلي دون أن يشاركهما أحد. (انظر ما سبق، ص 29 -)

ومن غير أن ندخل في التفاصيل، أو نستدعي منها أكثر مما ذكرناه في الفصل الثاني فلقد صدمت من توجه الروايات إلى استئثار "آل البيت" الممثلين في الإئمة الإثني عشر بالمال دون غيرهم. حتى اليتامى والمساكين وأبناء السبيل يحصرون في يتامى ومساكين وأبناء السبيل من آل البيت، منهم دون غيرهم، في أغلب الروايات. وكانت الصدمة الأشد عندما قرأت ما تجرأ عليه بعضهم بنسبة سلوك مشين إلى الرسول صلوات الله عليه، ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فصورهما يخرجان ليلا ويتسللان بسلاحهما للإستيلاء على فدك وحدهما حتى لا يشاركهما أحد في المغنم. وهنا قفزت إلى الذاكرة بعض آيات وردت في سورة القلم (آية 23-24) : ((فانطلقوا وهم يتخافتون. أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين. وغدوا على حرد قادرين.)) وعجبت كيف انزلق أولئك القصاصون إلى هذا الحد في نسبة هذا النوع من السلوك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

والذي أود أن أؤكده هنا أن هذا النوع من الأحاديث والإدعاءات لا يمكن أن يكون قد صدر عن الباقر أو الصادق رضي الله عنهما، بل صيغ بعد عهدهما ببضعة قرون ليفضح الجشع إلى المال، وإلى استخدام المال في النزاعات المذهبية.

الادعـــاءات بشــــأن فـــدك:

لقد ظهرت الدولة الإسلامية بعد نزول القرآن وبما جاء به من توجيه وفاعلية، في أرض فسيحة شبه خاوية لا موارد فيها. وحين قامت الدولة لم تكن لأهلها سابق تجربة بأنظمة الحكم، ولم تكن لها موارد يمكن أن ترفد النشاط الجمعي للأمة الجديدة . وقد بدأ النشاط ضمن مرحلة الصراع الأولى مع قريش وحلفائها الذين استهدفوا القضاء على الدولة الإسلامية في مهدها، فكانت أول أموال توافرت

للقيادة هي تلك التي جاءت عن طريق غنائم الحرب، أو من الفئ. وفي حالات الصراع الحربي كان الناس يتعطلون عن أعمالهم وكسب معاشهم فتنشأ الحاجة الماسة إلى توفير مال أو أداة شراء تمكنهم من الحصول على ضرورات الحياة، خاصة في العهد النبوي حيث لم يكن للمسلمين جيش متفرغ، بل كان المحاربون هم أنفسهم ، تجارا ، ورعاة ، وزراعا، وغير ذلك، يدعون إلى الحرب عندما يتحقق خطر العدو المهاجم. ولذا فقد نزل القرآن موجها : ((واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، والله على كل شئ قدير.)) [الأنفال/41]. وبهذه الآية تحددت نواحي صرف الأموال، أو القيم المالية التي تمثل خمس الغنائم. أما الأربعة الأخماس الأخرى فكانت تقسم على المجاهدين الذين تركوا أعمالهم وتفرغـوا للحرب، للدفاع عن المجتمع والأمة ، وليس ثمة جيش نظامي متفرغ يتولاها بدلا منهم، كما هو الحال في الدول الحديثة.

أما الفئ الذي حصل في يد القيادة دون قتال فمصيره مصير الخمس، خمس الغنائم، الذي تعين كونه لله وللرسول ...الخ : ((ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم. وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله إن الله شديد العقاب. للفقراء المهاجرين الذي أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون.))
[الحشر/6و7)) هكذا حددت الآية معنى الفئ، كما حددت أصحاب الحق فيه تحديدا وحصرا واضحا.

هذان المصدران الماليان ، في تلك الفترة المبكرة من حياة الدولة الإسلامية كيف استخدما ؟ (لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل). المال لله ؟ إن الله لا يحتاج إلى مال من أي نوع، والتحديد الذي ورد لا يعني أكثر من أن يستخدم المال للإنفاق على الأعمال، وعلى المسيرة التي تهدف إلى نشر وتثبيت منهج الحياة الذي أراده الله للمجتمع، أفرادا وجماعات، في حياته وسلوكه.
إذن هو مال عـام يستخدم في أنشطة الدولة للصالح العام وحده. ((وللرسول)) الرسول إنسان بشر يأكل ويشرب ويلبس ويتنقل، وله عائلـة تحتاج إلى نفقات مهما قلت، فمن أين تأتي هذه الضرورات إن كان الرسول صلوات الله عليه حصر وقته وجهده بقيادة المجتمع ولا يستطيع أن ينشغل بتجارة أو عمل مثمر للكسب الشخصي. أما ذوو القربى فهم أقاربه المباشرون، الذين كان مسئولا عن إعالتهم ورعايتهم، حسب العرف الذي كان سائدا في المجتمع، بما في ذلك زوجاته وأولاده بنون وبنات، وبما في ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي تربى في بيته منذ صغره حتى بلغ سن الرجولة الكاملة وتزوج. ولا يمكن أن نتصور أبعد من ذلك، فنجعل من ضمن ذوي القربى أبناء العمومة والأعمام وأبناءهم من بني أبي طالب وبني العباس وبني عبد المطلب إلى آخر امتدادات القرابة العشائرية القبلية، سيما وأنهم ذوو أعمال وأموال من تجارة أو حيوانات من الأغنام والجمال وغيره. أما اليتامى والمساكين وأبناء السبيل فيدخل فيهم جميع يتامى ومساكين وأبناء سبيل المجتمع المسلم، بما فيهم من ينطبق عليهم الوصف من بني العباس وبني عبدالمطلب ، ولا يمكن أن نتصور الأمر بتفاصيله غير ذلك إن استرشدنا بمبادئ الإسلام وما يهدي اليه القرآن الكريم. وفي الدولة الإسلامية الأولى كان المال العام في حيازة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحت إمرته، وكان يحرص على عدم الاحتفاظ بأية أموال نقدية من الذهب والفضة وهو يعيش بين القبائل العربية التي عاشت على الغزو، ولا تفهم الفرق بين المال العام والمال الشخصي لمن يحوزه، إذ كانت تفترض أن من حاز المال قد امتلكه، لا فرق بين

قائد أمة يوظفه فيما يفيدها ، وقائد غزاة نهابين. وما عدا ذلك من مال عام تجسد في بعض الأراضي والقرى، الصغيرة، وفي السوائم من الخيل والجمال والبغال والحمير وغير ذلك.

هذا المال العام الذي كان تحت إمرة الرسول في حياته ما مصيره بعد وفاتـه؟ هل يرثه أقاربه ؟ أم يوزع عليهم؟ لا هذا ولا ذاك ، إنه يتحول إلى عهدة من يخلف الرسول صلى الله عليه وسلم في قيادة الدولة والمجتمع ورعاية الصالح العام، ويوظف كما كان توظيفه في عهد رسول الله. وهذا ما حدث بالفعل، سواء بالنسبة للمال العام من الإبل والغنم وغيرها ، أو من الأراضي القليلة ، مثل فدك.
وهنا يلزم أن نستدعي ما أورده الإمام البخاري في صحيحه عن موضوع وراثة رسول الله وموضوع فدك بالذات [385].

ولكن ، ماذا لو كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مال خاص ورثه عن أبيه أو عن زوجته ، أو كان له من تجارة ربح منها قبل أن يمارس مهام النبوة والقيادة الاجتماعية والسياسية للمسلمين ؟
إن هذا النوع من المال الخاص يخضع لنظام الوراثة الإسلامي، ولا ينبغي أن يسمح باختلاطه بالمال العام. وعلى ذلك فإن ما جاء في القرآن الكريم إشارة وتوجيها بشأن وراثة بعض الأنبياء عليهم السلام لآبائهم يعني – بشكل خاص وحصري – وراثة الأموال والتركة الخاصة، وليس وراثة المال العام الذي كان يوظف لخدمة المجتمع ، وربما وراثة المنصب الملكي. وهذه الحالة ألأخيرة لا تنطبق على خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه، لأنه لم يخلف ذكرا يرثه، ولم يكن ملكا مثل داود وسليمان عليهما السلام . لذا ، فإن الحالة المتعلقة ببعض الأنبياء السابقين لم تصـر سابقة تشريعيـة إسلامية، سيما وأن الله سبحانه وتعالى يقول : ((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شئ عليما.)) [386] وقد حددت الآيات التي تعرضت للفئ والأنفال مصارف المال الذي جاء عن هذا الطريق بوضوح لا لبس فيه، والأصل في ذلك مصلحة المجتمع الإسلامي عامة، بكل مكوناته، وحاضره ومستقبله ؛ وقد حدد نص الآية (6) من سورة الحشـــر الهدف من هذا التوزيع ((كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ...)) ، أي حتى لا يحتكر المال بأيادي الأغنياء ويحرم منه الفقراء ويتسع حرمانهم.

لقد ذكرت إحدى الروايات التي أوردناها فيما سبق أن فاطمة رضي الله عنها طلبت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدق عليها بفدك، لأنها تخشى العيلة[387] بعد وفاته، وأنه وهبها لها.
وكانت غلة فدك أربعة وعشرين ألف دينار سنويا – بأسعار ذلك الزمان - بينما كانت الزكاة الواجبة على زوجها أمير المؤمنين علـي سنويا مقدارها أربعين ألف دينار حسبما عرفتنا المصادر الإمامية.
والمشكلة الرئيسية بالنسبة للادعاء بأن الرسول صلوات الله عليه وهب فدكا لفاطمة ابنته رضي الله عنها أن مثل هذا التصرف، لو حدث في عصرنا وارتكبـــه أي رئيس دولة – حتى من الدول المتخلفة المستبدة – سوف يواجه بنقد شديد، ويوصف عمله بأنه فساد كبير، ونهب للمال العام، وتقديم لمصلحة أفراد العائلة – إبنة رئيس الدولة – على مصالح الأمة. وماذا عن فقراء المسلمين في عهد رسول الله وعهد أبي بكر وعمر ؟ هل كانت فاطمة أكثر حاجة منهم لتستأثر بفدك ؟ أي فســاد هذا الذي نسبه بعض محدثي الشيعة الإمامية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى ابنته رضي الله عنها !! إن كل "الأحاديث" التي ساقها كبار الفقهاء القدامى من إخواننا الشيعة، وكل الأساليب البلاغية والزخرف

---

[385] ***صحيح البخاري***، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، الكتب الستة ، رقم 3473 .
[386] سورة الأحزاب ، الآيـة رقم (40).
[387] أي الـفـقـر .

اللفظي الذي استخدمه المرحوم السيد محمد باقر الصدر، غفر الله له ، لا يمكن أن تطمس الحقيقة [388].
وقد أورد البخاري أن فاطمة رضي الله عنها جاءت إلى أبي بكر رضي الله عنه بعد توليه الخلافة تطالب بميراثها من النبي عليه الصلاة والسلام، فأخبرها أبو بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لا نورث، ما تركناه صدقة [389]..." وقد غضبت فاطمة من أبي بكر وقاطعته حتى وفاتها.
والذي اعتقده أن تفاصيل الواقعة لا تزيد عما ذكره البخاري ، وأن ما ورد في المصادر والمراجع الإمامية تضمن إسرافا في المبالغات، واسترخص الموقف في تفاصيل خيالية لا تمت إلى الحقيقة بصلة. في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن هناك بيت مال مستقل، أو خزينة، أو مؤسسة، أو حتى موظف واحد، فكيف يقال إن المال يئول إلى ورثة الرسول بعد وفاته. إن هذا لأمر غريب.
انتهى الحديث في موضوع أهل البيت.

التقية:

تناولنا موضوع التقية في الفصل الرابع [ح: انظر ص 76 وما بعدها] ووضعنا تحت نظر القارئ عددا مناسبا من النصوص التي ترسم صورة واضحة لعقيدة إخواننا الإمامية في التقية وممارستهم لها. وكان مما ذكرناه أننا نتفق مع إخواننا عندما تستخدم التقية للدفاع عن الحياة، أو لأبعاد خطر كبير. ولكن عندما يقال لنا "إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له ..."، ثم ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: "... لا إيمان لمن لا تقية له،" يصبح الأمر مختلفا . وعندما يقال لنا إن الأئمة كلهم – عدا القائم الغائب المهدي المنتظر ، صاحب الزمان – أبيحوا التقية ، وأذاعوا تحريم إشهار السيوف ، وأن دينهم الذي يتقربون به إلى الله هو التقية، عند ذلك نكتشف قدرا كبيرا من التناقض، فضلا عن أن فرضية الإمام الغائب وعودته آخر الزمان هي أكبر تناقض مع العقل والمعرفة الإنسانية والتجربة البشرية، وهي الدليل الفعلي الذي مضى عليه اثنا عشر قرنا، ومع ذلك فإن النفق ما زال مظلما لم يظهر في أعماقه أي بصيص من نور، ولن يظهر.

أما التناقض فيتجسد في كون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمضى سنواته في الخلافة وهو يستخدم السيف، ولم يتخل عن ذلك إلا بعد تمرد أنصاره وعصيانهم أوامره، وعدم استجابتهم لكل خطبه وبلاغته التي قرعهم فيها أشد التقريع، لدرجة أنه قال لهم : "يا أشباه الرجال ولا رجال ... ليتني لم أعرفكم ... ليت معاوية يبادلني بعشرة منكم رجلا واحدا من أنصاره، والقصد بالعبارة الأخيرة إسماعهم بأن العشرة منهم لا يساوون رجلا واحدا ، هذا مع أنهم كانوا أسودا ضياغم قبل وأثناء حرب صفين. ثم ظهر الشهيد الحسين بن علي، واتضح من ممارسته أن التقية لا مكان لها عنده .. لقد اتجه إلى الكوفة بعد أن وقعت تحت سيطرة أنصاره ، وعندما تغير الموقف ، وأحاط به العدو الأموي في جيش لجب بلغ تعداده خمسة آلاف جلهم من الأعراب المتوحشين لم يلجأ إلى التقية، ولم يقبل أن يمارس أي نوع من السلوك المتمشي مع مبدأ التقية ، لا لينقذ نفسه فحسب، بل لينقذ من كان معه من الأطفال والنساء، وبعض إخوته وأنصاره شيعته. لقد فضل أن يقضي شهيدا ، وكان ذلك، رضي الله عنه وأرضاه. ولقد سبق أن تحدثنا فيما مضى من فصول هذا الكتاب عن ثورة الإمام زيد بن علي على الحكم الأموي سنة 121هـ، في عهد هشام بن عبدالملك بن مروان؛ كما تحدثنا عن ثورة النفس الزكية ضد العباسيين في عهد أبي جعفر المنصور، وتلك الهجرة التي فرضت عليهم حتى

---

388 بالنسبة لما كتبه السيد محمد باقر الصدر إنظر الحاشيتين رقم 282 و 372 .
389 ***صحيح البخاري*** ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، ***الكتب الستة*** ، رقم 3473 .

وصل بعض إخوانه وأبنائهم إلى المغرب ليقيموا دولة الأدارسة. ثم عن مشاركة الحسنيين والحسينيين العلويين في الحركات التغييرية التي ظهرت في منتصف القرن الثالث الهجري ، بعد قتل المتوكل العباسي مباشرة. وأخيرا فقد أشرنا إلى تحرك الشاه إسماعيل الصفوي وإقامته للدولة الصفوية بالسيف والقهر والقمع في إيران ذي الأغلبية السنية . أما في عصرنا الراهن فالثورة الإسلامية الإيرانية التي قادها الإمام الخميني، رحمه الله، وكذلك الخطاب السياسي الإيراني الذي نسمعه كل يوم ، والمواقف القوية ، ولغة التهديد المتكررة ، كل ذلك يشكل أكبر تناقض مع عقيدة التقية التي تفترض انتظار الإمام الغائب الذي ألزم وكلف – دون غيره من الأسرة العلوية - باستخدام السيف، وحده دون غيره .

والذي يلاحظه ويستنتجه ثم يستيقنه من يدرس الأدبيات الإثني عشرية، وعلى رأسها الكتب الأربعة للمؤلفين الثلاثة : الكليني، وابن بابويه , والطوسي، أن هناك نوعا آخر من التقية استخدم طوال القرون، منذ القرن الثالث الهجري وما زال حتى الآن، وهو تعاملكم يا إخواننا مع الكتلة الرئيسية من المسلمين – أعني ما يسمى بأهل السنة والجماعة – بمفهوم التقية ، بمختلف الأساليب، باعتبارهم العدو، الذي يجوز أن تقولوا له غير الحقيقة، دون تردد، سواء في المواجهات الجدلية، أو الحوار الهادئ أو كتابة التاريخ ورواية "الأحاديث" . وهذه الممارسة ، واستخدام هذه الأساليب ، تظهر في مساحة تاريخنا الإسلامي المشترك بكل امتدادها ، منذ القرن الثالث الهجري.

المتعة :

تعرضنا لموضوع المتعة في الفصل الخامس (ص 77 - 81) وأوردنا كثيرا من النصوص الإثني عشرية التي تستهدف تأكيد مشروعيتها، وأهميتها والتشجيع عليها، وما زعم من ثواب لمن يمارسونها، إلى آخر هذه المقولات. وموضوع المتعة مرتبط بواحد من أقوى الدوافع الحياتية (البيولوجية) للإنسان منذ خلقه الله، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وفي الفترة القصيرة من عمر الدولة الإسلامية الأولى التي مارست فيها التشريع في ميدان الحياة الإجتماعية – وهي العشر سنوات التي عاشها الرسول صلوات الله عليه في المدينة – حدثت مواجهة بعض المشكلات التي احتاجت التدرج في التشريع لتخفيف الحرج عن المؤمنين الذين لم يكونوا كلهم في مستوى واحد من الإيمان والانضباط ؛ ومن هذه المشكلات كانت مشكلة الممارسة الجنسية. وكان من العسير على كثيرين من الأفراد – من حيث القدرة الالتزامية الفعلية والمستمرة فترة طويلة – التقيد بالتعليمات الشرعية لطول ما اعتاد عليه من قبل، في حياته الجاهلية. ولعل مما يساعدنا على فهم تلك المصاعب ما عرفناه من أن عددا من الصحابة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما إذا كان يأذن لهم بالخصاء، أن يخصوا أنفسهم .. بمعنى الخضوع لعملية تعطيل القدرة الجسدية على ممارسة الجنس بشكل دائم ونهائي. وقد نهاهم الرسول عن ذلك . فقد روى البخاري حديثا ينتهي سنده إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : "رد رسول الله صلى الله عليه وسلم التبتل، ولو أذن له لاختصينا [390]." ونجد في صحيح مسلم أحاديث مماثلة: عن قيس قال : سمعت عبدالله يقول : "كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء، فقلنا : ألا نستخصي، فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل [391]..." وتناولت أحاديث أخرى وأعلنت منع نكاح المتعة ، كما ورد عند البخاري، وعند مسلم

[390] ***صحيح البخاري*** ، كتاب النكاح ، باب ما يكره من التبتل والخصاء ، حديث رقم (11). والمقصود بالتبتل هو الامتناع عن ممارسة النكاح ، أي الامتناع عن ممارسة الجنس، في تلك الفترة التي ابتعدوا فيها عن بيوتهم وزوجاتهم. ومعنى ذلك عدم ممارسة الجنس بالأجرة مع غير زوجاتهم . ويتكرر الحديث في روايتين أخريين ، (الحديثان رقم : 12و 13).

[391] ***صحيح مسلم*** ، كتاب النكاح، باب : نكاح المتعة، حديث رقم (11)، والأحاديث رقم (13 و 16 إلى رقم 20)

أيضا [392] . وقديما، في بداية العهد المسيحي، في عصر آباء الكنيسة الأوائل ، قام بعضهم بهذا العمل ، فأخصى نفسه ، حتى لا يعطل عليه الإحساس والدوافع الجنسية اطمئنانه الروحي الإيماني، وكان من أشـهر هـؤلاء القديس أورجن الإسكندري Origen الذي اعدم أبوه سنة 202م. بسبب اعتناقه للمسيحية وتمسكه بعقيدته. وقد وجد أورجن نفسه مدرسا للديانة المسيحية بينما كان عمره ثمانية عشرة سنة، ووصفت حياته في تلك الفترة بأنه كان زاهدا متقشفا، صارما في محاولة التزامه بالإخلاق المسيحية المطلوبة آنذاك، وفي هذا السياق خصا نفسه [393] .

وفي ضوء هذه الحقيقة الحياتية (البيولوجية) كان مبدأ التدرج في التشريع – بالنسبة للمجتمع الإسلامي الأول - حاكما وحاسما في هذه الحالة، كما حدث بالنسبة لتحريم الخمر . ولسنا نعرف على وجه التحديد متى بدأت التشريعات القرآنية والنبوية بشأن الحياة الجنسية في الفترة التي عاشها الرسول بعد الهجرة، بيد أن من المؤكد أن المجتمع الإسلامي الأول واجه مشكلات أكثر أهمية وأبعد خطورة في السنوات الأولى بعد انتقال الرسول صلوات الله عليه وسلامه، إلى المدينة سنة 622 لكن آيات القرآن الكريم حددت المبدأ ، كما بينت توجه المسار الدائم ، وإن أظهرت شيئا من الأناة أو التراخي في عمليـة التنفيذ المتدرج. وجاء الحسم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. عمر لم يأت بتشريع جديد، فالتوجيه القرآني بمنع الزنا وتحريمه والعمل على سد الطرق المؤدية إليه كان واضحا منذ البداية، ومن غير أي غموض مبينا في النص القرآني ، ولكن كان هناك أيضا حرص والتزام بعدم إيقاع الناس في حرج ((ما جعل عليكم في الدين من حرج)). والإجراء الذي اتخذه عمر رضي الله عنه، يعتبر واحدا من الأعمال التي يحمد عليها، ولا ينبغي أن يتخذ وسيلة للتشنيع عليه وسلاحا لمحاولة هدم شخصيته السامقة. ولسنا نحتاج دليلا على صحة ما نقول أكثر من النصوص التي أوردناها في الفصل الخامس ضمن بحثنا لموضوع المتعـة.

هل المرأة المتمتع بها تعتبر من الزوجات الأربع، المسموح بهن شرعا ؟ لا ، ولا من السبعين، إنما هي بمثابة الإماء. وتستطيع أن تتزوج بألف منهن ، أو بعدد لا حدود له ، إنهن مستأجرات. وهذا "الزواج المتعة" يمكن أن يكون لمرة واحدة، عرد واحد، أو أسبوع، أو لشهر أو أكثر، وقد يتكرر، ويتداخل مع زواج نفس المرأة بعدة رجال متتابعين، ثم يعود إليها رجل سبقهم في التعاقد المؤقت معها. أما تكلفة هذه المتعة، فقد حددت بأنها كف من بـر ، أي ملء يد واحدة من حبوب القمح ، أو التمر أو الدقيق، أو درهم واحد إن كانت الأجرة نقودا، وذلك هو الحد الأدنى. وهذه الممارسة للتمتع بالمرأة يمارسها الرجل وهو في المقام الأعلى ولا يشينه ذلك أو يمس شرفه أو مقامه أو سمته ، أما هي فبمثابة الإماء، الجواري المملوكات اللاتي يخضعن للبيع والشراء ، هذا بالرغم من أنهن كن – من

---

[392] ***صحيح البخاري*** ، كتاب النكاح ، باب نهي رسول الله صلى الله علبه وسلم عن نكاح المتعة، حديث رقم (50)، وسـند هذا الحديث ينتهي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ويتكرر النهي في ***صحيح مسـلم*** ، كتاب النكاح، باب 3 ، حديث رقم (21)، ويتلو ذلك أحد عشر حديثا : من رقم 22 إلى رقم 32 . وفي الحديث رقم (16) أن الممارسة استمرت حتى خلافة عمر رضي الله عنه، فنهى عنها ومنعها.

[393] Justo L. Gonzalez, ***A History of Christian Thought*, Vol. I**, *from the Beginnings to the Council* of *Chalcedon* (Nashville, TN : Abingdon Press, 1987), p. 206.

الناحية الشرعية – من الحرائر لا من الإماء ، لم يكن من الجواري. والنساء اللواتي يمارسن هذا العمل من المستويات الدنيا في السلم الإجتماعي، أما الرجال المحترمين، والعائلات المحترمة فلا تقبل لبناتها أن يكن مادة للمتعة ، لأن الناس مراتب. كل هذه المقولات والمفاهيم التي استعرضناها سريعا في هذه الفقرة وردت ضمن الأحاديث الكثيرة التي استعرضنا نصوصها في الفصل الخامس، عند تناولنا لمشكلة المتعة.

من هي الأنثى التي تقبل أن تؤجر جسدها لرجل لا تعرفه من قبل ، ولا صلة لها به ، ومن غير أي رباط شرعي أو عاطفة غير الاتفاق الذي قد لا يستغرق إتمامه دقيقة واحدة ، ويتلو ذلك الاستمتاع الجسدي لفترة تستمر نصف ساعة أو أقل أو أكثر قليلا - في حالة الاتفاق على مرة واحدة ، أو عرد واحد – ثم تنتهي العلاقة بعد انتهاء العملية ، كل ذلك مقابل كف من بر .. قبضة من حبوب القمح ، أو التمر .. من هي التي تقبل ذلك ؟ فتاة فقيرة ، أو حتى تحت تأثير ألم الجوع ، أو أرملة شابة مات زوجها، أو تركها، وتريد أن تعيل أطفالها ...

أي ظلم هذا ؟ وأي إهدار للكرامة الإنسانية .. أم أن النساء اللاتي لا ينتمين للعائلات ذات المراتب العالية لا كرامة لهن ، ولسن من البشر ، ولا اعتبار لهن ولا رحمة بهن ؟

لعل أخواتنا من الشيعة هن الأقدر على استيعاب وفهم وتقييم هذا الخيار ، زواج المتعة ، بالنسبة لمجتمع النساء، وكرامة المرأة، وبالنسبة لمجتمع الرجال، وبالنسبة للمجتمع الإسلامي عامة. وأذكر أنه كان لي زميل في العمل في فترة الثمانينات من القرن الماضي ، كانا شيعي

ا ، متحمسا أشد التحمس لكل قضايا الشيعة الإثني العشرية. لم أدخل معه في نقاش أو حوار، وإنما كنت أكتفي بالسؤال لمجرد العلم، وإن كان علما جزئيا مشوبا بالشكوك، في ضوء ممارسته عقيدة التقية. وعندما أراد ذلك الزميل أن يلخص تثمينه لـ "زواج المتعة" قال : إنه أرقى نظام، وأنه أرقى من أي نظام يطبق في المجتمعات الغربية المتقدمة. والفرق بين الحقيقة والادعاء كبير ، والنصوص التي صورت لنا المفهوم العام وتفاصيل الممارسة بالنسبة للمتعة بينت لنا أن المرأة أنزلت من كونها إنسانة حرة مكرمة إلى مستوى الرقيق الذي يباع جسده ويؤجر مؤقتا مقابل قبضة من طعام، أو مقابل درهم واحد ، ولست أريد تسميته باسم حديث حتى لا أجرح مشاعر أحد .

سب الصحابة:

لقد استعرضنا أمثلة قليلة مما تضمنته المصادر والمراجع الإثني عشرية من شتائم وإهانات وجهت للصحابة، مع تخصيص القسم الأكبر منها لأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، رضي الله عنهما. والشتم فعل سلبي، ينفس عن الغضب المسرف ، أو الحقد الأعمى ؛ ثم إن صاحبه يحاول أن

يورث رسالة الحقد ويحملها للأجيال التالية، كما يعمل على نشرها بين الآخرين – أو بعضهم على الأقل – حرصا على استمرار نفس النهج . إنه لا يساهم في حل مشكل قائم، ولا يخلف أي أثر إيجابي ؛ هذا من حيث المبدأ العام، ومن حيث النتائج المرجوة في حالة المشاكل الآنية، أي القائمة حاليا. ولكن عندما تكون الشتائم والإهانات موجهة لأشخاص عاشوا وتوفاهم الله سبحانه وتعالى قبل ألف وأربعمئة سنة، أو حتى قبل مئة سنة، أو ثلاثمئة سنة، فإن مثل هذه الممارسة تخرج من دائرة العقل إلى دائرة الهذيان المحموم.

وعندما يكون فعل الشتم منطلقا على أساس ادعاءات غير صحيحة، ظاهرة التزوير والاختلاق، فإنه يصبح أكثر رداءة وهبوطا ، خاصة عندما يكون صدر عن شخصيات ذات أسماء كبيرة ، ومقامات يفترض فيها الارتفاع والسمو.

ولقد كان من أمثلة ذلك ما كتبه العكبري، حول مصاحبة أبي بكر لرسول الله صلى عليه وسلم في الغار، في بداية رحلة الهجرة إلى المدينة، رواية نسبها إلى محمد الباقر رضي الله عنه "قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقد ذهب به إلى الغار فقال : مالك؟ أليس الله معنا ؟ تريد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدثون، وأريك جعفر بين أبي طالب وأصحابه في سفينة يغوصون ؟ فقال : نعم، أرنيهم. فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه وعينيه ، فنظر إليهم ، فأضمر في نفسه أنه ساحر [394]. من الذي نقل هذه الرواية عن اثنين في الغار، ليس معهما غير الله تعالى؟ ومن الذي عرف ما دار في نفس أبي بكر بعد أن مسح رسول الله على عينيه ، كما تزعم الرواية ومؤلفها ؟

ونقرأ مثل هذا وأكثر منه سوءا في رسالة ***شرح المنام*** ، حيث أورد العكبري قصة منام، أي حلم، رأى فيه أنه اجتاز في بعض الطرق فرأى حلقة دائرة فيها ناس كثير وعمر بن الخطاب يقص عليهم، فشق طريقه وتدخل ليدحض – بزعمه – ما قاله عمر. وشغل النص المطبوع ثماني صفحات، وفي نهايته انتصر العكبري، ولم يحر عمر جوابا ، " وتفرق الناس [عنه] واستيقظت. تم المنام ، ولله الحمد والمنة [395]..." والكلام الذي أورده شيخ الطائفة محمد بن محمد بن النعمان العكبري ضمن منامه المزعوم ليس أكثر من مغالطات فجة لا يقبلها إلا الجهلة، أو أولئك الذين شحنت قلوبهم ونفوسهم بالحقد حتى فقدت الحد الأدنى من الأدراك. والعكبري كان شيخا للطائفة الإثني عشرية حتى وفاته سنة 413هـ، وقد تولى رئاسة الطائفة بعده تلميذه الشريف المرتضي، وبعد وفاة المرتضي تولي مشيخة الطائفة تلميذ آخر بعده هو الشيخ الطوسي المتوفى سنة 460هـ ، وكان من بين مؤلفات الطوسي ***كتاب الأمالي*** الذي خصصه لشرح ***كتاب المقنعة*** ، أحد مؤلفات شيخه العكبري .

وعندما يقال لنا – في الرواية التي نسبت إلى محمد الباقر عليه السلام – إن أبليس صرخ في جنوده يوم الغدير فأتوه جميعا .. وقال لهم وقالوا له ... إلى آخر الحكاية التي أوردناها من مصدرها في صفحة 84 فيما سبق، أليس لمن يتلقى هذه الحكاية أن يسأل : ومن الذي رأى إبليس، ورأى أتباعه يتجمعون من مختلف بقاع الأرض إذ سمعوا صرخته .. هل كان محمد الباقر هو الذي رآهم وسمع

---

394 العكبري ، ***الاختصاص*** ، ص 19 ، تحت عنوان : حديث الغار .

395 العكبري ، ***شرح المنام*** ، رسالة ملحقة ضمن كتاب ***الإفصاح في الإمامة*** ، ضمن نفس المجلد، آخر ثماني صفحات فيه.

الصراخ والحوار ؟ إننا نجل محمد الباقر رضي الله عنه أن ينزل إلى هذا المستوى أو يجري على لسانه شئ من هذا اللغو والغلو .

وعندما يقال لنا إن عليا رضي الله عنه مسح بيده على عيني أبي بكر – الخليفة الأول - فأراه رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في قبلة مسجد قباء ، وأن الرسول خاطب أبا بكر بعبارة زاجرة شديدة، وأمره أن يتخلى عن منصب الخلافة لعلي، وإلا سيكون موعده النار ! أليس من حق القارئ والسامع أن يسأل ، وهل تكفي نسبة الحكاية إلى جعفر الصادق رضي الله عنه دليلا إثباتيا على حدوث تلك المعجزة الخارقة واقعيا ، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وماتبع الوفاة من أحداث، وما تخلل خلافة أبي بكر منذ اليوم الأول لولايته المنصب : بعثة جيش أسامة بن زيد ، وحروب الردة، وفتح الشام ، وحصار دمشق ومعركة اليرموك، وما يفصل بين جعفر الصادق المتوفى سنة 148هـ وبين علي وأبي بكر رضي الله عنهما من زمن طويل زاد على مـئــة سنة ؟ ولقد أوردنا موقف علي الحقيقي من أبي بكر ، حيث مدحه ومدح أداءه عندما كان خليفة، وكيف تعاون معه وأشار عليه .

وعندما يقال لنا إنه : بينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا إذ " دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجها، فقال له رسول الله . . . : حبيبي جبريل، لم أرك في هذه الصورة. قال الملك : لست بجبريل يا محمد، بعثني الله أن أزوج النور من النور ... فلما ولى الملك إذا بين كتفيه : محمد رسول الله ، علي وصيه ،" وعندما سأل النبي الملك: "منذ كم كتب هذا بين كتفيك ؟ فقال [الملك] : من قبل أن يخلق الله آدم باثنين وعشرين ألف عام [396] "، عندما نقرآ هذا الخبر أليس من حقنا أن نسأل : ومن الذي شاهد الملك يدخل إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويخاطبه بالعبارات التي أوردها محمد بن يعقوب الكليني في كتابه ؟

وعندما نجد السيد محمد باقر الصدر – رحمه الله - يسرف في تكرار اتهاماته لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولغيرهما من كبار الصحابة، في أواخر القرن العشرين، ونجد كتبه تروج ويعاد نشرها بشكل ملفت في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين فإن هذا النشاط يدل على الحرص على استمرار الخصومة وتأجيجها باستمرار [397]. وعندما يتبين من خلال استعراضنا لبعض شهادات نسبت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه – كما مر معنا - أن هذه الروايات كلها كانت ضمن سياق الدعاية السياسية المستمرة، وأن ما نسب إلى علي والأئمــة من بعده من روايات عنهم وعنه إنما هو من تأليف أولئك الذين اشتغلوا بالدعاية السياسية وتشكيل نظرية المذهب ، عند ذلك تصبح المعضلة أكبر. والذين ما زالوا يفعلون ذلك في عصرنا كثيرون، ولعلهم أصبحوا يتزايدون بفعل ما يلقونه من دعم من قوى نافذة ذات أصوات صاخبة مجلجلة بالدعاية السياسية ، بينما خشعت أصوات الآخرين فرقا وذعـرا وطمعا ونذالة.

وقد كان من الحكايات العابثة تلك التي نسبت إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وجعلته يقول: " دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم – قبل أن يضرب الحجاب وهو في منزل عائشــة – فجلست بينها وبينه ،فقالت : يا ابن أبي طالب ، ما وجدت مكانا لإستك غير فخذي ؟ أمط عني ! فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كتفيها ثم قال: ويل لك ! ما تريدين من أمير

---

396 الكليني ، ***أصـول الكـافـي*** ، ص 276.

397 محمد باقر الصدر ، ***فدك في التاريخ*** ، ص 19- 21 و 26 و 30 و و 37- 39 و 40 و 43- 48 و 52 و 58و 63 و 67 – 68 71 و 75 و 95 – 101 و 104 – 105 و 108 و 111 و 132 . محمد باقر الصدر ، ***أهل البيت ، تنوع أدوار ووحدة هدف***، ص 21 و 45 و 57 – 59 و 63 و 84 – 85 و 97 و 99 و 101 و 122- 124 .

المؤمنين ، وسيد المسلـمـين ، وقائد الغـر الـمحجلين ؟ " [شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي ، كتاب الأمالي، ص 865 .]

ما هدف هذه الحكاية ؟ وإلى من تسئ ؟

يظهر من النص أن عائشـــة هي التي تضايقت وتذمرت وسعت لإنهاء أسباب ضيقها،

ويظهر من النص أيضا أن عليا هو الذي سبب لها الضيق، لأنه جلس في موضع لا يتسع له دون إحداث المضايقة،

ويبدو من النص أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكترث بما تعرضت له زوجته، بل عـنـف عائشـــة وهددها بالويل، وحقق هـدف مزور هذه الحكاية إذ وصف عليا بأنه : " أمـير الـمـؤمـنـين، وسـيد المسلمين، وقائـد الـغـر الـمـحـجـلـين." وهذا الوصف لعلي، المحصور هكذا : "..." ، يبدو وكأنه نغم محبوب في المصادر الشيعية، يتكرر ونصادفه مرات كثيرة: "أمير المؤمنين، وسيد المسلمين, وقائد الغر المحجلين."

وعلى افتراض أن أحدا صدق هذه الرواية وقبل محتواها المعلوماتي ، أفلا يحق له، أو يتوقع منـــه أن يسأل : ولماذا اختار علي أن يجلس بين رسول الله وزوجته في ذلك الحيز الضيق ؟ ولماذا لم يجلس في الناحية الأخرى، سواء عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن يساره، أو أمامه مقابلا له ؟؟ وهل هذا الاختيار الذي زعم مؤلف الرواية أن عليا اختاره يمثل ســلوكا محمودا مستحسنا أو عكــس ذلك ؟ خاصة وأن النبي أكبر منه سنا، وأنه هو الذي أخذه في بيته تخفيفا عن والده، فضلا عن مقام النبوة والرسالة ؟

ولماذا يـقــبـل شيخ الطائفة الإثني عشرية ورئيسها، ويتبنى هذه الرواية ، ويمليها في مجلس وعظه، مجلس يوم الجمعة رقم (27) بتاريخ آخر يوم من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وأربعمائة، قبل وفاته بثلاث سنوات ، ثم تـوضع ضمن كتابه ***كتاب الأمالي*** ، ص 865 ؟

الفصل الثامـن

خـــاتـــمـــة الـــمـــطـــاف

أين نــقــف ؟

ومـاذا نـريد ؟

ما هي الخيارات المفتــوحــة للعمـل ؟

هناك أناس تعجلوا، وجعلوا هدفهم إزالة الخلافات التي اقتنعوا بأنها هامشية عارضة بين الشيعة والسنة، واعتقدو أن تحقيق المهمة في غاية السهولة والبساطة، لأن المشكلة – في رأيهم – سطحية جدا، أوجدتها قلة من المتعصبين الجهلـة ، ظهر بعضهم بين السنة في عهد التخلف، كما ظهر بعضهم بين الشيعــة في عصور التخلف ذاتها. وعملية الإصلاح – في رأي هؤلاء – لا تحتاج إلى أكثر من استئناف، أو إحياء محاولة التقريب بين المذاهب.

محاولات التوفيق بين السنة والشيعة:

يبدو لي أن عصرنا شهد ثلاث محاولات ، أو شبه محاولات ، هي الأشـــــهر، مع عدم نفي وجود تجارب أخري كثيرة لم تشــتهـر. والتجارب الثلاث التي نقصدها هــي :

1 - تجربة الشيخ عبدالحسين الموسوي سنة 1329هـ/1911م وحتى جمادى الأولى 1330هـ/1912م مع شيخ الأزهر، الشيخ سليم البشري، رحمهما الله تعالى، حسب ما رواها الشيخ الموســوي نفســه ،

2- تجربة "***جماعة التقريب بين المذاهب***" التي بدأت في ستينات القرن الرابع عشر الهجري (أربعينات القرن العشرين الميلادي) وانتهت بعد سنة 1371هـ/1952م.

3- موجة التعاطف مع الثورة الإسلامية في إيران (1979- 2009).

وسنلقي نظرة ســريعة على كل من هذه التجارب السابقة.

تجربة البشري – الموســـوي :

إن مصدرنا الوحيد عن هذه التجربة هو ما دونه الشيخ عبدالحسين الموسوي – رحمه الله - في كتابه ***الـــمـــراجــعــات*** ، ويمكن أن يلحق بذلك ما تبع نشر الكتاب – على فترات متباعدة – من اعتراضات ونقد ، أو تأييد وتقريظ. ولقد بدأت هذه التجربة بمبادرة من الشيخ عبدالحسين الموسوي بعد تفكير ومعاناة طويلة – حسبما روى – للوصول "إلى سبيل سوي يوقف المسلمين على حد يقطع دابر الشغب بينهم ... [ليسيروا] معتصمين بحبل الله جميعا ، تحت لواء الحق إلى العلم والعمل، إخوة بررة يشد بعضهم أزر بعض[398]." ويقول السيد الموسوي أنه وصل مصر أواخر سنة 1329هـ (1911م)، وذهب إلى الجامع الأزهر ليستمع إلى دروس الشيخ سليم البشري، شيخ الجامع الأزهر آنذاك، وعن طريق أسئلة الموسوي، جرى تحـول للقاءات الخاصة بينه وبين البشري ، ثم بدأت المراجعات في صيغة سؤال وجواب، كتابة، فكانت أول مراجعة بأسئلة من جانب البشري بتاريخ 6 ذي القعدة 1329هـ (29 /1911/10). أما المراجعة الأخيرة من جانب الموسوي، وهي رقم 112، فكانت بتاريخ الثاني من جمادى الأولى سنة 1330هـ (20 نيسان 1912 م.)

المراجعة (1) 6 ذي القعدة 1329

1) سلام على الشريف العلامة الشيخ عبدالحسين شرف الدين الموسوي ورحمة الله وبركاته.

إني لم أتعرف فيما مضى من أيامي دخائل الشيعة، ولم أبل أخلاقهم، إذ لم أجالس آحادهم، ولم أستبطن سوادهم. وكنت متلعلعا [شديد التشوق] إلى محاضرة أعلامهم، حران الجوانح إلى تخلل عوامهم، بحثا عن آرائهم، وتنقيبا عن أهوائهم. فلما قدر الله وقوفي على ساحل عيلمك [عيلم: بحر] المحيط، وأرشفتني ثغر كأسك المعين، شفى الله بسائغ فراتك أوامي [عطشي]، ونضح عطشي وأليـة [وألية بتشديد الياء مع فتحة : تعني:أقسم بالله] بمدينة علم الله، "جدك المصطفى[399]"، وبابها "أبيك المرتضى" إني لم أذق شربة أنقع لغليل، ولا أنجع لعليل، من سلسال منهلك السلسبيل. وكنت أسمع أن من رأيكم معشر الشيعة مجانبة إخوانكم – أهل السنة – وانقباضكم عنهم، وأنكم تأنسون بالوحشة ، وتخلدون إلى الوحدة ، وأنكم وأنكم. لكني رأيت منك شخصا رقيق المنافثة، دقيق المباحثة، شهي المجاملة، قوي المجادلة، لطيف المفاكهة، شريف المعاركة، مشكور الملابسة، مـبـرور المنافسة، فإذا الشيعي ريحانة الجليس، ومنية كل أديب.

2) وإني لواقف على ساحل بحرك اللجي ، أستأذنك في خوض عبابه، والغوص على درره، فإن أذنت غصنا على دقائق وغوامض تحوك في صدري منذ أمد بعيد، وإلا فالأمر إليك، وما أنا فيما أرفعه باحث عن عثرة ، او متتبع عورة، ولا بمفند أو مندد، وإنما نشاد ضالة،

---

[398] السيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي ، ***الــمــراجــعــات*** ، ***رسائل متبادلة بين العلمين : الشيخ سليم البشري، شيخ الجامع الأزهر [و] السيد شرف الدين العاملـــي***، تحقيق الشيخ حسين الراضي، المجمع العالمي لأهل البيت (قم المقدسة، إيران : 1422هـ)، ص 39.
ونوجه عناية القارئ إلى أن اسم المؤلف ورد بثلاثة أشكال ، فعلى صفحة الغلاف ا لخارجي ورد الإسم: الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي، ومرة ثانية : السيد شرف الدين العاملي، وفي صفحة العنوان الداخلية : الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين. أما في بطاقة التعريف بالكتاب تعريفا مهنيا فقد ورد اسم المؤلف : السيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي. [العاملي نسبة إلى جبل عامل جنوب لبنان، أما الموسوي فنسبة إلى الإمام موسى الكاظم ، الإمام السابع عند الشيعة الإثني عشرية .]

[399] لأن السيد عبدالحسين الموسوي انتسب إلى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلى سلالة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو في هذه الخطوة الأولى يعلن قبوله وتسليمه بالحديث الشيعي المشهور المنسوب للنبي، "أنا مدينة العلم وعلي بابها."

وبحاث عن حقيقة، فإن تبين الحق ، فإن الحق أحق أن يتبع ... وسأقتصر في مراجعتي إياك – إن أذنت - على مبحثين : أحدهما في إمامة المذهب أصولا وفروعا، وثانيهما في الإمامة العامة، وهي خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم [400]...."

الـمـراجـعـة (2) 6 \ذي القعدة 1329

1) رد التحية

2) الإذن في المناظرة

- السلام على مولانا شيخ الإسلام ورحمة الله وبركاته

- خولتني بكتابك العطوف من النعم، وأوليتني بـه من المنن ما يعجز عن أداء حق لســان الشــكر ... رميتني بآمالك وأنت قبلة الراجي، وعصمة اللاجي ، وقد ركبت من سوريا[401] إليك ظهور الآمال، وحططت بفنائك ما شددت من الرحال، منتجعا علمك، مســتمطرا فضلك، وسأنقلب عنك حي الرجاء ...

- إستأذنت في الكلام – ولك الأمر والنهي – فسل عما أردت ، وقل ما شئت، ولك الفضل [402]."

فإذا انتقلنا إلى المراجعتين الأخيرتين (111 و 112) تتضح لنا الصورة بشكل أوفى إن شاء الله.

المراجعة (111) ، 1 جمادى الأولى سنة 1330:

أشهد أنكم في الفروع والأصول على ما كان عليه الأئمة من آل الرسول، وقد أوضحت هذا الأمر فجعلته جليا، وأظهرت من مكنونه ما كان خفيا ... فراقني إلى الغاية ... فأنعشني قدسي مهبها بشذاه الفياح ، وكنت قبل أن أتصل بسببك – على لبس فيكم لما كنت أسمعه من إرجاف المرجفين، وإجحاف المجحفين ، فلما يسر الله اجتماعنا أويت منك إلى علم هدى، ومصباح دجى، وانصرفت عنك مفلحا منجحا ، فما أعظم نعمة الله بك علي، وما أحسن عائدتك لدي، والحمد لله رب العالمين [403]."

س [سليم البشري]

المراجــعــة (112)، 2 جمادى الأولى سنة 1330

وختم الشيخ الموسوي بقوله : "أشهد أنك مطلع لهذا الأمر ومقرن له ؛ حسرت له عن ساق، واتصلت فيه أمضى من الشهاب، أغرقت في البحث عنه ، واستقصيت في التحقيق والتدقيق [404]..." الخ.

ومما يؤخذ على ما نشره السيد الموسوي :

---

[400] الشيخ سليم البشري ضمن كتاب *المـراجـعـات* ، ص 45- 46.

[401] سوريا تعني بلاد الشام قبل الاحتلال الفرنسي – البريطاني، وتقسيمها إلى أربعة أقطار بعد الحرب العالمية الأولى.

[402] الشيخ عبدالحسين شرف الدين الموسوي ، *المراجعات* ، ص 47 .

[403] "الشيخ سليم البشري"، ضمن كتاب *المراجعـات* ، المراجعة 111 ، ص 622 .

[404] الشيخ عبدالحسين الموسوي ، *الـمـراجـعـات* ، ص 622 – 623.

أولا : أن تقريره (المجسد في كتابه) عما يفترض أنه جرى بينه وبين البشري كان تقريرا آحادي الجانب، نشره هو باسمه فقط ، دون أن يشرك الطرف الآخر بأية صورة ،

ثانيا : أن نشر التقرير جرى بعد انتهاء المراجعة الأخيرة بخمسة وعشرين عاما ، أي سنة 1355هـ ، وبعد وفاة البشري بعشرين سنة، وكان البشري قد توفي سنة 1335هـ.

ومعنى ذلك أن خمس سنوات مضت بين انتهاء المراجعات ووفاة البشري لم ينشر فيها

الكتاب، ولم يجر اتفاق على نشره ، أو على نص مشترك بين الرجلين. وكل الأعـذار التي ذكرها السيد الموسوي ومن تصدوا للدفاع عن تصرفه لا تبرر له – من الناحية الأخلاقية – أن ينشر المادة من طرف واحد، سيما وأن ليس ثمة دليل على أنها تمثل الحقيقة سوى ما قاله السيد الموسوي وحده عن نفسه وعن الطرف الآخر. وقد كان مما قاله هو نفسه إن الأوراق التي كان دون فيها كل ملاحظاته قد ضاعت منه لأسباب قاهرة قبل النشر بسنوات طويلة. ومعنى ذلك – على أفضل تقدير - أنه قام بتأليف المادة من ذاكرته. ولقد كانت هناك فترة خمس سنوات بين نهاية "المناظرات" ووفاة الشيخ سليم البشري سنة 1916م، كما كانت هناك فترة ست سنوات بين انتهاء المناظرة وقدوم الاحتلال الفرنسي للبنان ، ذلك الاحتلال الذي تعلل به السيد الموسوي سببا لتأخر النشر. إننا لا نستطيع قبول كلام طرف واحد من اثنين، وأن نتجاهل الآخر، فليس ذلك من التفكير والسلوك العلمي في شئ، خاصة مع كل النقاط السلبية التي ذكرنا، وأعتقد أن أي قاض في موقف القضاء لا يمكن أن يقبل أو يصدق أحد المتخاصمين ثم يصدر حكما من غير أن يسمع الطرف الآخر،

ثالثا أن البشري كان شيخا للجامع الأزهر ، وذلك أعلى منصب علمي ديني ليس في مصر

والعالم العربي فحسب، بل وفي طول العالم الإسلامي وعرضه. وكان البشري يمثل الصفة الدينية ، والقيادة الدينية العليا للعالم السني بينما كان السيد الموسوي ينتمي إلى الطائفة الشيعية. إننا اليوم نحترم إخواننا الشيعة، ونحترم حقهم في الاختلاف، وأن تكون لهم خياراتهم ، بيد أن الأمر لم يكن كذلك في أواخر عهد الدولة العثمانية (سنة 1911 – 1912م)، كل هذا يجعل من الصعب أن نتصور البشري يتصرف بهذه الطريقة ، وضمن الوصف الذي صاغه السيد الموسوي : صغيرا، جاهلا، مستسلما، ممتنا، شاكرا للفضل من البداية إلى النهاية، من المراجعة رقم (1) إلى المرجعة رقم (112) ، كل ذلك تجاه شاب صغير، غريب في مصر ، شامي، وشـيعي.

رابعا: عندما وصل الموسوي إلى القاهرة قبل حضوره أول درس سمعه للشيخ البشري كان عمره تسعا وثلاثين سنة، بينما كان عمر البشري إحدى وثمانين سنة، وهنا يلزمنا أن نلاحظ :

1) الفارق الكبير في السن، عمر البشري أكثر من ضعف عمر الموسوي، وما يعنيه ذلك الفرق العمـري في العرف الاجتماعي في ذلك العصر ، خاصة مع منصب ومكانة البشري الاجتماعية والدينية، ووضع الطرف الآخر في الوقت نفسه؛

2) أن النسبة الكبرى من الأفراد تضعف قدراتهم ضعفا كبيرا عندما يبلغون هذه السن، القدرات البدنية والقدرات العقلية، خاصة التذكر والتركيز وسرعة الاستجابة،

3) أن الموسوي عندما بدأ الاتصال بالبشري كان غريبا عن القاهرة وعن مصر، شابا شاميا ، ثم شيعيا وسط مجتمع ســني ، يحمل فكرة عن الشيعة ليست إيجابية.

خامسا : إن نص المراجعتين الأولى والثانية يصور البشري يعلن جهله، ويبدو مستسلما من البداية، ويطلب من السيد الموسوي – الشاب الصغير، الشيعي الشامي الغريب والشيعي -- أن يشرح له ويعلمه. أما الموسوي فيبدو في الموقف الأعلى، موقف الأستاذ مع التلميذ. وهاتان الصورتان تبدوان واضحتين في النص الذي كتبه السيد الموسوي كما أراد أن يصور شخصيته وشخصية الطرف المقابل.

سادسا : إنه إذا كان الشيخ البشري قد رفع الراية البيضاء من أول "مراجعــة"، واعترف بجهله التام في الموضوع، وأعلن أنه في موقف المتلقي المتعلم – وهذا أيضا ما يوحي به نص مقولات السيد الموسوي – فإننا لسنا أمام عالمين يتناظران أو يتجادلان أو يتشاجران ، إننا أمام شخص واحد، وحده في الحلبة، يرغي ويزبد ويتباهى بقوته وينظر إلى الطرف الآخر من عل، من مثل قولـه في نهاية المراجعة رقم 12: ***"خـذها في سـراح ورواح ، ينفجر منها عمود الصباح ، خذها رهوا ســهـوا ، وعـفـوا صفوا ، خذها من خـبير عليه سـقطت ، ولا يـنـبئك مثل خبير ، والسلام[405]"***

سابعا: ثم إننا – عندما نقرأ المراجعات - لا نجد أن مؤلفها جاء بجديد، أو أنجز أو ابتكر، لقد كان معظم ما دونه نقلا وتكرارا من المصادر الإمامية القديمة، الكليني، وابن بابويه القمي، والشيخ المفيد، والطوسي، وغيرهم ممن ذكرنا في هذه الدراسة ولم نذكر. ولو أن في المجال متسع لعرضت صفحات متقابلة تبين هذا النقل والتكرار، ويمكن لأي من القراء والقارئات ان يقوم بالمقارنة إن شاء[406].

---

[405] ***الـمـصـدر نـفـسـه*** ، ص 131 .

[406] خذ مثلا الصفحات 93 – إلى 131 عند الحديث عن آيات القرآن الكريم التي زعم أهم علماء الإمامية أنها نزلت في علي وأهل بيته ، مثل : "فهل نزل من آياته [القرآن الكريم] الباهرة في أحد ما نزل في العترة الطاهرة ؟ هل حكمت محكماته بذهاب الرجس عن غيرهم ؟"
ومثل :
"إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ..." والأبرار هم : علي وفاطمة والحسن والحسين نزلت فيهم هذه الآيات، مع العلم أن الحسن والحسين رضي الله عنهما كانا في سن 7 سنوات وست سنوات عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم..."

وعلى الرغم من وجود التحفظات التي أبديتها ، وأبداها غيري ، على كتاب السيد الموسوي فقد تبناه "المجمع العالمي لأهل البيت" في مدينة "قـم المقدسـة" في إيران ، وكلف لجنة التحقيق والتأليف لديه بإخراجه، وقام بطباعته طبعة فاخرة بكل المواصفات الجذابة، وكرر طبعاته مرات واستخدم الكتاب في الدعاية والإهداء على نطاق واسع لسنوات كثيرة، وما زال ، على الرغم من أن الكتاب لا جديد فيه سوى قصة السيد الموسوي رحمه الله عما قال إنه جرى بينه وبين الشيخ سليم البشري، رحمه الله. والنسخة التي أقتنيها صدرت طبعتها في قم سنـة 1422هـ/2001م. وقد أضافت اللجنة التي تولت الإشراف على الكتاب كما كبيرا من التعليقات والزيادات في حواشيه ، فضلا عن الثناء الذي يبدو مسرفا ومتجاوزا لكل الحدود الموضوعية. وفي صفحة العنوان الأولى أعطي الشيخ عبدالحسين الموسوي لقب : " الإمام " ، كما أضيفت إلى اسمـه في كثير من الصفحات عبارة "قدس سـره"، أو اختصرت بحرفي ق. س. ويبدو لي أن اهتمام "المجمع العالمي لأهل البيت في قم المقدسة" انطلق بهدف إقناع القراء المتلقين بأن يقولوا لهم ما معناه : أنظروا كيف استطاع هذا الشاب الشيعي وهو صغير وغير معروف آنذاك أن يواجه أكبر شخصية دينية في عالم الإسلامي السني ويجابهه بالحجج الشيعية الإثني عشرية القوية المفحمة فيتهاوى أمامه من أول جولة، من أول مراجعة، فإذا وصل إلى المراجعة الأخيرة – رقم 112 - فقد بدا مستسلما، معلنا أنه تعلم فعلم بعد جهل، وأخذ يردد المقولات الإثني عشرية مصحوبة بالثناء غير المحدود على السيد الموسوي لما تفضل به عليه، والثناء على المذهب وأئمته. وفي آخر ذلك يراد أن يقال ويستنتج إن العقائد الإثني عشرية الإضافية هي العقائد الصحيحة بدليل أن أكبر شخصية دينية سنية على مستوى العالم لم تملك إلا الانصياع السريع والتسليم بصحتها.

تجربة "جماعة التقريب بين المذاهـب الإسلامية" :

كانت تجربة قصيرة الأمد في مرحلتها الأولى، لم تمتد سوى بضع سنوات. لقد ظهرت "جماعة التقريب بين المذاهب" في أواخر سني الأربعينات من القرن العشرين، في القاهرة ، بعد فترة قصيرة من نهاية الحرب العالمية الثانية سنة 1945م. وقد شاركت في تأسيسها شخصيات إسلامية مصرية وإيرانية كان من بينهم شيخ الأزهر الشيخ عبدالمجيد سليم، وحسن البنا ، المرشد العام للإخوان المسلمين، كما كان من الجانب الإيراني الشيخ محمد تقي القمي، السكرتير العام للجماعة . بيد أن الأحداث والظروف التي تلت قيام ثورة 23 يوليو (تموز) 1952 في مصر عفـت على آثارها ، فلم يبق منـها سوى بعض الإشـارات العارضة في بعض ا لكتب والمجلات والصحف. وتحمل لنا وسائل الإعلام أخبارا بأن محاولات جديدة بدأت تظهر بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران، وأن مؤتمرات تلتئم تحت عوان : التقريب بين المذاهب. ومن ناحية أخرى فإن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين تظهـر في مراتبه العليا بعض الشخصيات الشيعية الإيرانية، من حين لآخر [407].

أصداء قيام الثورة الإسلامية الإيرانية وخطابها الثوري :

---

[407] منير شـفيق ، ***الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات : ثورات .. حركات .. كتابات*** (الكويت : دار القلم ، 1406هـ/1986م)، ص 72 – 76 .

عندما انطلقت الثورة الإيرانية سنة 1979م بقيادة السيد الخميني رحمه الله، كانت معظم البلاد العربية ما زالت تتجرع غصص هزائم متلاحقة بدأت بهزائم الجيوش والأنظمة، بل الأنظمة والجيوش سنتي 1948- 1949، وتلت ذلك هزيمة 1967م، ثم هزيمة 1973م التي بدأت بنصف انتصار ثم ما لبثت أن تحولت إلى هزيمة . وقد نتج عن هذه الهزائم أن الخطاب السياسي لمعظم الأنظمة العربية صار يعكس روح الهزيمة، والتخلي عن مواقف وشعارات الاعتزاز التي اختارتها الشعوب، وتبنتها بعض الأنظمة دون صدق، أو من غير جدية، أو من غير حرص على أن تعد للموقف وللخيار عدتـــه. وعندما انطلق خطاب الثورة الإسلامية في إيران بدا خطابا طافحا بالقوة والاعتزاز والوعود، فسقط على أرض عطشى وتلقته شعوب عالم الإسلام بكل عواطف الترحيب والثناء وعانقتـــه بدرجة عالية من الحرارة الصادقة. وفي خضم تلك العواطف لم يطرح أي تحفظ مذهبي أو تخوف من المذهبية ، خاصة وأن نظام الخميني تعامل مع هذا الجانب بمهارة وذكاء . وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت شخصيات ثقافية ، وظهرت تيارات صغيرة تحتضن كل العواطف التي أشرنا إليها وتصوغها في توجه صارخ مفعم بالحماسة يدعو إلى الوحدة والتوحد تجتمع في إطاره جميع القوى والتيارات الإسلامية المناضلة التي ظلت مكسورة الجناح أمدا طويلا بفعل سياسات القهر التي مارستها وما زالت تمارسها كثير من الأنظمة الحاكمة في عالم الإسلام. وحتى عندما انفجرت الحرب بين العراق وإيران لم يتردد كثيرون من الإسلاميين السنة ، بما فيهم شخصيات ثقافية مرموقة، وحركات إسلامية صغيرة، من الانحياز إلى إيران والدفاع عن خطابها وسياساتها، خاصة وأن النظام الذي كان يحكم العراق آنذاك كان بعثيا علمانيا اندمج فيه الحـزب بالـزعيم الأوحـد صاحب الإنجازات المعجزة ، حسبما كانت تبثه أدواته الإعلامية وكل المتعاطفين معه والمنحازين إليه . ثم تطورت الأحداث خارج سيطرة القوى المحلية في عالم الإسلام وفي منطقتنا، وسقط نظام صدام حسين بالكيفية التي عرف الناس كل مظاهرها المعلنة وسط فرحة جهات حملتها أجنحة الشماتة عاليا، وأسى وحزن جهات هزتها الصدمات هزا عنيفا ، وخيم على معظم دول عالم الإسلام وأنظمتها الحاكمـة خطاب مستسلم ينشد السلامة والرضا، على الرغم من أن الممارسة والخطاب الإسرائيلي لم يتغيرا، بل زادهما خفوت الصوت العربي والإسلامي استهتارا وطغيانا. وهكذا لم يعد عالم الإسلام يسمع سوى الخطاب الإيراني يجلجل في الساحـــة، رافضا الانحناء، معلنا التحدي والاستعداد للتصدي لأي عدوان ، ومعلنا تمسكه بامتلاك وسائل القوة التي تمكنه من ذلك. ومن هنا صار رجل الشارع يرى نفسه أكثر استعدادا للإستـماع للخطاب الإيراني والترحيب به ، وصار هذا الموقف خيار كثيرين من المتعلمين والمثقفين. ولعل ما يلخص جانبا من هذا التوجه ما قاله واحد من مشاهدي إحدى القنوات الفضائية تعليقا على صمود حزب الله في وجه الهجوم الإسرائيلي الواسع، وعلى الخطاب الإيراني ، قال ذلك المشاهد : "أنا سني عقيدة وشـــيعـي سياســة." هذا مثل من مستوى المتعلمين، لكن هناك أمثلة اخرى تمكن فيها السياسي من اجتياح العقيدي واستئصاله. وخلال هذه الأجواء عاد الحديث عن التوفيق والتقريب، بل وعقدت لذلك مؤتمرات كان منها ذلك المؤتمر الذي عقد في الدوحة بدولة قطـر، حوالي شهر شباط (فبراير) ، 2007 م، تحت مسمى التقريب بين المذاهب [408]. كانت البداية عاطفية ، عند بعض الذين نشطوا في هذا المسار، وربما كانت خطوة محسوبة عند فريق آخر، بيد أن المدخل لم يكن صحيحا، ولم تسبق هذا التحرك عملية تحضير تتناسب في جديتها مع أهمية الموضوع وخطورته ، ولذا فإن من غير المنتظر أن تحرز هذه التحركات أي تقدم.

[408] أنظر حســين الرواشـــدة ، "التبشير بالمذهب دعوة مغشـــوشة ، ***جريدة الدستور*** (عمان – الأردن)، عدد 2008/8/26.

مدى ملاءمة الظروف الحالية لمثل هذا الحديث عن الشيعة وعن إيران:

إنني أدرك تماما ما يمكن أن يثيره هذا الجزء الإنتقادي من أطروحة الحوار التي استعرضتها في فصول هذا الكتاب ، وربما لا يكتفي بعض المعلقين بمجرد القول : "إن الوقت غير مناسب لمثل هذا الإنتقاد ؛ بل قد يقولون، وقد قال بعضهم، وسيقول آخرون : إن هذا قد يكون، أو قد يعتبر جزءا من الحملة الإسرائيلية والغربية على إيران، وأنه جزء من السعي لتجييش الدول العربية والإسلامية ضمن هذه الحملة المتعلقة بجهود إيران لامتلاك التقنية النووية.

الحملة التي أطلقتها وتقودها إسرائيل وأنصارها على إيران ترتكز على ادعاءات أربعة:

(1) إن امتلاك إيران لأية قدرات نووية يعتبر خطرا وجوديا على إسرائيل ، وخطرا أيضا على دول الغرب كلها، بما في ذلك الدول القصية جغرافيا ، بدرجات متفاوتة،

(2) إن هذا "الخطر الإيراني" يهدد الدول العربية والإسلامية

(3) إن هذا "الخطر الإيراني" أكبر وأشد على الدول العربية والإسلامية من الخطر الإسرائيلي،

(4) وبناء على ذلك فإن الدول العربية والإسلامية مطالبة بأن تحتشد ، مع إسرائيل ومع الغرب لصد هذا الخطر قبل أن يستفحل.

وقد لقيت هذه الادعاءات رواجا – حتى عند بعض الجهات الرسمية في الدول الإسلامية ، وكذلك في الإعلام الرسمي الأصيل أو الموالي.

إنني لست ممن يتبنى هذه المقولات الأربع أو يؤيدها، بل الأمر على العكس من ذلك؛ إنني أعتقد أنها هذه مجرد مغالطات دعائية، مصدرها الأول إسرائيل وأنصارها في عالم الغرب. ورغم الخطاب السياسي الإيراني الهادر فإنني لا أعتقد أن إيران تشكل خطرا على إسرائيل، أو يمكن أن تبادر بحرب ضد إسرائيل. الإيرانيون يتكلمون بلغة الدعاية السياسية التي تتظاهر بالسير على حافة الهاوية، لكنهم في الممارسة عقلانيون إلى حد كبير، بالنسبة لسياستهم الخارجية. ومع ذلك فإن من المرجح أن إيران لن تتأخر في الرد على أي هجوم إسرائيلي أو غربي إن تعرضت لهجوم عسكري . والذي أعتقده أن الغرب يرتكب خطأ كبيرا لو بالغ في الضغط الفعلي – ليس السياسي فحسب – على إيران ، أو تمادى في الانسياق مع إسرائيل، أو سمح للتطرف الإسرائيلي بأن يجر العالم إلى كوارث ومآزق جديدة .

ثم إن هناك كلمة مهمة لا بد أن تقال، وتؤخذ في الاعتبار في هذا المقام : إن الأغلبية الساحقة ممن يعنون بالسياسة أو يتكلمون في السياسة في العالم العربي والعالم الإسلامي سواء – وهم نسبة كبيرة جدا يدخل فيهم ذوو العلم والخبرة ، كما يعد منها أناس عاديون وأشباه أميين – هؤلاء الناس لا يثقون فيما تعلنه الدول الست (1+5) التي التي اجتمع ممثلوها في بروكسل أواخر تشرين الثاني 2009م للتداول في شأن تشديد العقوبات على إيران ، سيما وهم يرون الدول الست تغتصب دور الأمم المتحدة وتفرض وصايتها على الشئون الدولية. وهذه الكثرة من الناس المسيسين في عالم الإسلام لا يرون دول (1+5) مؤهلة من الناحية الأخلاقية للقيام بهذا الدور؛ وتلك حقيقة يعرفها الخبراء

والمختصون في عالم الغرب. فرنسا وبريطانيا لهما ماض إستعماري طويل وعميق الأثر ؛ روسيا لها تاريخ استعماري معروف في فترتي الحكم القيصري كما في الحقبة السوفياتية. أما الصين فقد استولت على التبت وضمتها إلى أراضيها، كما أنها تفرض استعمارها على تركستان الشرقية المعروفة باسم سنكيانغ، في أقصى غرب الصين. أما ألمانيا فيكفيها ماضيها النازي مانعا من تصديها لمثل هذه القضايا ، وبجانب ذلك فقد كانت لها بعض المستعمرات في أفريقيا. أما الولايات المتحدة فلم يكن لها ماض استعماري، لأن أراضيها نفسها كانت مستعمرة ، بل مستعمرات، غير أن أميركا هي التي اخترعت السلاح النووي، والدولة الوحيدة التي استخدمته على نطاق غير مسبوق في تاريخ البشرية بضربها مدينتي هيروشيما وناكازاكي، ثم بهجومها على العراق سنتي 1991م و 2003م،وما استخدمت في تينك الحربين من أسلحة كان من بينها "اليورانيوم المنضب" ، سيما وأن أميركا اضطرت إلى الاعتراف بأن غزو الحرب على العراق بنيت على مبررات مصطنعة وغير صحيحة [409]. ويدرك المسيسون والأميون في العالم الإسلامي أن إسرائيل هي التي تهدد منطقة العالم الإسلامي كلها ، وتحاول ابتزازها بمختلف أدوات القوة المتوفرة لديها، من الدعم السياسي الغربي، والدعم المالي، والنفوذ المتغلغل في مراكز أعصاب البنى الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في دول عالم الغرب، فضلا عن ترسانتها النووية . وإسرائيل هي التي احتلت أراضي ثلاث دول عربية في حرب اعتبرت "استباقية" عام 1967، بينما الحقيقة أن هذه التسمية لا تنطبق على الواقع. ما يسمى بالحرب الاستباقية تعني بدقة "السبق بالهجوم على عدو يستعد للقيام بهجوم وشيك عليك". أما في حالة مصر، الجمهورية العربية المتحدة سنة 1967م ، فلم تكن في حالة تسمح لها بشن حرب على إسرائيل بينما كانت هي نفسها – مصر – غارقة في الحرب اليمنية التي تلت إسقاط النظام الإمامي واستمرت حتى سنة 1970م. وكانت تلك الحرب قد جرت إلى حلبتها السعوديين ودولا أخرى. وقد كانت أسرائيل تعرف ذلك تمام المعرفة؛ وعلى ذلك فإن ما سمته حرب الأيام الستة لم تكن حربا استباقية .

إن إيران ليست بحاجة إلى سلاح نووي لتهديد جيرانها من الدول الإسلامية . إن قدراتها الحالية، من غير سلاح نووي ، تمكنها – من الناحية العملية – من تهديد جيرانها، اعتمادا على غياب التوازن من النواحي الديمغرافية، والتسليحية، ومستوى الخبرة السياسية والعسكرية، والثقة بالنفس، ولا ينكر ذلك إلا جاهل، أو مغالط . بيد أن إيران تدرك أيضا، وبكل وضوح، أن الأهمية الإستراتيجية الشديدة الحساسية، لمنطقة الخليج العربي، المنبثقة من وجود البترول والمال الناتج عنه ، لا تسمح لها باستخدام عناصر القوة لديها في الاعتداء على دول الخليج أو تهديدها بشكل عملي . فعالم الغرب، بل والعالم كله، يعتبر ذلك – لو حدث فعلا ، أو اقترب من الحدوث - خطأ أحمر سيواجه تجاوزه بردود حاسمة لا تستطيع إيران تحمل عواقبها. والذي أرجحه أن عالم الغرب الغارق في المستنقع الأفغاني وامتداداته لن يغامر بفتح جبهة جديدة، والانزلاق إلى حرب جديدة ستكون تكاليفها أكبر من تكاليف المستنقع الأفغاني بمئات المرات، ولعل تجربته في العراق تشكل درسا آخر بجانب درس أفغانستان.

إسرائيل لديها ترسانه نووية هائلة، عمرها نصف قرن؛ والتقديرات التي ظلت تتردد منذ عشرين أو ثلاثين سنة ذهبت إلى أنها تمتلك ما بين مـئـتين إلى ثلاثمـئة رأس نووي. لكن القدرات الإسرائيلية لا تنحصر في عدد القنابل، وإنما في الأسلحة النووية التكتيكية – غير التقليدية - التي قد

---

[409] أما الهجوم على العراق سنة 1991م فإن العالم قد عرف كيف نصب شرك لصدام حسين، وكيف انقاد بغطرسته وغروره مخدوعا لاحتلال الكويت ، ليضرب وهو في دور المعتدي ؛ وقصة اجتماع السفيرة April Glaspy به يوم 1980/7/25م معروفة، وقد نشرتها مجلة ***Time*** الأميركية بعد أسبوع واحد من الاجتماع المشار إليه.

تكون أكثر ملاءمة وفاعلية في حالة اندلاع الحرب، وأبعد تأثيرا. ولست أصدق أن إسرائيل مذعورة من خطر امتلاك إيران لقدرات نووية، سواء بعد سنة واحدة أو بعد عشر سنوات أو عشرين. لكن إسرائيل وضعت ضمن استراتيجيتها الحرص والعمل على استمرار حالة "فراغ القوة" ، ليس في العالم العربي فحسب، بل وفي العالم الإسلامي كله. لقد انبنت الخطة الصهيونية ، منذ المؤتمر الصهيوني الأول سنة 1897 على أن منطقة عالم الإسلام ميدان يسوده الفراغ ، فراغ القوة والمعرفة، والمستوى الحضاري، وفراغ القدرة على المقاومة. غير أن ظروف هذه المنطقة لم تبق على حالها، في نفس مستوى وضع الفراغ الذي سادها في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . لقد حدث فيها تطور كبير، وإن كان قد قصر بدرجة خطيرة عن الوصول إلى حالة التوازن مع التهديدات الخارجية.

والحقيقة التي أراها بوضوح أن المشروع الصهيوني ورط يهود العالم حيث وضعهم في مواجهة العالم الإسلامي كله، وبصفة دائمة، لأنه تأسس وانبنى في الأصل على أساس الظروف التي كانت سائدة في أواخر القرن التاسع عشر، المتسمـــة بالفراغ، فراغ القوة، فراغ المقاومة ، وفراغ القدرات الحضارية ، والقدرات التقنية. ومع ذلك فإن درجة التغير التي تحققت في أراضي عالم الإسلام – رغم قصورها كما أشرنا - تجعل إسرائيل حساسة تجاه أي قدر من التقدم يحدث في أية دولة إسلامية، وتحفزها على تقويض أي مظهر عملي من مظاهر التقدم الذي يقلل من حالة الفراغ . ولست أشك في أن الدفع الإسرائيلي نحو غزو العراق وتدميره كان جهدا في هذا الاتجاه، ونحو هذا الهدف ، لإبقاء وتأبيد حالة الفراغ في عالم الإسلام . وفي هذا السياق يندرج الموقف من إيران، وما ظهر من جهد إسرائيلي ضد باكستان غداة اشتهار امتلاكها للسلاح النووي.

أما الدول الإسلامية المفزوعة من قدرات إيران العسكرية فإنها تعاني من مخاطر أخرى داخلية، أكبر من المخاطر الإيرانية المبالغ فيها. وهذه المخاطر ناجمة عن ثغرات ضعف تحمل في بذورها وثناياها عوامل الانفجار والانهيار الذاتي من الداخل، وتتمثل في ضعف الترابط بين مكونات المجتمع، وبين السلطة وأكثرية المواطنين. إن تماسك الجبهة الداخلية لأي شعب، ولأي أمـــة هو الذي يمثل أهم عناصر القوة في حياتها ومسيرتها. ومع أن هذا التماسك يندر أن يكون في وضع مثالي دائما ؛ قد يتذبذب هبوطا وصعودا، بيد أن انحداره يشكل خطرا كبيرا إن تجاوز حدا معينا. وهذه القاعدة تنطبق على إيران نفسها أيضا. لقد دخلت إيران مرحلة ما بعد الثورة، بمعنـــى أن الحماسة الثورية التي مثلها مد الثورة سنة 1979م قد بردت، وبدأت القوى الداخلية ذات الرؤى المختلفة مرحلة التنافس، ثم انتقلت مؤخرا إلى مرحلة الصراع، كما بدا في الانتخابات الرئاسية التي حملت نجاد إلى ولاية ثانية أمام معارضة شديدة وتبادل اتهامات بين كل الاتجاهات. وهنا صار الانزلاق إلى القمع والقهر، وهو بداية انفراط العقد. أما الخطر الداخلي الثاني الذي يهدد إيران فهو الاضطهاد والقمع الموجه إلى السنة، مصحوبا بجهود محمومة لحملهم على الدخول في التشيع؛ وأبرز مثل على ذلك رد الفعل العنفي، والتفجير الذي تعرض له مسجد شيعي أنشئ في بلوشستان إيران المتبعة للمذهب السني [410]. وقد عزت إيران الرسمية تلك الأحداث إلى تدخلات خارجية وارتباطات بالخارج ؛ وهذه مقولة ترددها كل السلطات القمعية ضد كل الذين يقاومون الطغيان والظلم.

410 بلوشتان إحدى الولايات الأربع ف في باكستان ، وتمتد أراضي البلوش عبر الحدود إلى إيران ، حيث بلوشتان إيران .

هجـوم إيراني في جبهــة أخــرى :

إذا كانت هذه رؤيتنا ورؤية كثيرين غيرنا لحملة التهويل ضد مسعى إيران لامتلاك التقنيات النووية "للأغراض السلمية"، أو حتى للأغراض العسكرية، تخالف اتجاه هذه الحملة أو تناقضة فإن هناك هجمـة إيرانية حقيقية في ميدان آخر غفلت عنها العيون فترة طويلة. وقد بدأت هذه الهجمة فور شعور قادة الثورة وأنصارهم بالتمكن والاستقرار في داخل الدولة الإيرانية. وتتمثل هذه الهجمـة وتستهدف نشـر المذهب الجعفري في الأقطار الإسلامية ذات الأغلبية السنية، أو تلك التي لا وجود للتشيع في محيطها، وذلك في الوقت الذي تخضع الأقلية السنية الكبيرة في إيران لضغط متواصل وصارم، وهي أقلية كبيرة يتراوح عددها بين خمسة عشـر وعشرين مليونا. وهذا الهجوم الأيراني يوظف عددا من الأساليب والأدوات لتحقيق هدفه:

أولا : قوة الخطاب السياسي للدفاع عن الحقوق والمصالح الإيرانية، ثم الدفاع عن القضايا الإسلامية،

ثانيا : عملية نشر الكتب الشيعية و "التشـيـع العـقيدي" والمقولات والعقائد الشيعية الخاصة الإضافية، باللغة العربية، وبالترجمة من الفارسية،

ثالثا : توظيف المال لإغراء من يجدون لديهم الاستعداد لقبول المذهب، ولمساعدتهم وتقويتهم بعد أن يتم ضمهم وتوظيفهم في نفس الميدان

رابعا : بذل جهود كبيرة وواسعة في استخراج مادة من مجموعات الحديث السنية تؤيد ادعاءاتهم

خامسا: الخلط بين الجدل والحوار والمناظرة والمغالطة المقصودة، والتقية.

ومن نتائج هذه الهجمة الإيرانية ظهرت حركات شيعية في بلاد لم يسمع فيها بوجود شيعي واحد منذ القرن السادس الهجري. ففي هذه السنة (2009م) نسمع بالمجلس الأعلى لآل البيت، المؤسسة الشيعية الرئيسية في مصر، ونقرأ في الأخبار أن السيد أحمد النفيس قدم نفسه زعيما جديدا لهذا المجلس، وألقى بيانا شديد اللهجة ضد الحكومة مؤكدا "أن الشيعة في مصر أصبحوا رقما مهما في المعادلة السياسية المحلية والدولية، ولا يمكن تجاهلهم." وقال النفيس: إن الشيعة "يحملون مظلومية أهل البيت منذ أربعة عشر قرنا ... [411]" وضمن تعليقات القراء على هذا الخبر نقرأ أول تعليق لمواطن مصري قال فيه : " أنا عمري 35 سنة، وألـف [بمعنى أدور] مصر كلها نظرا لطبيعة عملي ؛ عمري ما سمعت في حياتي أن مصر فيها شيعة، ولا *حتة* زاوية ، مش حتى مسجد لهم . [412]"

وعن النشاط االدعائي للمذهب الإثني عشري في سوريا نقرأ أنه بلغ حدا حمل الشيخ محمد سعيد البوطي على أن يتقدم بملف موثق بنشاطات شيعية في سوريا تسهر عليها السفارة الإيرانية، مما أفضى إلى تغيير السفير. وفي السودان ظهرت تحركات إيرانية مماثلة حملت السلطات السودانية على إغلاق المكتب الثقافي الإيراني. وفي الجزائر تناولت وسائل الإعلام النشاط الشيعي الذي أثار الرأي العام لدرجة حملت السلطات التشريعية والتنفيذية على اتخاذ إجراءات لإيقاف تلك التحركات. أما في المغرب، فقد تعالت أصوات كثيرة للتحذير من أخطار الاختراقات الشيعية في جدار المذهب المالكي

---

[411] شبكة الجزيرة ، ***إنشقاق بين شيعة مصـر*** ، 2009/7/27م.

[412] ***المـصدر نفســـه*** .

السائد في المغرب، وتصاعدت وتيرة الاتهامات ، وأدى التوتر إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وملاحقة المعتنقين الجدد للتشيع من المغاربة للمطاردة من قبل الجهات الأمنية [413]. أما في تونس فقد بدا موقف السلطات الرسمية مشجعا للأنشطة الشيعية من خلال جمعيــة " آل البيت " . وكان من بين ما تقوم به الجمـعية إنشاء مكتبات عامة تعرض فيها الكتب الشيعية الداعية إلى التشيع. وقد فسر السيد راشد الغنوشي هذا المسلك الرسمي بأنه يرمي إلى إضعاف المعارضة الإسلامية التونسية وتشتيت الولاءات الإسلامية بغية القضاء على أي أثر للمعارضة [414].

وفي هذه الأيام، بينما أكتب هذه السطور، نشاهد على شاشات التلفاز وزير الخارجية الإيراني السيد منوشهر متكـي في مؤتمـر صحفي انتقد فيه المملكة السعودية لما سماه تدخلها العسكري في الصراع الدائر بين الحكومة والجيش اليمني وجماعة الحوثيين الزيدية الشيعية في منطقة صعدة في اقصى الشمال اليمني قرب الحدود السعودية، وذلك في العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) 2009م. وفي اليوم التالي أعلن بيان رسمي يمني رفض أية وصاية إيرانية على مواطنيه الشيعة، مؤكدا أن الحرب على الحوثيين الزيديين في شمال البلاد شأن داخلي، وذلك ردا على تصريحات وزير الخارجية الإيراني [415] . وقد تواصلت التصريحات الإيرانية والردود اليمنية والسعودية بعد ذلك.

وفي يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) 2009 نشاهد ونسمع ونقرأ عبر وسائل الإعلام تصريحا لنائب رئيس الجمهورية العراقية السيد طارق الهاشمي قال فيه : إن التدخل الإيراني في شئون العراق هو سبب المشاكل التي تتعثر بها الجهود الرامية إلى تحقيق المصالحة بين مكونات الشعب العراقي.

وكان رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى اضطر للخروج عن صمته أثناء مؤتمر عقد في الدوحة للتقريب بين المذاهب، فدعا العلماء المشاركين في المؤتمر من الجانب الشيعي إلى "حسم موقفهم من قضايا يعتبرها أهل السنة تجاوزات بحقهم، ومن أبرزها الدعوة للتشيع في الأقطار ذات الأغلبية السنية. " ومما قاله آنذاك : إن تشييع ألف، أو حتى مليون من أهل السنة لن يخدم الإسلام، ولن يضيف للشيعة أي مكسب، ناهيك عما يسببه من فتن وصراعات لا مصلحة للمسلمين فيها، علما بأن عدد الشيعة في عالمنا الإسلامي لا يتجاوز نسبة عشرة في المـئـة من مجموع المسلمين الكلي [416].

وفي ثمانينات القرن الماضي، القرن العشرين، زارني في بيتي شاب أزهري سني ، كان يعمل مدرسا، ولم تكن لي به معرفة سابقة، وذلك ليقنعني بصحة المقولات الشيعية الإثني عشرية استنادا إلى أحاديث وردت في الصحاح عن مسألة المهدي المنتظر، وولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وغير ذلك. ثم ظهر – بعد سنوات طويلة – أن ذلك الشاب كان من مؤسسي إحدى حركات المقاومة الإسلامية الصغيرة في غزة، وأن تلك الحركة نشرت التشيع وأنشأت حسينيات ومساجد شيعية، بينما لم يكن في غزة فرد شيعي واحد قبل ذلك .

---

413 إنظر : راشد الغنـوشــي ، ***العلاقة بين الشيعة العرب وإيران*** ، شبكة الجزيرة ، المـعرفة ، الأربعاء 1430/7/2هـ/2009/6/24م، آخر تحديث الساعة (8:02) بتوقيت غرينتش.

414 ***المصدر نفســه*** . والسيد الغنوشي معارض للسلطة في بلاده, وهو زعيم أكبر حركة معارضة إسلامية - حركة النهضة – ويعيش خارج تونس منذ سنوات طويلة لاجئا سياسيا .

415 جريدة ***الــرأي*** الأردنية ، الجزء الأول بتاريخ 2009/11/11 ، ص 20 ، وتتمة الخبر في ص 13.

416 حسين الرواشدة ، جريدة ***الدستور*** الأردنية ، 29 آب (أغسطس) 2009م . وقد ذكر الأستاذ الرواشدة أنه كان من المشاركين في المؤتمر الذي تحدث فيه الشيخ القرضاوي .

وفي مجال الدعاية المذهبية يعتبر الإثنا عشرية أن من أقوى أسلحتهم في هذا المضمار استخدام ما يرد في كتب أهل السنة – خاصة مجموعات الحديث النبوي، أو المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وما ينسب إلى علي بن أبي طالب - مما ينسجم مع مقولاتهم في التنويه بفضائل الخمسة : محمد صلى الله عليه وسلم، وعلي وفاطمة والحسنين، رضي الله عنهم، وكأن هؤلاء الخمسة يخصون الشيعة وحدهم، وأن محبة واحترام السنة لهم والثناء عليهم والتنويه بفضائلهم مجرد تقليد وتبن لما يقوله الشيعة؛ ثم يتوصلون من خلال ذلك إلى استنتاج خاطئ مفاده أن أهل السنة يعترفون بصحة اعتقاد الشيعة في أهل البيت المحصورين في الأشخاص الخمسة. فإذا وجدوا شيئا من هذا القبيل بالغوا في إبرازه على أساس أن الأحاديث الشيعية لها أسانيد تؤكدها في المصادر السنية، وذلك يعني اتفاقا وإجماعا على صدقها من الجانبين – حسب ادعائهم - وأن كل فقيه أو محدث أو مفكر سني يخالف ذلك الإجماع هو الشاذ ، والداعي للخصومة، وإنكار الحق ، ونشر الانحراف عن جادة الإسلام. . ومما يثير الدهشة في هذا السياق أن السيد الفيروز آبادي استغرق المجلد الأول وشطر المجلد الثاني من كتابه مستعرضا روايات سنية في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنويه بفضائله، باعتبار ذلك شهادة سنية لصحة عقيدة الشيعة، وكأن محمدا كان شيعيا، أو أنه يخص الشيعة وحدهم، وأن مدح السنة لمحمد صلى الله عليه وسلم، أو التنويه بحبه يعني أنهم أيدوا الشيعة واتبعوا خطواتهم .

ومما لا جدال فيه أن بعض جوامع الحديث السنية فيها كثير من الأحاديث الموضوعة، وقد ألف في ذلك كتبا ضخمة كثيرون من علماء السنة ، وعلى رأسهم – أو من بينهم - عبدالرحمن بن الجوزي المتوفى سنة 597هـ ، كبير علماء الحنابلة في عصره ، وكتابه الموضوعات يقع في أربعة مجلدات. وفي عصرنا – في القرن العشرين - ألف الشيخ ناصر الدين الألباني كتاب في خمس مجلدات بعنوان : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. وأعتقد أن مجموعات الحديث السنية الأعلى مرتبة لا تخلو تماما من نسبة، ولو ضئيلة ، من أحاديث اعتقد صاحب الجامع، أعني مؤلفه، بصحتها، وهي ليست كذلك ؛ وجل من لا يسهو ، والله وحده هو المنزه عن الخطأ. ولقد كان كثيرون من جامعي الأحاديث السنة – ليس كلهم – حريصين على جمع أكبر عدد من الأحاديث النبوية، أو تلك المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أي اهتمام بالتأكد من صحتها. وهكذا نرى أن هذه الثغرات نتج بعضها عن خطأ غير مقصود، وبعض الخطأ نتج عن إهمال التدقيق، أو مجرد الحرص على الكثرة ، بجانب الوضع المتعمد للأحاديث ، أي تزويرها ونسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي هذه اللمحة السريعة عن أخبار الهجمة الشيعية الإيرانية نجد هذا الخطر الإيراني التشييعي واقعا حقيقيا، لكنه لا يقع ضمن دائرة التهويل والدعاية الإسرائيلية ودعاية حلفائها. إنه خطر حقيقي، بيد أنه ليس خطرا وجوديا، ولا يمكن مقارنته بالخطر الإسرائيلي. الخطر الإيراني يقع أذاه على العلاقات بين الدول الإسلامية بالدرجة الأولى.

وإذا نظرنا فيما أوردناه من نصوص وفكر ومواقف إخواننا الشيعة في الفصول السابقة نجد أن منهجيتهم، أو مقاربتهم في التعامل مع إشكاليات العلاقات الثنائية تلتزم مسارا مختلفا: إنهم يتبنون أسلوب الجدال والمناظرة، والمغالطة، بجانب التقية والمغالبة، ويسعون إلى تحقيق الانتصار، بل لقد

أعلنوا انتصاراتهم في أكثر من مناسبة وعلى أكثر من منبر [417]. إيران صارت تعتبر نفسها مركز الاستقطاب الشيعي ، ومركز الإشعاع الثقافي، ومنطلق الدعاية السياسية، وقائدة كل هذه التحركات والمعارك، ومصدر تمويلها وتزويدها بقوة الدفع في ميادينها المختلفة .

وعلى الرغم من كل ذلك نجد بعض القيادات الإسلامية السنية المسرفة في انحيازها للجانب الإيراني تفعل ذلك دون تمييز أو تحليل لما يجري على الأرض. وبين يدي وأنا أكتب هذه الكلمات كتاب صغير، لكنه قوي الدلالة ، عنوانه : ***الشيعة والسنة ضجة مفتعلة ومؤسفة*** ، من تأليف الدكتور إسلام محمود. والفكرة الرئيسية في الكتاب هي الدعوة إلى الوحدة بين المسلمين سنة وشيعة لأن الوحدة مصدر قوة. وتلك دعوة لا يختلف عليها المسلمون من حيث المبدأ، سنة كانوا أو شيعة. ثم ينتقل الدكتور محمود في "عجالة سريعة" ، كما يقول، لتقصي "آراء ومواقف علماء أهل السنة وقادة الحركات الإسلامية التي تؤكد أن الإمامية الإثني عشرية فرقة إسلامية يتفقون معنا في أصول العقيدة، ويختلفون معنا في بعض القضايا التي لا يعتبر رأيهم فيها كفرا أو خروجا عن الملة [418]." لذلك يحشد طائفة مقتبسات من أقوال العلماء المنسوبين إلى السنة قديما وحديثا، ومن أقوال ومقولات الدعاة الإسلاميين في القديم والحديث أيضا، ويشغل بذلك بقية صفحات كتابه، من ص 17 إلى ص 57 ليعرض علينا شهادات سنية إيجابية كثيرة تشجع السنيين على فكرة الوحدة. ليت الدكتور إسلام محمود اعتمد على المصادر الشيعية الإثني عشرية القديمة والحديثة ليعرض علينا شريطا يصور عقائدهم من مصادرهم وأصولهم ، بدلا من بحثه عن تصريحات سنية ليخرج بشهادات عن الشيعة، افتقر أكثر أصحابها إلى المعلومات الصحيحة والوافية، وإلى الدقة العلمية والموضوعية في الوقت نفسه . وقد ذكرت هذا الكتاب مثالا لمقولات من يسرفون في التهوين من شأن الخلافات، وبذلك يتركون الجمر تحت الرماد، بل يغمضون عيونهم، ويحاولون إغماض عيون غيرهم عن الجمر الذي تحول لهبا في كثير من الأوقات والأماكن. وقد ظهر هذا التيار – تيار المسرفين في تهوين المشكلة - قويا ضمن أصداء قيام الثورة الإسلامية الإيرانية. ولقد شاهدت بنفسي وسمعت الدكتور عبدالصبور شاهين من خلال إحدى القنوات التلفازية الفضائية يقول ما فحواه : "لقد زرت إيران فلم أجد لديهم قرآنا آخر غير المصاحف المتداولة بأيدي المسلمين جميعا." ونحن لا نشك في صدق الدكتور عبدالصبور في أنه لم ير ولم يجد مصحفا ، ومع ذلك نقول : إنه لم يحاول أن يتعرف على ما تقوله المصادر الأساسية لإخواننا الإثني عشرية ، وهي التي تصور مضامين معتقداتهم عن القرآن ، مما حشدنا أمثلة كثيرة منه في الفصل الرابع من هذا الكتاب. ولو فعل الدكتور عبدالصبور ذلك لكان أكثر تحفظا ، خاصة وأنه شخصية أكاديمية إسلامية مرموقة، وداعية ممن يحتضنون العقيدة والفكرة الإسلامية.

والذي أود إعادة تأكيده هنا – وقد سبق أن قلته فيما مضى من صفحات كتابي هذا – هو أن السنة والشيعة يتفقون على ما يعتبره السنة أساسيات وركائز الإيمان التي يصبح الأفراد والجماعات بها ضمن دائرة الإسلام العامة، لهم حقوق الأخوة، ولا يجوز لأحد أن يحكم عليهم بالكفر، كما لا يجوز استعمال التكفير أو النبز ضدهم أفرادا أو جماعات؛ هذا ما وددت إعادة تأكيده . بيد أنني – في الوقت

---

[417] ومن أمثلة ذلك ما ادعاه العكبري، محمد بن محمد بن النعمان في ***رسالة المنام*** الانتصار على عمر بن الخطاب عندما جادله في حلمه،، كما نجده في المقدمة التي كتبها الشيخ علي أكبر غفاري لـ***كتاب الأمالي*** ، للطوسي ، ثم فيما ادعاه الشيخ عبدالحسين الموسوي من الانتصار على الشيخ سليم البشري، شيخ الجامع الأزهر .

[418] الدكتور إسلام محمود ، ***الشيعة والسنة، ضجة مفتعلة ومؤسفة*** (كتاب المختار الإسلامي،لا مكان طبع، ولا ناشر، ولا تاريخ، لكن ثمة دلالات داخلية مطبوعة تبين أن الطبع والنشر تم في القاهرة، بعد سنة 1984م) ، ص 17.

نفسه، وبدرجة التأكيد نفسها – أود أن أنبه وأضيف : إن إخواننا الشيعة لديهم عناصر ومفردات عقيدية إيمانية إضافية ، يعتبرونها – من وجهة نظرهم – مساوية لمفردات العقائد الإيمانية المشتركة مع السنة، بل إنها ترجحها في المواقف الحماسية ، وقد سبق ذكر تلك العقائد الإضافية وتحديدها فيما مضى من هذا الكتاب، وعرفناها باسم "التشـيع الـعـقـيـدي "، مقابل "التشيع السياسي" المجرد الذي مثل التشيع لعلي بن أبي طالب وأبنائه وأحفاده في القرنين الأول والثاني للهجرة. وإخواننا الشـيـعـة لا يكتفون بإضافة هذه المفردات إلى عقائدهم الأساسية المشتركة بينهم وبين السنة ، ولكنهم يعتبرون من لا يشاركهم الإيمان بها من "العامة"، أو من "المخالفين" – أي السنة -- خارج دائرة الإسلام، بل إلى النار والجحيم ، وبذلك ينقضون ويدمرون الاجتماع والاتفاق في العقائد الأساسية. وفي هذا المقام أجد من المناسب أن أنصح الأساتذة الأجلاء من الدعاة الإسلاميين بقراءة كتاب الـمـراجـعـات ، للشيخ عبدالحسين الموسوي في حليته الجديدة بعد أن تبنته قم، ووكلت بأمره من أضاف إليه شروحا ومؤيدات من النصوص والإحالات، فضلا عن تكرار طبعاته واستخدامه في الدعاية المذهبية عن طريق الاهداء، والترجمـة إلى لغات الشعوب الإسلامية، بل ونشره بين الجاليات الإسلامية التي تعيش في عالم الغرب.

وفي ضوء ما سبق فإنني أقول - ردا على حملة الإسراف في التهوين من أمر الخلافات – إننا نحتاج إلى تسليط الضوء على هذه الخلافات ليس لتسعير نار الحرب والصدام، ولكن من أجل الانكباب على عمليات حوار صريحة وشفافة لا تني ، وأن يظل باب الحوار مفتوحا في كل المستويات وفي كل المجتمعات ، وبمختلف الصور والآليات والأدوات ، مع الحرص على استبعاد فكرة المناظرة والمجادلة وطلب الانتصار والغلبة، كما بينا في الفقرة التي تحدثنا فيها عن ضوابط الحوار. وقد كثرت الوسائل وتوافرت بشكل غير معهود وغير متصور، من الخطبة والخطاب، إلى الكتاب، إلى المقال الصحفي، إلى الندوة والمؤتمر، الوطني والإقليمي والدولي، إلى المذياع والتلفاز، وأخيرا إلى الفضاء الألكتروني والشبكة العنكبوتية (الأنترنت) وتفرعاتها، مع ما فيها من مبتكرات متجددة متصاعدة يتواصل اتساعها متسارعا فيأتي كل صباح بجديد . هذا هو ما نريده .

لماذا اســتمر الـعـداء ؟

إذا نـحـينا جانبا خيار المسرفين في حماستهم، المستخفين بالخلافات المهـونين لخطورتها ، وتلمسنا موقف إخواننا الشيعة الإمامية، الإثني عشرية فإن هذا الموقف يبدو متشبثا بكل المعتقدات الإضافية القديمة ، أي مكونات "التشـــيع الـعـقـيـدي" :

أولا : عقيدة الإمامة بصورتها المضخمة، وتفاصيلها التي أوردنا أمثلة كثيرة منها

ثانيا : عدد الأئمــة وأشخاصهم المحددون كما هم في القائمة

ثالثا : غيبــة الإمام الثاني عشر وعـودته وإنجازاته المنتظرة ، عجل الله فرجه

هـذه هي القاعدة الثلاثية التي تـميز الشيعة الإثـني عشرية عن عامة المسلمين، وعن غيرهم من الفرق الشيعية بشكل رئيسي ، وهي اعتقادات بنظرية سياسية بكل ما في الكلمة من معنى، ولا شيئ غير ذلك. وهذا هو ما يختلف الإسلاميون الإصلاحيون مع إخواننا الجعفرية بشأنه ، وهو نفسه ما يرفضه أكثر "أهل السنة والجماعة".

الحاجة إلى وجود عدو ووجود معركة:

ويبدو أن إخواننا الشيعة قد أحسوا وما زالوا يحسون، وأن القادرين على التفكير منهم قد أدركوا ، أنه إذا انهارت هذه القاعدة الثلاثية أو أحدى قوائمها الثلاث انهار المذهب كله ولم يعد له وجود. ولهذا كان الإصرار على التمسك بهذه المعتقدات الثلاثة وما تفرع منها، باعتبار ذلك ضروريا لاستمرار المذهب. وهم لا يكتفون بذلك، بل يطلبون من غيرهم من المسلمين أن ينضموا إليهم في معتقداتهم، ولا يقبلون أقل من ذلك. وقد مر معنا إصرار الشيعة على أن من لا يشاركهم الإيمان بهذه العقيدة بأركانها الثلاثة يعتبر خارج دائرة الإسلام [419] . والمشكلة العملية التي لا حل لها – من بين هذه النقاط الثلاث - تتجسد في أن عودة الإمام الغائب خارج السيطرة ، وأن إقناع الناس بوجوده وغيبته بات من الأمور الصعبة، ولا علاج إلا في استبقاء الأجواء العاطفية الملتهبة تسيطر على أحاسيس الناس وتوجه مواقفهم لإبعادهم عن التفكير العقلاني بالنسبة لعودة الغائب المنتظر، ولمسألة الغيبة بشكل أساسي . ومن أمثلة ذلك ما كتبه السيد محمد باقر الصدر – رحمه الله - موجها الشيعة إلى محاولة الاتصال بالإمام الغائب ومشاهدته من خلال " الجلوة " ، ليس من خلال الاتصال البشري العادي المستحيل حدوثه، ولكن عبر التخيل الصوفي، التركيز الوجداني على الإمام الغائب والشوق إلى رؤيته والاتصال به، والتركيز على هذه الرغبة بالدعاء والتوسل، والانعتاق من أسر وتأثير الواقع المادي الحياتي البشري الذي يحيط بالفرد الشيعي في حياته الراهنة، والتحليق بخياله وأشواقه إلى العلا . فهو يقول في معرض ذلك : " لو أن أي واحد منا استطاع أن يرى النبي (ص) بأم عينه، أو رأى أمامه إمام زمانه – عجل الله تعالى فرجه – رأى قائده بإم عينه، وعاهده وجها لوجه على أن لا يعصي ، على أن لا ينحرف ، على أن لا يخون الرسالة [420] .. هل بالإمكان لهذا الإنسان . . . أن يعصي ؟ كل إنسان عندنا ، لحظة لقاء الإمام عجل الله تعالى فرجه من دون أن يلقى الإمام ، عجل الله تعالى فرجه ، [النص هكذا في الأصل] ولو مرة واحدة في حياته . . . يجب أن نعمل لكي تتكرر لحظة لقاء الجلوة، لأن بالإمكان أن نعيش هذه اللحظة دائما ؛ ليس هذا أمرا مستحيلا ، بل هو أمر ممكن، والقصة قصة إعداد وتهيئة لأن نعيش هذه اللحظة ...[421] " والذي تعنيه عبارات الصدر بـ " لقاء الجلوة " هو الوصول إلى الحالة "الإشراقية" عندما يركز الإنسان على فكرة أو شخص أو شعور أو حالة ويسعى إلى الاندماج فيها بكل وجدانه وأحاسيسه، وحركات جسده وصوته، فتساعده حالة التركيز والفعل هذه على الانسلاخ بمشاعره عن كل ما حوله، وإذ ذاك يصل إلى الحالة الإشراقية. والمتصوفة يعتبرون أنه عندما يصل الواحد منهم إلى هذه الحالة فقد وصل إلى الله وصار في حضرته. والمسرفون منهم زعموا أنهم اندمجوا في الله . وهذه الحالة معروفة عند المتصوفة في الأديان السماوية الثلاثة. والمتصوفة المسلمون مثلا يبدءون حلقة الذكر بعبارة : " لا إله إلا اللـه" ، بأصوات خفيضة، مع حركة خفيفة من الجسم ، ثم ترتفع الأصوات وتشتد الحركة، ثم تنتقل العبارة إلى : " الله الله " ويستمر تكرارها مصحوبا بالحماسة واشتداد الحركة وارتفاع الأصوات بتصاعد، ثم تحل كلمة "هو" ، ثم تصبح " هـه "وعندما يصل النشاط إلى قمته يصرخ بعضهم أو يطلق صيحات. وبطبيعة الحال يعرقون بشدة، وقد يلقي بعضهم بأنفسهم على الأرض، وعند هذا الحد تأخذ الأصوات والحركة في الميل نحو الهدوء التدريجي حتى تصل إلى درجة السكون ، ويغمر المشاركين شعور بأنهم وصلوا ، ويتخيل كل منهم ما يعبر به عن إحساسه ذاك. لقد شهدت شيئا من هذا بينما كنت

---

[419] إنظر ص 82- 84 ، تحت عنوان تكفير الإثني عشرية لغيرهم

[420] أي رسالة غير رسالة الإسلام المشتركة التي يؤمن بها السنة والشيعة سواء ؟

[421] السيد محمد باقر الصدر ، ***أهل البيت : تنوع أدوار ووحدة هدف*** ، ص 54 .

صبيا بين العاشرة والثانية عشرة من العمر في بلدتي – مسقط رأسي - يبنـا ، ولم أكن في سن تسمح لي بالمشاركة، ولم يكن والدي وأسرتي من المنغمسين في هذا النوع من الممارسات الدينية إلى هذا الحد.[422]

صنـاعـة الـعـدو :

لكي تبقى الطائفة، ويبقى المذهب ويستمر، لا بد من معركة، لأن جو المعركة المشحون بالعواطف بالنسبة للأكثرية العادية من الناس، يصرفهم عن التفكير العقلاني ، ويدفعهم بقوة هائلة مع الشعارات المجلجلة المدوية. وحتى يعيش جمهور الشيعة جو المعركة ***لا بد من وجود عـدو*** يوجه له الغضب والشتائم في المناسبات المختلفة التي يمر بها الشيعي الإمامي طوال العام، خاصة في ذكرى عاشوراء ، وذكرى اغتيال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والذكريات الأخرى المتعلقة بموت فاطمة رضي الله عنها وما نسب إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الإساءة إليها ، ***وبغدير خـم***، وأمثال هذه المناسبات، حيث يعاد تمثيل حادثة استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما، مع الأزجال والأشعار والخطب ، وما يتخللها من التنقل بين الإلقاء الحماسي المثير، ومن البكاء والنواح والتمثيل، بجانب إقدام بعضهم على ضرب صدورهم وظهورهم بأيديهم، أو بسلاسل حديدية [423]، واستعمال آلات حادة لضرب جباههم ليسيل منها الدم على ثيابهم البيضاء فيزيد اشـتعال عواطف الحزن. كل ذلك ليضخم في نفوس وأحاسيس عامة الشيعة وبسطائهم أنهم شئ آخر، وكيان آخر، يـتيـه بين الشعور بالتعالي والتسامي، والشعور بالاضطهاد، والذكريات المريرة للاضطهاد ، على أيدي الأمويين والعباسيين، وغيرهم. وحيث أن العدو الذي حارب عليا وأبناءه وأحفاده وأنصاره ، قد زال بزوال الأمويين، ثم زوال العباسيين فقد وجد منظرو الإمامية أن الطائفة والنظرية بحاجة إلى استبقاء وجود العـدو لكي تسـتمـر، حتى ولو كان وجودا افتراضيا أو تخيليا. وبالاستنتاج الخاطئ ، المسرف في الخطأ والتجني، قرروا أن ذلك الاضطهاد المـريع حدث بأيدي السـنة بشكل عام ودون تحديد، وبذلك صار كل سني يتحمل قدرا من المسئولية عنـه ، وصار السنة عدوا، بل هم العـدو ، بعد غياب العدو الأصلي. هكذا ألبس ثوب العدو إلى أهل السنة، وإلى كل سني ، هكذا استمر الحرص على إبقاء الـعدو في مواجهة الطائفـة، والطائفة في مواجهة العدو ! واستكمالا لأدوات تسخين العواطف كلما مالت إلى الهدوء والبرود فقد استخدمت وما زالت تستخدم كل مواد الدعاية السياسية القديمة، واخترعت – عبر القرون - روايات وادعاءات جديدة أشد صخبا وسخونة ، وأكبر أثرا في إثارة العواطف ، ونسبة كل جرائم الأمويين والعباسيين بحق أنصار علي، أو شيعـته، إلى أهل السنـة، الـعـدو الجديد.

---

[422] وأنا لم أقصد بهذا الشرح أن أنسبه إلى إخواننا الشيعة الإثني عشرية، بل إن كل ما قصدتـه أن أضرب مثلا عمليا، لمجرد التوضيح. والذي أرجحه أن التصوف الشيعي فيه أشكال قريبة بدرجة كبيرة من هذا الذي ذكرت .

[423] من الغريب والمثير للدهشـة أن نجد في تاريخ الطوائف المسيحية الشرقية ممارسات مماثلة في القرن الرابع الميلادي، قبل ظهور الإسلام بمـئـتي سنة ، حيث كانت جماعات من الأفراد والرهبان والمتدينين يقومون بجلد أنفسهم للتكفير عن خطاياهم. وقد وصلت هذه الظاهرة إلى أوروبا في القرن الخامس الميلادي ، كما ظهرت في القرن الثلث عشر في إيطاليا، ثم انتقلت إلى ألمانيا وهولندا، أنـظـر : ***Encyclopedia Britanica***, CD ed., 2001, art. Flagellation.

والحقيقة التي لا مراء فيها أن الأمويين والعباسيين لم ينطلقوا من رؤية ومخططات سنية ، وإنما كان منطلقهم من دوافع عائلية عشائرية لا غير. ولقد كان العباسيون والعلويون فريقا واحدا وعائلة واحدة استنادا لانتمائهم لأبيهم عبدالمطلب، والد أبي طالب والعباس، بل لقد كان العلويون الأوائل يعتبرون الأمويين أبناء عمهم ، كما قال محمد بن علي بن أبي طالب : نحن أهل بيتين من قريش نتخذ أندادا من دون الله، نحن وبني عمنا هؤلاء . . . نحن وبنو أميــة ؛ وذلك لالتقاء العشيرتين في جدهم المشترك، عبد مناف بن قصي؛ كذلك فقد روي أن عبدالملك بن مروان، الخليفة الأموي، خاطب علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قائلا له : " يابن عمـي" [424]. وقد تعاون بنو أبي طالب وبنو العباس للقضاء على دولة بني أمية، ورفعوا لتعاونهم العشائري عنوانا رمزيا يجذب من يراد ضمهم واستخدامهم ، فزعموا أن الحركة هدفها "الرضا من آل محمد [425] "، ثم أكل أحد الشريكين الشريك الآخر- والضحية هو ابن العم العلوي - وسلط عليه نار الاضطهاد.

هكذا صارت نســبة الاضطهاد الذي عاناه الشـيعة إلى السنة المكون الرئيسي في مادة "صـناعة العدو" ؛ وهي نسبة غير صحيحة وظالمة، وأبعد ما يمكن أن تكون عن الحقيقة . وإلا فما فما معنى استمرار توجيه المسبات والإهانات إلى أبي بكر وعمر بعد ألف وأربعمئة سنة من وفاتهما ، وعلى الرغم من براءتهما من كل تلك التهم المزورة ، ومن وجود الأمثلة التي اقتبسناها من مدح أمير المؤمنين علي لهما، وعدم ذكره لأي من التهم المفتراة التي وجهت وما زالت توجه لهما ؟

المتطرفون والمعتدلون :

ومن المشكلات التي يصطدم بها الباحث عن الحقيقة خلال غابة التصريحات والادعاءات والنصوص في عصرنا الحديث نسبة المواقف والكتابات المتطرفة – قديما وحديثا – إلى جهات هامشية، والزعم بأنها لا تمثل الشيعة بل تمثل عناصر مذمومة توصف بالغلو والتطرف، وأن أقوالها وأفعالها مدانة من قبل الكيان الشيعي وقادته. إنني أتمنى – ويتمنى غيري من المخلصين من الجانبين – لو أن الأمر كان كذلك. بيد أن الواقع الذي نلمسه لمس اليد، ونقرؤه برؤية واضحة هو أن المواقف المسرفة في عصبيتها ومقولاتها العدوانية المحرضة تأتي من أعلا قمم القيادات والرموز الفكرية في مصاف إخواننا الشيعة الإمامية : من الكليني، وابن بابويه القمي، والعكبري محمد بن محمد بن النعمان، والطوسي، وفي القرن العشرين من أشخاص في وزن السيد محمد باقر الصدر ، رحمه الله وغفر له.

ولو كان صحيحا أن المواقف العدوانية المتشنجة صدرت وتصدر عن شخصيات هامشية من الغلاة إذن لهان الخطب، ولما استحق أن يعطى أية أهمــية . وكمثل على ذلك نذكر ما صرح به الأستاذ راشد الغنوشي عن الرد الذي تلقاه من بعض رموز القيادات الشيعية الإيرانية المشاركة في مؤتمرات التقريب: قال السيد الغنوشي : "... الجدير بالملاحظة أن مسؤولين إيرانيين سألناهم خلال بعض المؤتمرات عما يتهمـون به من استهداف المجتمعات السنية بالاختراق عن طريق نشر التشيع ، قد نفوا صدور ذلك عن الجمهورية [الإسلامية الإيرانية] ، فهي أعقل من أن تستبدل ولاء الشعوب الإسلامية بولاء مجموعات صغيرة معزولة ، ناســبين تلك الأعمال إلى جهات ومؤسسات ومرجعيات شيعية

---

424 محمد بن سعد ، ***الطبقات الكبرى*** ، مجلد 5 ، ص 94 ، حيث يجتمع الفرعان العلوي والأموي في جدهم المشترك عبدمناف، والد هاشم (جد العلويين) ووالد عبدشمس (جد الأمويين)، وانظر ص 213 من نفس المصدر، حيث ما نسب إلى عبدالملك بن مروان.

425 وهذا مصطلح غامض لم يحدد مدلوله ، وقد أدخله الشيعة في صيغة "الصلاة على النبي" : ***صلى الله عليه وآله وسلم*** . ولكثرة تكرار هذه الصيغة في الإذاعات المرئية والمسموعة صار بعض محدودي الثقافة من علماء السنة يرددونها دون حرص على فهم مدلولها ، وللجهل أحكامه وضريبته .

عربية، ذكروا منها الشيرازيين الباثين لعدد من القنوات التلفازية المغرقة في الطائفية والأغنوص والخرافة ، وهو أمر مسئ لعموم الشيعة حتى وإن أتاه القليل منهم ، مسئ مثلا لصورة الإسلام ولتاريخه وحضارته؛ فهؤلاء واضح أنهم مصرون على وضع أنفسهم خارج وحدة الأمة الإسلامية والحضارة الإسلامية التي لا يمكن أن تتأسس بعيدا عن محمد رسول الله والذين معه ... بعيدا عن الفتوحات الإسلامية وملاحم الأمة في التصدي لحروب الفرنجة بزعامة البطل صلاح الدين ... [426]"

وهنا نتوقع من أي قارئ ، أو سامع لهذه الإجابة ، أن يسأل : ومن هم العرب الشيرازيون ؟

أين يقيمون وينشطون بدعاياتهم المسيئة، ويشغلون قنواتهم التلفازية .. في شيراز – المدينة الإيرانية المعروفة - أم في موضع آخر من الأراضي الإيرانية ؟ أم في أراض عربية ؟ وهل اقتنع السيد الغنوشي بهذه الإجابة التي صدرت عن مسئولين إيرانيين ؟ وهل تسمح السلطات الرسمية في إيران ، حتى للمعارضة الإسلامية الشيعية التي شاركت في الثورة وساهمت في بناء الجمهورية ، هل تسمح لها بالتعبير عن رأيها بحرية، وإنشاء واستخدام قنوات تلفازية خاصة مخالفة لسياسات الجمهورية ؟ هل تسمح للرئيس السابق محمد خاتمي وأنصاره، الذي كان رئيسا للجمهورية مرتين، قبل خمس سنوات فقط ، هل تسمح بذلك للسيد حسين موسوي – رئيس الوزراء السابق - الذي فقد السباق لمنصب رئاسة الجمهورية لصالح الرئيس الحالي السيد محمود أحمدي نجاد في أجواء احتجاجات واتهامات بالتزوير والاعتقالات وغير ذلك مما لا نحب أن نخوض فيه، إذ ليست لدينا المعلومات الكافية عن الصراع بين القوى السياسية الإيرانية ضمن حدود الثورة ومكوناتها ؟

يبدو لي : أن هذه الإجابة وأمثالها تمثل أسلوب الجدل والمناظرة والمغالطة الذي تميز به إخواننا الشيعة الإثنا عشرية في إطار ممارسة التقية مع العدو .

خطر الكيانية المتعددة المشبعة بالاستعلاء والأحقاد :

عندما تنقسم الأمة ، أو الشعب ، في قطر ما ، في كيانات منفصلة بمشاعرها وطموحاتها بعضها عن بعض، ويقف كل منها مشبعا بروح الاستعلاء من ناحية، ومشاعر متوقدة من الأحقاد والرغبة في الانتقام لمظالم قديمة تصبح الأمة ، أو الشعب المعني في خطر شديد، وتصبح أيسر الحلول – إن توفرت الظروف المناسبة – الانفصال الكلي الشامل، لتصبح الدولة الواحدة دولا، والشعب الواحد شعوبا متعادية متصارعة. غير أن هذا الحل الأيسر ظاهريا لا يكون متاحا في كل الحالات؛ فقد تسعى كتلة معينة إلى فرض سيطرتها القهرية على الآخرين وإخضاعهم وإذلالهم وجعلهم يدفعون أثمان مظالم قديمة، حقيقية أو موهومة . وقد يكون الاختلاط وتشابك الواقع الحياتي والاقتصادي والمصلحي بين الكيانات المتعددة ضمن الوطن الواحد غير قابل للإنفصال، عند ذلك تحدث الحروب الأهلية المدمرة التي تقضي على الأخضر واليابس. وقد ظهرت آثار من ذلك في لبنان في ظل نظام سياسي مبني على الطائفية الدينية والمحاصصة السياسية، والاستقواء بقوى معادية للأمة من الخارج – هو عمل مارسته وتمارسه كثير من الطوائف ، ليست طائفة واحدة – في حالات انسداد طرق التواصل بين الجماعات والطوائف المكونة للشعب الواحد ، والتي تعيش بأجسادها وواقعها المادي في وطن واحد . وقد استمرت بعض المشاكل طويلا مستعصية على كل الحلول المطروحة، حتى يومنا هذا؛

---

[426] راشد الغنوشي ، ***العلاقة بين الشيعة العرب وإيران*** ، شبكة الجزيرة ، المعرفة ، الأربعاء 1430/7/2هـ/ 2009/9/24م، آخر تحديث الساعة 8:02 بتوقيت غرينتش .

بينما ظهرت أيضا في العراق حالات من هذا القبيل، قبل وبعد وقوعه تحت الاحتلال سنة 2003م من خلال الصراع بين الطوائف العراقية، ومن خلال الدور الإيراني ، حيث سعت بعض القوى – أفرادا وجماعات – للاستقواء بالخارج الذي يتوق إلى فرصة للتدخل والخوض في المياه العكرة. وكان من أمثلة هذه الصراعات ما ظهر في بداية عهد الدولة الصفوية في إيران أوائل القرن السادس عشر الميلادي عندما غزا الشاه إسماعيل الصفوي العراق واحتله سنة 1508م، وأطلق العنان للمذابح ضد السنة، ودمر عن قصد وتصميم كل الرموز السنية من الأضرحة والأبنية، بما فيها ضريح الإمام أبي حنيفة. وقد ظل العراق تحت الاحتلال الصفوي حتى سنة 1534م عندما قاد السلطان العثماني – سليمان القانوني - جيشه فأزال ذلك الاحتلال، وأوقف عملية دمج العراق قسريا في جسم الدولة الصفوية الإيرانية. وكان مما مهد لتلك الخطوة نجاح السلطان سليم الأول في الزحف على تبريز – عاصمة الدولة الصفوية – والاستيلاء عليها بانتصاره في معركة جالديران سنة 1514 ، بعد سحق قوات إسماعيل الصفوي الذي نجا من الموت بفراره من أرض المعركة جريحا. وقد انسحب سليم بعد ذلك مخليا تبريز فعاد الشاه إسماعيل إليها. وبعد ذلك نجح الشاه في فرض المذهب الشيعي على الأغلبية السنية في إيران، بالحديد والنار، كما ذكرنا من قبل. ولم تقتصر طموحات الشاه إسماعيل على العراق والأناضول، بل إنه حاول التوسع في الشرق فاصطدم بمقاومة الأوزبك المسلمين السنة، واستعان بالبرتغاليين للحصول على أسلحة حديثة (بمقاييس ذلك العصر) فتمكن من هزيمة أوزبك خان الذي سقط في المعركة، وأمر بقطع رأسه، وأرسلها إلى السلطان المملوكي في القاهرة، على سبيل التهديد بأن مصيره سيكون مصير أوزبك خان. ويبدو أن ذلك التواصل مع البرتغاليين شجع طموحات القائد البرتغالي الشهير أفونسو دالبوكيرك Afonso dalboquerque فكتب رسالة إلى الشاه حملها إليه مبعوث خاص، قال فيها البوكيرك إن لديه أوامر من سيده ملك البرتغال بتدمير أية سفينة من سفن السلطان [السلطان المملوكي في القاهرة] تدخل مياه المحيط الهندي. وقد تحدث البوكيرك في رسالته متفاخرا بالنصر الذي حققته قواته في معركة ديو البحرية ضد الأسطول المملوكي سنة 1509م. ثم دعا الشاه إسماعيل إلى التحالف مع ملك البرتغال، وحرضه على الزحف للإستيلاء على القاهرة والاستيلاء على أراضي السلطان الأعظم، أي سلطان المماليك، مؤكدا بأن ملك البرتغال سوف يزحف عندئذ على القدس ويستولي عليها وعلى كل الأراضي الواقعة في تلك الجهات . وقد أوصى البوكيرك مبعوثه بأن يؤكد للشاه إسماعيل وعدا بأنه عندما ينهض ويهاجم مكة ليستولي عليها " فإنني [البوكيرك] سوف أدخل البحر الأحمر، وأشق طريقي إلى ميناء جدة ومعي الأسطول، وسأفعل الشئ نفسه عندما تكون لديه الرغبة في مهاجمة أرض الجزيرة العربية وميناء عدن [427].

ما الذي نـريد ؟

[427] Afonso Dalboquerque, ***The Commentaries of the Great Affonso Dalboquerque***, translated from the Porugues edition of 1774, vol. II, pp. 111- 114.

غـني عن التنويه أن كلا من السنة والشيعة يتمنون ، ويتطلـعـون إلى وحدة المسلمين عقيدة وموقفا. ومن الواضح أن كثيرين من الفريقين يعنون بالوحدة المنشودة أن تكون في إطار مذهبهم . وقد فشلت محاولات التقريب لأنها استندت إلى العواطف، ولم تبن على أسس صحيحة. إننا بحاجة إلى تحديد أهداف مرنة ومتدرجـة، ذات سقف أعلى وحد أدنى، ونسعي لتحقيق الممكن، حتى ولو كان الحد الأدنى، إن لم يتيسر لنا الحد الأعلى، المثالي، الذي يبدو بعيدا ومتعذرا جدا. وحسن السياسة "فن الممكن" ، كما تقول الحكمة الشائعة. ومما يساعد على ذلك إيقاف الهجمة الإيرانية ذات الأهداف السرابية ، التي تسعى للسيطرة الشاملة، بشكل صريح مكشوف أو بشكل مموه ممزوج بالدعاية السياسية الخداعـة. نحن المسلمين، سنة وشيعة، بحاجة إلى الحوار الصريح، طويل النفس. والحوار له شروطه وضوابطه كما بينا في الفصل التمهيدي. وهو قد يصل بالمتحاورين إلى إلى اتفاق كلي ، أو جزئي ، والجزئي قد يكون كبيرا يغطي أهم موضوعات الخلاف، وقد يكون أقل من ذلك ، وقد يكون مجرد اتفاق على التعامل مع موضوعات الاختلاف بطريقة مرنة ، تلتزم باحترام كل طرف لإخوانه في حرية الاعتقاد والممارسة ، وتعمل على تخفيف عوامل الاحتكاك والتوتر تدريجيا . أما عند إخواننا الشيعة فإن بعض المشتغلين بالدعاية منهم يعتبرون الحوار والجدال والمناظرة شيئا واحدا .

هذا هو مفهومنا للطريقة الفضلى في التعامل مع حالة الاختلاف والفرقة، وهو مفهوم كثيرين من الإصلاحيين الإسلاميين، من السنة والشيعة .

ليس شرطا، ولا ضروريا أن يعلن الشيعة انضمامهم إلى السـنـة، أو أن يسقطوا اسم الشيعة. سيظلون شيعة علي وأنصاره، ونحن أيضا شيعة علي وأنصاره بالمعنى اللغوي للكلمة ، وبمعنى "التشيع السياسي" ، وهذا شعور أكثر أهل السنة قديما وحديثا ، والشخصيات الشيعية العاقلة القوية النشطة يمكن أن تجد نفسها تقود المسلمين كلهم ، ليس عن طريق القهر، ولكن عن طريق امتلاك الصفات والمؤهلات، وبذل الجهد والنشاط الصادق المخلص لمصلحة الأمة، في إطار العقيدة المشتركة بكل مكوناتها ، ولا يأتي ذلك إلا بعد التخلص من كل المقولات الخيالية ، وإسقاط المقولات الملوثة بالحقد وروح الانتقام لمظالم قديمة، صحيحة أو موهومة ، بعد أن مضت على اختفاء مرتكبي تلك المظالم ومسببيها قرون طويلة .

ما الذي تريدونه منا يا أخواننا الشيعة :

ما الذي تريدون أن تحققوه ، وما الذي تدعوننا إليه ؟

من ناحيتنا، نحن نؤمن بالله ، وبوحدانيته، وبالقرآن وما فيه من تعريف بالله، وما أرساه من مبادئ وفضائل، كما نؤمن بكل رسل الله وأنبيائه، ونؤمن بالعدل ، ونرفض الظلم ونسعى لإزالته، ونؤمن باليوم الآخر وما فيه من حساب وثواب وعقاب، ونؤمن بالتعاون المخلص لتحقيق الخير للمسلمين جميعا، وللبشرية كلها .

فما الذي تريدونه منا غير ذلك ؟

الجواب الذي تحدده المصادر الإمامية الأعلي منزلة، المتمثلة في الكتب الأربعة ، كما تمثله الكتابات والشعارات الإمامية الحديثة ينحصر فيما يلي :

(1) إنهم يريدون أن نشاركهم الاعتقاد بأن عليا كان أحق بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان، رضي الله عنهم أجمعين، وأنهم اغتصبوا حقه . ما النتيجة المتوقعة بعد الاستجابة لمثل هذا الطلب، وما الذي يعنيه ذلك عمليا في عصرنا ؟

(2) يريدون منا أن نعلن الإيمان بالأئمة من نسل علي، وبكل الخوارق التي نسبت إليهم،

(3) كما يريدون منا أن نعلن أيماننا "بالإمام الغائب" ، المهدي المنتظر، عجل الله فرجه، ونشاركهم حالة الانتظار، ونكرر معهم الدعاء. وقد كررت الدعاء معهم مرات كثيرة في فصول هذا الكتاب ، ليس عن إيمان بقصة الغائب ، بل لمجرد إظهار المشاركة. ولو ثبت وجود الغائب فإننا لن نكون أقل سعادة بعودته من إخواننا الشيعة، ونسابقهم في السعي للسير تحت لوائه . أما الآن فإنني لا أومن بوجوده ولا أتوقع عودته .

(4) كما يريدون أن ينتقموا من "أهل السنة والجماعة" للمظالم التي أنزلها الأمويون والعباسيون بـ "أهل البيت" وبالشيعة عامة.

إذا لم تكن هذه هي المطالب التي يريد أخواننا الشيعة منا أن ننصاع لها قولا وعملا ، فما هي مطالبهم، وما هي شروطهم لإحلال روح الأخوة محل الخصام، قولا وعملا ؟

شعاع من أمل :

على الرغم من جو الكآبة والشحناء الذي أشاعه التوجه الهجومي لإيران الثورة بهدف نشر التشيع في البلاد السنية، وما استخدم فيه من أساليب ، مما ذكرنا ولم نذكر، فإن كل ذلك لا ينبغي أن يحمل الإصلاحيين السنة والشيعة على اليأس. هناك ذبالة آمل – وإن كان شعاعها ما زال ضئيلا ومغمورا بجلجلة الدعاية. فعندما أطلق الإمام الخميني – رحمه الله – نظرية ولاية الفقيه، وجعلها القاعدة الرئيسية في دستور الثورة الإسلامية ، ظهرت أصوات قوية تعترض على هذه النظرية وتقدم البديل. لقد ثار جدل كبير بين مجتهدي الشيعة منهم المؤيد ومنهم المعارض؛ ومن خلال هذا الجدل ظهرت نظرية مغايرة.

آية الله شريعتمداري – رحمه الله – دعى إلى " أن للشعب أن يحكم نفسه بنفسه، وينتخب ممثليه للبرلمان، بالاقتراح الحر. وعندما يراعي البرلمان القوانين لا بد أن يراعي رأي الأكثرية ، وعدم جواز مخالفة هذه القوانين للإسلام ، لأن الأكثرية من أهل البلاد هم من المسلمين. ورأى شريعتمداري أنه لا يجوز أن يحكم فرد واحد أو طبقة واحدة ، أي أنه وقف معارضا معارضة صريحة نظرية ولاية الفقيه التي قال بها الخميني ، ووضع على أساسها دستور الجمهورية .

أما آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين – رحمه الله - فقد " توصل إلى نظرية ***ولاية الأمة*** ؛ وخلاصتها : أنه ما دام السنة يقرون بمبدأ حق الأمة في الاختيار الذي تتم على أساسه بيعة

الخليفة ، وأن الشيعة يعتقدون بغيبة الإمام الثاني عشر غيبة لا يعرف أمدها أو موعد نهايتها فإن للأمة أن تسترد – في زمن الغيبة – ولايتها بتوظيف طريقة الانتخاب والاختيار ، وتمنح المنتخبين - بإرادتها - ولاية محددة زمنا وموضوعا. وهذا الحق يتفق عليه أهل السنة ، عملا بمبدأ حق الأمة في الاختيار ... وبذلك تجتمع كلمة الفرقتين ... على وفق نظام إسلامي يحقق للأمة استقلالها ... ووحدتها الضائعة ..."[428]

وأخيرا ظهرت نظرية آية الله حسين منتظري سنة 2006م ، حيث أفتى بأن " سبب استقرار الحكم هو رضا الأمة ، وأصل ضرورة الحكم لا ريب فيه . والولاية المطلقة للفرد غير المعصوم ربما توجب استبداده [أي ينتج عنها الاستبداد] في أعماله وأحكامه، وأن يتدخل فيما ليس متخصصا فيه ، وغير مؤهل لتحمل مسئوليته ..."[429]

ماذا يعني هذا الطرح الثلاثي المتقارب الذي يؤدي إلى تأكيد وإعلاء مبدأ ولاية الأمة بمجموعها، على أن تمارس هذه الولاية الذاتية من خلال أشخاص تختارهم لينوبوا عنها في المهام التنفيذية ضمن نظام "دستوري" تحدده الأمة كذلك. إنه يعني خروجا عن متطلب الإنتظار حتى عودة "الإمام الغائب"، كما كان إعلانه رفضا لفكرة "ولاية الفقيه" أو "نائب الإمام". ومن ناحية أخرى فإنه يعني وقوف أصحاب هذا الاتجاه من إخواننا الشيعة الإثني عشرية في دائرة واحدة ، تضمهم مع إخوانهم من أهل السنة ، بالنسبة لهذه النقطة بالذات . ولست ممن يتحمسون لوصف هذه الخطوة بأنها تنازل، فالذي يختار الحق والمنطق لا يتنازل لأحد غير الله سبحانه وتعالى ، سيما عندما يكون اختياره حرا وذاتيا ، دون الخضوع لسلطة فوقية ظاهرة ، بل إنه في واقع الأمر خروج شجاع عن السلطة الفوقية – السياسية والمعنوية – التي تقبض على أزمة السلطة بقوة وإصرار. ومما يعطي هذا التطور زخما وأهمية أكبر أنه صدر عن ثلاث شخصيات في قمة كبار الفقهاء المعاصرين المشهورين بين الطائفة الإثني عشرية ، بجانب كونه الطريق العملي الوحيد المرشح لقبول عام ، وإن احتاج الأمر إلى التدرج. لقد تجاهلت قيادة الثورة التي تبنت "ولاية الفقيه" ، "نائب الإمام"، اعتراضات آية الله شريعتمداري رحمه الله ، ولم يزعجها كثيرا طرح الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، اللبناني ، لأنه بعيد عن إيران ، حيث تكتل أكبر تجمع شيعي اثني عشري ممثلا في مواطني الجمهورية الإسلامية الإيرانية . وعلى الرغم من أن آية الله منتظري كان أستاذ الخميني، ومن أقرب العلماء إليه، وظل فترة طويلة المرشح الأول لخلافته ، فإن خلافه مع الخميني في سنواته الأخيرة دفع به إلى هامش أو خلفية المسرح السياسي ؛ وبالرغم من ذلك فقد واصل إصدار الفتاوى منتقدا أخطاء النظام[430].

وقد كان من أهم إفرازات الخلافات التي شهدتها الحملة الإنتخابية الأخيرة ، وما جرى خلال عملية الانتخاب وفرز الأصوات هذا العام في إيران ظهور تيار قوي من الإصلاحيين البارزين، من بينهم الرئيس السابق محمد خاتمي، الذي تولى الرئاسة فترتين ، ورئيس الوزراء السابق ___ الموسوي، أن هذه الشخصيات المعارضة للطريقة التي حصل بها الرئيس الحالي – السيد محمود أحمدي نجاد -

---

[428] الدكتور محمد سليم العوا ، ***الفقه الإسلامي في طريق التجديد*** ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : سفير الدولية للنشر ، ص 132- 135.

[429] ***المصدر نفسه*** ، ص 135 – 136 .

[430] نشرت كبرى الصحف الأسترالية ***Sydney Morning Herald*** مقالا عن آية اللـه منتظري وموقفه المقارض وانتقاداته ، وذلك يوم 28 تشرين الثاني (نوفمبر) 2009 وقالت فيه إن فتاواه – وهو في منتصف الثمانينات من عمره – صارت زادا حيويا للمعارضة. أنظر موق الجريدة على الإنترنت SMH, AU ، عدد 2009/11/28 .

على الأغلبية وعلى المنصب، تبدو أقرب إلى من يرفضون فكرة ولاية الفقيه ويؤيدون مبدأ ولاية الأمة ممثلة فيمن تنتخبهم وتوظفهم.

ومهما يكن من أمر فإننا لا نسمح لأنفسنا بتعميم نتائج هذا التطور الذي أبرز التوجه نحو تبني مبدأ "*ولاية الأمة على نفسها*" ، ولا نستطيع القول بأنه ينسحب على القضايا الخلافية الأساسية الأخرى . كل ما نستطيع قوله في هذا المقام أننا ندعو لإخواننا الشيعة بأن لا ينزلقوا إلى الصراع البيني المدمر، كما نتمنى أن تستمر مسيرة الابتعاد عن خيار "التشيع العقيدي" وما يعنيه من التمسك بالعقائد المضافة باعتبارها السمة المميزة للطائفة ونأمل أن يتوقف المتطرفون عن تأجيج نار الأحقاد وتغذية صناعة العدو ، وأن يتحمل العقلاء منهم مسئولياتهم في التوجيه الرشيد وتصحيح المسار.

مصادر ومراجع مخـتارة

أولا : المصادر الأصلية:

1- ***القرآن الكريم***

2- ***مختصر تفسير الطبري***، مصحف الشروق المفســر، القاهرة : دار الشــروق

المصادر الشيعية الإمامية :

3- ابن بابـوية ، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفـى 381هـ. ***من لا يحضره الفقيه*** ، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1426هـ/2005م. والكتاب عبارة عن أربعة أجزاء في مجلد واحد، وبترقيم واحد متصل، ويقع النص في 808 صفحات من القطع الكبير، وموضوعه فقه العبادات والمعاملات. وهو أحد "الكتب الأربعة" الأهم حسب ما تعارف عليه الشيعة الإمامية الإثنا عشرية.

4- الثقفي ، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (توفي سنة 283هـ)، ***الـغـارات*** ، بتحقيق السيد جلال الدين المحدث، طهران، 1395هـ . وإبراهيم الثقفي مؤلف إمامـي مشهور، وثقـه مشاهير محدثي وفقهاء الشيعة الإثني عشرية، وقد شغلت أسماء من وثقوه منهم وأقوالهم فيه، تسع صفحات من مقدمة محقق الكتاب .

5- الشـــرواني ، المولى حيدر علي بن محمد (من أعلام القرن الثاني عشر الهجري)، ***ما روته العامة من مناقب أهل البيت عليهم السلام*** ، تحقيق الشيخ محمد الحسون ، إيران :

مطبعة المنشورات الإسلامية ، الطبعة الثانية، 1417هـ ،(لم يذكر مكان الطبع، لكن ثمن النسخة محدد بالتومان، العملة الرسمية الأيرانية .

6- الشـريف الرضـي ، *نـهـج البـلاغـــة* ، تحقيق الإمام محمد عبده، أربعة أجزاء في مجلد واحد وترقيم واحد متصل. بيروت : دار المعرفة ، 1426هـ/2005 . ومادة الكتاب تمثل مختارات الشريف الرضي من خطب ورسائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنـه .

7- الصادق ، الإمام جعفر بن محمد عليه السلام ، *التـفـســير الصوفي العرفاني للقرآن [الكريم]* ، تحقيق الدكتور علي زيـعـور. بيروت : دار البراق ، 2002م.

8- إبن طاووس، أبو القاسم علي بن موسى، الحسني الحسيني (توفي 664هـ)،

كشـف المحـجـة لثـمـرة المـهـجـة ، بيروت : دار المرتضى – مؤسسة الصراط المستقيم ، 1412هـ/1991م. وموضوع الكتاب وصايا المؤلف لأكبر أبنائه ، وفيه تحريض مسرف ضد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وضد السنة عامة.

9- الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن ، من أعلام القرن السادس الهجري. ***تفسير جـوامع الجامع*** ، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـقم المشرفة، 1421 - 1423هـ . ويقع الكتاب في ثلاثة مجلدات كبار مجموع صفحاتها 2399 صفحة ، وموضوعه تفسير القرآن الكريم ، وهو أكثر تفاسير القرآن الشيعية اعتدالا.

10- الطبرسي، علي بن الحسين (من أعلام القرن السابع – وهو حفيد سابقه أبو علي الفضل...)،

مشكاة الأنوار في غرر الأخـبـار ، تح. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم – إيران : مؤسسة آل البيت

لإحياء التراث ، مجلدان، 1423 هـ . وموضوعه أحاديث الشيعة.

11- الـطـوســي ، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (توفي سنة 460هـ)، ***تـهـذيـب الأحكام في شرح المقـنـعـة*** ، تحقيق : الحجة السيد حسن الموسوي الخرسـان ، طهران : دار الكتب الإسـلامية. ويقع الكتاب في عشر مجلدات كبار صدرات طبعاتها بين سنتي 1365 - 1390هـ ، وموضوعـه في فقه العبادات والمعاملات، شرحا لكتاب ***المـقـنـعـــة*** ، من تأليف أستاذه الشيخ العكبري الملقب بالشيخ المفيد . وكتاب التهذيب هو أحد الكتب الأربــعــة المشهورة عند الشيعة الإثني عشرية، والتي تعتبر خلاصة وقمة المؤلفات عندهم،

12- --------------- ، ***كتاب الأمـالـي*** ، تحقيق وتصحيح بهراد الجعفري، والأستاذ علي أكبر الـغفاري، طهران: دار الكتب الإسلامية ، 1381. ولقد اضيف اسم الشيخ الحسن بن محمد الطوسي، وهو أبن شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، باعتباره مشاركا في التاليف، لكني لاحظت أن دور الإبن كان محدودا، ويكاد يكون محصورا في نقل بعض الروايات عن أبيه، خاصة مجالس الإملاء أيام الجمعة لسنة 457هـ . ويضم الكتاب ثمانية عشر جزءا (ص 1 إلى ص 772، تليها أمالي شيخ الطائفة في مجالس يوم الجمعة (ص 773 – 1010) وينتهي بأمالي مجلس يوم التروية، ص 1011 إلى 1015 ، وذلك نهاية النص، والكتاب كله مجلد واحد في الصفحات المذكورة، ثم تتلوه الفهارس ، وطريقته عرض "الأحاديث" والروايات التي نقلها عن شخص واحد متتابعة ومتصلة إلى نهايتها، ثم ينتقل إلى "محدث" آخر. وقد بدأ الجزء الأول بأحاديث محمد بن محمد بن النعمان العكبري، وهو أستاذه ، وقد شغلت الأحاديث المنقولة عنه الجزئين الأول والثاني وشطرا من الجزء الثالث.

13- ------------------ ***كتاب الغيبة*** ، تحقيق الشيخ عباد الطهراني، والشيخ علي أحمد ناصح. قم : مؤسسة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثالثة ، 1425 هـ . ويقع نص الكتاب في 479 صفحة ، تتلوه صفحات الفهارس حتى ص 570. وموضوع الكتاب غيبة الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإثني عشرية، وما تعلق بالغيبة.

14- العكبري ، محمد بن محمد بن النعمان ، الملقب بالشيخ المفيد (توفي سنة 413هـ)، ***مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة*** ، تحقيق مهدي نجف. بيروت : دار المفيد ، 1414هـ/1993م، طبع بموافقة اللجنة الخاصة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد . ويضم الكتاب عدة رسائل مستقلة بعضها عن بعض مطبوعة ضمن مجلد واحد، ولكل منها ترقيم خاص مستقل، وهي: - ***رسالة تفضيل أمير المؤمنين*** (48 صفحة) ، - ***رسالة المسائل السروية*** (113 صفحة)، - ***رسالة المسائل الجارودية*** (48 صفحة)، - ***رسالة مسألة النص على علي بن أبي طالب*** (16 صفحة) ، - ***مسألة أخرى في النص على علي بن أبي طالب*** (32 صفحة)، - ***الرسالة الأولى في الغيبة*** (16 صفحة)، - ***الرسالة الثانية في الغيبة*** ، - ***الرسالة الثالثة في الغيبة*** ، ***الرسالة الرابعة في الغيبة*** ، وكل منها تقع في 16 صفحة.

15- ------------------ ***الإفصاح في الإمامة*** (وملحق به في نفس المجلد رسالة شرح المنام)، بيروت : دار المفيد ، 1414هـ/1993م. وقد طبع بموافقة اللجنة الخاصة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد. ***الإفصاح ...*** استغرق نصه 243 صفحة، ثم شغلت الفهارس الصفحات 244-288، وتبع ذلك ***رسالة أقسام المولى*** في اللسان (48 صفحة)، ***ورسالة شرح المنام*** (30 صفحة)، ولكل من الرسالتين ترقيم منفصل.

16- ------------------ ***الإختصاص*** ، تحقيق علي أكبر الغفاري ، والسيد مهدي الزرندي . بيروت : دار المفيد ، 1414هـ/1993م. ويقع الكتاب في 453 صفحة، بما فيها الفهارس، وموضوعه : أحاديث وروايات الغرض منها تأييد مقولات الإمامية وإعلاء شأن أئمتهم وأنصارهم، وذكر معجزاتهم.

17- العلوي ، السيد الشريف محمد بن الحسين (القرن الخامس الهجري)، ***المناقب*** ، تحقيق السيد حسين الموسوي البروجردي ، موضوعه (فضائل آل البيت). قم – إيران : إشراف مكتبة العلامة المجلسي، 1328هـ . ق.

18- الفيض الكاشاني ، المولى محمد محسن ، (توفي 1091هـ)، ***تفسير الصافي*** ، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي. طهران : مكتبة الصدر ، الطبعة الثالثة ، 1415 هـ . ق. ، وهو تفسير شيعي إثني عشري للقرآن الكريم يقع في خمسة مجلدات كبار، تضم 2288 صفحة.

19- -------------- ، ***خلاصة الأذكار ، أو اطمئنان القلوب***. بيروت : دار المرتضى، 1422هـ/2001-2002م.

20- --------------، ***منهاج النجاة في بيان العلم الواجب على كل مسلم ومسلمة***، تحقيق : غالب حسن، بيروت : الدار الإسلامية ، 1407هـ/1987م.

21- الكوفي ، فرات بن إبراهيم، (من معاصري الكليني) ، ***تفسير فرات الكوفي***. بيروت : دار الكتاب الإسلامي ، 1412هـ/1992م. والكتاب لا يفسر جميع السور، ولا جميع آيات السورة الواحدة، بل يختار منها ما له علاقة بتأكيد المقولات الإمامية ، أو ما يدعى أن له بها علاقة من قريب أو بعيد. والكتاب كله ضمن مجلد واحد.

22- المغربي ، أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي (القرن الرابع الهجري) ، ***إفتتاح الدعوة*** ، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، 1426هـ/2005م. والكتاب يتناول تاريخ حركة الشيعة الإسماعيلية التي أقامت الدولة الفاطمية ، ومن ذالك أخبار المهدي الفاطمي وهجرته إلى المغرب.

23- -------------------- ***دعائم الإسلام*** ، وهو في مجلدين . بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، 1426هـ/2005م. وموضوعه كما سجل تحت العنوان : ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام.

24- النعماني ، محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب المعروف بـ ابن أبي زينب النعماني (توفي 360هـ)، ***الغيبة*** ، تحقيق فارس حسون كريم ، قم – إيران : منشورات أنوار الهدى ، 1422هـ.

25- السجستاني ، إسحق (داعية إسماعيلي) ، ***كتاب إثبات النبوات*** ، تحقيق عارف تامر ، بيروت : دار المشرق ، 1982م.

مؤلفات شيعية حديثة :

26- البهادلي ، أحمد، ***محاضرات في العقيدة الإسلامية*** ، بيروت : دار التعارف للمطبوعات، 1413هـ/1992م

27- الحسني ، هاشم معروف ، تاريخ الفقه الجعفري ، عرض ودراسة . بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، 1407هـ/1987.

28- -----------------، ***الموضوعات في الآثار والأخبار ، عرض ودراسة***. بيروت : دار التعارف للمطبوعات، 1407هـ/1987م.

29- السبحاني ، العلامة المحقق الشيخ جعفر ، ***عقيدة الإمامية في عدالة الصحابة والتقية*** ، بيروت: دار الأضواء ، 1425هـ/2004م.

30- الصدر ، محمد باقر ، ***أهل البيت : تنوع أدوار ووحدة هدف***. بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، 1426هـ/2005م.

31- ------------------ ، ***فدك في التاريخ*** . بيروت : دار التعارف للمطبوعات، 1400هـ/1980م.

32- ------------------ ، موجز في أصول الدين . بيروت: دار التعارف للمطبوعات، 1407هـ/1987م ،

33- الصفار ، حسن موسى, ***الإمام المهدي أمل الشعوب*** ، بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1399هـ/1979م . وقد وصلني هذا الكتاب بتاريخ 1979/8/1م، في طرد مرسل من طهران، وعلى الطرد ختم حسن سعيد تهراني ، وهو شخص لم أتشرف بمعرفته لا من قبل ولا من بعد.

34- الطـهـراني ، آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني ، ***رســالـة لـب اللـباب في سيرة وسلوك أولـي الألـبـاب.*** تـعـريب عباس نور الدين . بيروت : دار المحجـة البـيضاء 1417هـ.

35- الـعدل ، الشيخ حسن (داعية إسماعيلي)، مبتدأ العوالم ومبدأ دور الستر، رسالة منشورة ضمن مجموعة من أربع رسائل بعنوان ***أربع [كذا] كتب حقانية*** ، بعناية الداعية الإسماعيلي الحديث الدكتور مصطفى غالب ، بيروت ك 1983م.

36- الـعلـوي ، حســــن، ***عـمـر والـتـشـيـع ، ثـنـائـيـة الـقطيعـة والمشــاركـة.*** لندن : دار الزوراء، 2007 .

37- الـفيروزآبادي ، العلامة السيد مرتضى الحسينـي، ***فـضائل الخمسـة من الصحاح الســتـة*** ، بيروت: منشورات مؤسسة الأعـلـمي للمطبوعـات، 1402هـ/1982م. والكتاب في ثلاث مجلدات، والخمسة المقصودون في العنوان هم : رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلي بن أبي طالب، وزوجته فاطمة وولداه الحسن والحسين، رضي الله عنهم أجمعين. أما الصحاح الستة فهي الكتب السنية الستة في الحديث .

38- مـحـمـد ، السيد حسين نجيب محمد، ***آداب الـعلاقــة مع الإمـام المـهدي عليه السلام.*** بيروت: دار المرتضى، 1425هـ/2005م.

39- المـظـفـر ، المجتهد المجدد الشيخ محمد رضا ، ***عـقـائـد الإمـامـيـة .*** لم يذكر مكان الطبع ، لكن صفحة العنوان الداخلية تحمل عبارة (إين كتاب طي شماره 657 در كتابخانه ملي تهران ...) ، هذا الكتاب يحمل رقم 657 في المكتبة الوطنية في طـهران.) والمؤلف عراقي، وكان عميد كلية الفقه في جامـعة النجـف في العراق .

40- ------------------ ، أصـول الـفقـه . بيروت : مؤسسة التاريخ الـعربي، 1424هـ/2004م، أربعة أجزاء في مجلدين.

41- مـغـنـيــة ، الشيخ محمد جـواد ، ***الــتـفـسـيـر الـمـبـيـن*** . قم : مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، 1421هـ/2001م.

42- الـموسـوي ، الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين ، ***رسائل متبادلة بن العلمين الشيخ سليم البشري، شيخ الجامع الأزهر والسيد شرف الدين العاملـي،*** تحقيق المجمع العالمي لأهل البيت، قـم المقدسة : مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، 1422هـ. لقد ورد اسم المؤلف بطرق مختلفة، وهو نفسه: شرف الدين، العاملي، الموسـوي.

43- الـنـجـفـي ، الـحـجة الشيخ محمد السـبزواري ، ***إرشـاد الأذهـان إلـى تفـسير القرآن.*** بـيروت : دار التعارف للمطبوعات، 1427هـ/2006م.

مصادر ومراجع عامـــة مختارة :

44- إبن الأثير، عـز الدين علي (ت 630هـ)، ***الكامل في التاريخ***، إثنا عشر مجلدا، بيروت: دار بيروت ودار صادر، 1966م

45- ------------ ***التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية*** ، تحقيق عبدالقادر أحمد طليمات، القاهرة : دار الكتب الحديثة ، 1382هـ/1963م.

46- الأزكوي، سرحان بن سعيد، ***كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة*** ، تحقيق عبدالمجيد حسيب القيسي، أبو ظبي : الدار الخليجية ، د.ت.

47- إبن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، ***السيرة النبوية***، تحقيق أحمد فريد المزيدي، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1424هـ/2004م.

48- الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل، ***الإبانة عن أصول الديانة***، بيروت : دار الكتاب العربي ، 1405هـ/ 1985،

49- إبن إياس المصري ، محمد بن أحمد ، ***بدائع الزهور في وقائع الدهور***، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة : 1960م.(في سبع مجلدات).

50- إبن جبير ، محمد بن أحمد، ***رحلة إبن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار،*** بيروت : دار التراث، 1388هـ/1968 م.

51- إبن جعفر ، قدامة، ***كتاب الخراج وصنعة الكتابة*** ، بعناية الدكتور محمد حسن الزبيدي ، بغداد : دار الرشيد ، 1981م.

52- إبن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن (ت 597هـ)، ***المنتظم في تاريخ الملوك والأمم***، حيد آباد الدكن: مجلس دائرة المعارف العثمانية 1358هـ/1939م – 1359هـ/1940م، (المجلدات من 5 – 10 فقط).

53- ------------------ ***نواسخ القرآن*** ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1405هـ/1985م.

54- إبن حوقل النصيبي ، أبو القاسم. ***كتاب صورة الأرض*** ، بيروت : دار مكتبة الحياتة، د. ت.

55- الخطيب البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي، ***تاريخ بغداد أو مدينة السلام***، (12 مجلدا)، بيروت : دار الكتاب العربي ، د. ت.

56- إبن خلدون ، عبدالرحمن، ***كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر*** ، بيروت : مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني ، 1966م.(في سبعة مجلدات)

57- إبن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***، في سبعة مجلدات والثامن للفهارس، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت : دار الثقافة، د.ت.

58- إبن خياط ، خليفة ، ***تاريخ خليفة بن خياط*** ، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ، بيروت : دار العلم للملايين ومؤسسة الرسالة ، 1977م.

59- الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود، ***كتاب الأخبار الطوال*** ، تحقيق عبدالمنعم عامر، بيروت : دار المسيرة .

60- السالمي ، عبدالله بن حميد بن سلوم، ***تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان*** ، القاهرة: مطبعة الإمام، د.ت.

61- السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب ، ***طبقات الشافعية الكبرى***، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود الطناحي ، القاهرة : 1385هـ/1966م.

62- السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن ، ***الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*** ، بيروت : دار مكتبة الحياة، د.ت.

63- إبن سعد ، محمد ، ***الطبقات الكبرى*** (في ثمانية مجلدات ومجلد للفهارس)، بيروت : دار صادر ودار بيروت ، 1380هـ/1960م.

64- السلمي، محمد بن الحسين، ***طبقات الصوفية***، تحقيق نور الدين شربية، القاهرة : مكتبة الخانجي، 1969م.

65- إبن سيد الناس ، محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله ، ***عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير*** ، بيروت : دار الجيل ، الطبعة الثانية ، 1974م (جزءان في جلد واحد).

66- السيوطي، الإمام جلال الدين عبدالرحمن، ***تاريخ الخلفاء*** ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، 1371هـ/1952م.

67- الصابوني ، محمد علي، ***صفوة التفاسير*** ، بيروت : دار القلم – مكتبة جدة، 1397هـ/1976، (ثلاث مجلدات).

68- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ، ***تاريخ الرسل والملوك*** المشهور ***بتاريخ الطبيري***، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، 1964-1966م.

69- إبن الطقطقا ، محمد بن علي بن طباطبا، ***كتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية*** ، القاهرة : شركة طبع الكتب العربية ، 1317هـ/1899م.

70- إبن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن، ***تاريخ دمشق الكبير***، بيروت : دار إحياء التراث العربي، (طبعة كاملة، ثمانون جزءا في أربعين مجلدا) الطبعة الأولى، 1421هـ/2001م.

71- علوي، ناصر خسرو ، ***سفر نامه*** (كتاب السفر) ، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة : مطبوعات مكتب اللغات الشرقية، كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول ، 1364هـ/1945م.

72- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، ***فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة***، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، 1381هـ/1961م.

73- -------- ***المستصفى من علم أصول الفقه*** ، القاهرة : المطبعة الأميرية، 1322هـ.

74- القرطبي ، عريب بن سعد ، ***صلة تاريخ الطبري***، ليدن : 1897م.

75- إبن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ، ***عيون الأخبار*** ، القاهرة : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، د.ت. ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .

76- ___________ ***المعارف*** ، بعناية محمد إسماعيل الصاوي، بيروت : دار إحياء التارث ، 1390هـ/1970م

77- إبن القلانسي، أبو يعلى حمزة ، ***ذيل تاريخ دمشق***، بيروت : مطبعة الآباء اليسوعيين، 1908م.

78- إبن قيم الجوزية ، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، ***زاد المعاد في هدى خير العباد*** ، بيروت : دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ، 1426هـ.2005م.

79- إبن كثير ، الحافظ أبو الفدا ، ***البداية والنهاية*** ، القاهرة : مكتبة الصفا ، 1423هـ/2003م.

80- الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد، ***الأحكام السلطانية والولايات الدينية*** ، القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده, 1386هـ/1966م.

81- المبرد ، أبو العباس محمد ، ***نسب عدنان وقحطان*** ، تحقيق عبدالعزيز الميمني الراجكوتي، الدوحـة: 1984 .

82- محمد بن إسماعيل البخاري، ***الجامع المسند الصحيح*** ، المشهور بـ***صحيح البخـاري***، وقد صدر في طبعات كثيرة، وبلاد كثيرة.

83- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، ***صحيح مسـلم*** ، وقد صدرت له طبعات كثيرة في أقطار ومدن متعددة.

84- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ، ***التنبيه والإشراف ، بيروت*** : دار التراث، 1968.

85- ------------ ***مروج الذهب ومعادن الجوهر*** ، بعناية يوسف أسعد داغر، بيروت : دار الأندلس, 1973م.

86- مسكويه ، أحمد بن محمد ، ***كتاب تجارب الأمم***، بعناية هـ . ف. آمدروز، (الجزآن 5و6 في مجلد واحد، القاهرة : 1332هـ/1914م.

87- المقدسي ، محمد بن أحمد، ***أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم***، بيروت : مكتبة خياط، د.ت.

88- المقريزي، تقي الدين أحمد ، ***إتعاظ الحنفا بأخبار الأيمة الفاطميين الخلفا*** ، المجلد الأول، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، والجزء الثاني تحقيق الدكتور محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1967 – 1971م.

89- الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله، ***جامع الـتـواريـخ*** ، القاهرة: وزارة التراث والإرشاد القومي، د.ت.

90- الهمداني ، محمد بن عبدالملك، ***تكملة تاريخ الطبري*** ، تحقيق ألبرت يوسف كنعان، بيروت: 1959م.

91- الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد ، ***أســـباب نـزول الـقرآن*** ، تح. السيد أحمد صقر، دار الكتاب الجديد، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، 1389هـ/1969م (لم يذكر مكان النشر).

92- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب، ***تـاريـخ الـيـعقوبـي*** ، بيروت : دار بيروت ودار صادر، 1379هـ/1960م.

93- أبــو شـــقة ، عبدالحليم ، ***تـحـرير المـرأة فـي عصر الرسالــة*** ، الكويت : دار القلم ، 1410هـ/1990م (في ستة مجلدات).

94- عطوان ، حـسـين ، ***الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأمـوي*** ، بيروت : دار الجيل، 1986م.

95- محمد سليم الـــعوا ، ***الفقه الإسلامي في طريق التجديد*** ، الطبعة الثالثة، القاهرة : سفير الدولية للنشـــر ، 1427هـ/2006م.

96- مـنـير شـفـيـق ، ***الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات : ثـورات .. حركات .. كتابات***،

الكويت: دار القلم ، 1406هـ/1986م.

97- أبو عـزة ، عبدالله، ***الخليج العربي في العصر الإسلامي.. دراسة تاريخية وحضارية*** ، الكويت: مكتبة الفلاح، 1421هـ/ 2001م.

98- ------------ ***إنهيار الحضارة العربية الإسلامية وسبيل النهوض***، عمان : دار الفضيلة، 2008م.

99- ----------- ***الإسلام : رسالته .. حضارتـه، مستقبلـه***، بيروت: دار العلم للملايين، 1988م.

☒ المؤلف في سطور: [صورة شخصية]

- عبدالله محمد مصطفى أبو عزة
- ولد في قرية يبنا، قضاء الرملة سنة 1931م،
- حصل على درجة الليسانس في التاريخ من جامعة القاهرة، يونيو1961م.
- وعلى درجة الماجستير من الجامعة الأميركية في بيروت في حزيران (يونيو) 1969م
- كما حصل على الدكتوراة من جامعة إكستر في بريطانيا في أيار (مايو) 1980م

- عمل في التدريس، وفي تخطيط وإدارة الأنشطة الثقافية، وشارك في عدد من المؤتمرات
- الثقافية العربية والدولية.
- له من الأولاد خمسة: سمية، أسماء، خولة، محمد، وعمـر.
- يحمل الجنسية الأردنية ، ويعيش في عمان، ألأردن.

كتب وأبحاث للمؤلف

- ☒ ***مع الحركة الإسلامية في الدول العربية***، دار القلم، الكويت، 1986، وقد أعيدت طباعته سنة دون علم المؤلف.
- ☒ ***الإسلام .. رسالته، حضارته*** ، مستقبله دار العلم للملايين، بيروت، 1988 وقد صدرت له في اليابان طبعة مترجمة إلى اللغة اليابانية سنة 2004م.
- ☒ ***الخليج العربي في العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وحضارية*** مكتبة الفلاح، الكويت ، 2001م.
- ☒ ***حوار الإسلام والغرب***، عمان، الأردن، 2006م.
- ☒ ***انهيار الحضارة العربية الإسلامية وسبيل النهوض*** ، دار الفضيلة ، عمان ، 2008 .
- ☒ ***حـوار لإخواننا وأخواتنا الشـــيــعـة*** ، عمان، الأردن، 2009م ، وهوهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ .

<u>كتب غير منشورة:</u>

- ☒ ***الإخوان المسلمون .. الحركة الإم .. دراسة نقدية***، ينتظر صدوره قبل نهاية العام الحالي، 2009م
- ☒ ***الحضارة العربية في المشرق في عهد السلاجقة*** أطروحة ماجستير، الجامعة الأميركية في بيروت، حزيران، 1969م.
- ☒ ***The Syrian Thughur***, أطروحة دكتوراه، جامعة أكستر (بريطانيا)، أيار 1980م.

*** وللمؤلف أكثر من خمسة وعشرين بحثا منشورة، قدمت في ندوات جامعية، وفي مؤتمرات ثقافية، بينما نشر بعضها ضمن أعمال مشتركة .

[توضع في طرف الوجه الداخلي لصفحة الغلاف].